

رسالة في قنوت الأشياء كلها لله تعالى



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين ، وبه القوة

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليماً .

## ﴿ فصل ﴾

في قنوت الأشياء لله عز وجل ، وإسلامها ، وسجودها له ، وتسبيحها له .

القنوت  
في القرآن

فإن هذه الأربعة قد ذكرها الله تعالى في القرآن . قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا  
أَتَتَّخِذُ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ \*  
بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾  
[ سورة البقرة ١١٦ ، ١١٧ ] ، وقال تعالى في سورة الروم : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ \* وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ  
وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [ سورة الروم : ٢٦ ، ٢٧ ] .

الإسلام

وأما الإسلام فقال تعالى : ﴿ أَفَفَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ  
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾  
[ سورة آل عمران : ٨٣ ] .

السجود

وأما السجود فقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [ سورة الرعد : ١٥ ] ، وقال :  
﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُونَ <sup>(١)</sup> ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ

(١) في الأصل : ( يتفتقون ) ، وهي قراءة أبي عمرو ، وبهذه القراءة جاءت في سائر

سُجِّدَ لِلَّهِ وَمِمَّ دَاخِرُونَ \* وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
 مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَمِمَّ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿ [سورة النحل : ٤٨ ، ٤٩] .  
 وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ  
 وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ  
 وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ [سورة الحج : ١٨] .

التسبيح

وأما التسبيح فقال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ  
 فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ  
 حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [سورة الإسراء : ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
 وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الصف : ١] ، [سورة الم نشر : ١] في موضعين ، و : ﴿ سَبِّحَ  
 لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة الحديد : ١] ، و : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي  
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الجمعة : ١] ، [سورة الثنابن : ١] في موضعين ،  
 خمس سور افتتحت بذكر تسبيح ما في السموات وما في الأرض له ؛ وقال :  
 ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ  
 قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [سورة النور : ٤١] .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ﴾ [سورة البقرة : ١١٦]  
 فهو نظير قوله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا \* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا \* تَكَادُ  
 السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا \* أَن دَعَوْا  
 لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا \* وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا \* إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ إِلَّا آتٍ الرَّحْمَنِ عَبْدًا \* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا \* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [سورة مريم : ٨٨ - ٩٠] . وقد قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ  
 اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ  
 مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يونس : ٦٨] .



وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَنْتَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُشْكِرُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٦-٢٩] .

\* \* \*

س ٢٠  
القنوت في اللغة

والقنوت في اللغة / دوام الطاعة ، والمصلّي إذا طال قيامه أو ركوعه أو سجوده فهو قانت في ذلك كله ؛ قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [سورة الزمر : ٩] ، فجعله قانتا في حال السجود والقيام .

وفي الحديث الصحيح : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الصلاة أفضل ؟ فقال : طول القنوت » <sup>(١)</sup> . ولم يرد به طول القيام فقط ، بل طول القيام والركوع والسجود ، كما كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت معتدلة إذا أطل القيام أطال الركوع والسجود .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾ [سورة النحل : ١٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [سورة النساء : ٣٤] ، وقال تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ ﴾ [سورة التحريم : ٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٥] ، وسمى إطالة القيام في الصلاة قنوتا لأنه يطيل فيه الطاعة ، ولو صلى قاعداً لقنت وهو قاعد ، وكذلك إذا صلى على جنب قنت وهو على جنب ، والقيام قبل الركوع يُسمى أيضاً قنوتا .

(١) هو حديث جابر رضى الله عنه في : مسلم ١٧٥/٢ ( كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب أفضل الصلاة طول القنوت ) ؛ المسند ( ط . الحلبي ) ٣ / ٣٠٢ ، ٣١٤ ، ٣٩١ ؛ الترمذى ( بشرح ابن العربي ) ٢ / ١٧٨ - ١٧٩ ( أبواب الصلاة ، باب ما جاء في طول القيام في الصلاة ) ؛ النسائي ( بشرح السيوطي ) ٥٨/٥ ( كتاب الزكاة ، باب جهد المقل ) .

قال ابن قتيبة<sup>(١)</sup> : « لا أرى أصل القنوت إلا الطاعة ، لأن جميع الخلال : من الصلاة ، والقيام فيها ، والدعاء وغير ذلك يكون عنها <sup>(٢)</sup> » .

وقال أبو الفرج<sup>(٣)</sup> : « قال الزجاج<sup>(٤)</sup> : القنوت هو في اللغة بمعنيين : أحدهما القيام ، والثاني الطاعة . والمشهور في اللغة والاستعمال أن القنوت الدعاء في القيام ، فالتقانت : القائمُ بأمر الله ، ويموز أن يقع في جميع الطاعات ، لأنه وإن لم يكن قياماً على الرجلين فهو قيام بالنية » .

قلت : هذا ضعيف ، لا يُعرف في اللغة أن مجرد القيام يسمى قنوتاً ، والرجل يقوم ماشياً وقائماً في أمور ولا يُسمَّى قائتاً ، وهو في الصلاة يسمى قائتاً لكونه مطيعاً عابداً ، ولو قنت قاعداً ونائماً سُمِّيَ قائتاً . وقوله تعالى : ﴿ وَتَوَمَّؤْا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [ سورة البقرة : ٢٣٨ ] يدل على أنه ليس هو القيام ، وإنما هو صفة في القيام يكون بها القائم قائتاً ، وهذه الصفة تكون في السجود أيضاً ، كما قال : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً ﴾ .

(١) في كتابه « تأويل مشكل القرآن » (تحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر) ، ص ٣٥٠ . وهذه العبارة هي آخر كلامه الذي استغرق صفحة كاملة ، وقال هناك : « ولا أرى أصل هذا الحرف إلا الطاعة ، لأن جميع هذه الخلال . . . الخ » .

(٢) عنها : في الأصل فيها ، وفي الهامش كتبت كلمة « عنها » وعليها حرف ( خ ) أى في نسخة أخرى . وأثبتها عن تأويل مشكل القرآن .

(٣) المقصود بأبي الفرج : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، الإمام العلامة المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، ومن كتبه « زاد المسير في علم التفسير » ( ومنه نسخة خطية ) وتيسير البيان في علم القرآن ، قال ابن رجب : مجلد ، وكتاب المنفى في التفسير قال ابن رجب : أحد وثمانون جزءاً . انظر ترجمته ومصنفاته في : وفيات الأعيان ٣٢١/٢ - ٣٢٢ ؛ تاريخ ابن الوردي ١١٨/٢ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ١ / ٣٩٩ - ٤٣٣ ؛ الكامل لابن الأثير ( طه الحلبي ) ١٠ / ٢٢٨ ، ١٢ / ٦٧ ؛ الأعلام للزركلي ٨٩ / ٤ - ٩٠ .

(٤) هو إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو اسحاق الزجاج ، النحوي اللغوي ، المتوفى سنة ٣١١ هـ . ومن كتبه الهامة « معاني القرآن » ومنه نسخة خطية . انظر ترجمته ومصنفاته في : وفيات الأعيان ٣١ / ٣٣ ( وفيه : إبراهيم بن محمد ) ؛ معجم الأدياء ١٣٠ / ١ - ١٥١ ؛ لمناه الرواة ١٥٩ / ١ - ١٦٦ ( وانظر في التعليق مراجع أخرى في ترجمته ) ؛ الأعلام ٣٣ / ١ .

فقول القائل : إن المشهور في اللغة أنه الدعاء في القيام ، إنما أخذه من كون هذا المعنى شاع في اصطلاح الفقهاء إذا تكلموا في القنوت في الصلاة ، وهذا عُرف خاص . ومع هذا فالفقهاء يذكرون القنوت سواء صلى قائماً أو قاعداً أو مضطجماً ، لكن لما كان الفرض ليس يصح أن يصلّيهُ إلا قائماً ، وصلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ، صار القنوت في القيام أكثر وأشهر ، وإلا فلفظ « القنوت » في القرآن واللغة ليس مشهوراً في هذا المعنى ، بل ولا أُريدَ به هذا المعنى ، ولا هو أيضاً مشتركاً ، بل اللفظ بمعنى الطاعة أو الطاعة الدائمة ، ولهذا يفسره المفسرون بذلك .

القنوت عند  
ابن تيمية هو  
الطاعة

ط ٢٠ / وقد رُوِيَ في ذلك حديث مرفوع رواه ابن أبي حاتم من النسخة المصرية التي يروى منها الترمذى وغيره من حديث ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن دراجاً أبا السّمح حدثه : عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل حرف في القرآن يُذكر فيه القنوت فهو الطاعة » <sup>(١)</sup> .

(١) هذا الحديث رواه أحمد في مسنده ٧٥/٣ (ط . الحلبي) ونصه فيه : حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا حسن ( وهو ابن موسى الأشيب ) حدثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة » .

وروى الطبري الحديث مرتين عن ابن لهيعة ، وسند الأولى إليه : حدثنا الربيع بن سليمان قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا ابن لهيعة . وسند الثانية إليه : حدثني المثنى ، قال حدثنا إسحاق ، قال حدثنا محمد بن حرب قال حدثنا ابن لهيعة .

وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه ( تفسير الطبري ٢٣١/٥ ، ط . المعارف ) : « وذكره الهيثمي في بحر الزوائد ٦ : ٣٢٠ ، وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط . وفي إسناده أحمد وأبو يعلى ابن لهيعة وهو ضعيف » قال الشيخ أحمد شاكر : « وابن لهيعة ليس بضعيف كما قلنا فيما مضى : ٢٩٤ : ١ » ( انظر تفسير الطبري ١٩٧/٣ ) .

وفي تفسير ابن أبي طلحة<sup>(١)</sup> عن ابن عباس : ﴿ فَأَلْصَحَاتُ قَانِتَاتٌ ﴾ [سورة النساء : ٣٤] : « مطيعات » .

قال ابن أبي حاتم : وروى عن مجاهد وعكرمة وأبي مالك وعطاء وقتادة والسدي مثل ذلك .

وروى عن مقاتل بن حيان قال : « مطيعات لله ولأزواجهن في المعروف » .  
وروى عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتُ ﴾ قال :  
« يعني المطيعين والمطيعات » .

قال : وروى عن قتادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم مثل ذلك . وروى بإسناده عن أبي العالية في قوله : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾ [سورة آل عمران : ٤٣] قال : اركدي لربك . وعن الأوزاعي قال : « ركبت في محرابها قائمة وراكمة وساجدة حتى نزل ماء الأصفر في قدميها » .

وعن الحسن أنه سئل عن قوله : ﴿ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي ﴾ قال :  
« يقول : اعبدى لربك » .

وعن ليث عن مجاهد قال : « كانت تقوم حتى تتورم قدميها »<sup>(٢)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ قال ابن أبي حاتم : « تقدم تفسير القانت في غير موضع القانت الذي يطيع الله ورسوله » .

وروى عن أحمد بن سنان ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود قال : « القانت الذي يطيع الله ورسوله » .

(١) مو على بن أبي طلحة . قال ابن سعد ( الطبقات ٧ / ٤٥٨ ) : « روى التفسير عن ابن عباس ، رواه عنه معاوية بن صالح » . وانظر المرحم والتعديل ج ٣ ، ق ١ ، ص ١٩١ . وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر تفسير الطبري ٢ / ٥٢٧ - ٥٢٨ .  
(٢) انظر تفسير الطبري ( ط . المعارف ) ٦ / ٤٠١ - ٤٠٣ .

فهذا تفسير السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم لألفاظ القنوت في القرآن<sup>(١)</sup>.

### ﴿فصل﴾

وكذلك فسروا القنوت في قوله : ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ [سورة البقرة : ١١٦] ، لكن تنوع كلامهم في طاعة المخلوقات كلها لما رأوا أن من الجن والإنس من يعصى أمر الله الذي بعث به رسله ، فذكر كل واحد نوعاً من القنوت الذي يعُم المخلوقات .

رواية ابن أبي حاتم أوجه تفسير لفظ القنوت

قال ابن أبي حاتم : « اختلف في قوله : ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ على أوجه » . وروى بإسناده الحديث المرفوع : « كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة » .

الوجه الأول الطاعة

وروى عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : قانتون ، قال : مطيعون . يقول : طاعة الكافر في سجوده سجود ظله وهو كاره .

وأيضاً عن شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد : ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ قال : مطيعون ، كن إنساناً فكان ، وقال : كن حاراً فكان . ففسرها مجاهد بالسجود طوعاً وكرهاً ، وفسر الكره بسجوده ظله ، وفسرها أيضاً بطاعة أمره الكوني ، وهو قوله : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة يس : ٨٢] وهذا الأمر الكوني لا يخرج عنه أحد .

(١) فسر الطبري لفظ « القنوت » بما يوافق تفسير ابن تيمية ، وأورد الآثار عن السلف في ذلك . انظر التفسير ( ط . المعارف ) ٥٣٨/٢ - ٥٤٠ ، ٥/٢٢٨ - ٢٣٧ ( وخاصة من ٢٣٦ - ٢٣٧ حيث ذكر الطبري القول الذي يرجحه في تأويل القنوت وهو الطاعة ) ، ٦/ ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ٤٠٤ - ٤٠٥ ، ٨/٢٩٣ - ٢٩٤ .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « أعوذ بكلمات الله التامات التي / لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر »<sup>(١)</sup>.

ص ٢١

وهذان الوجهان ذكرهما ابن الأنباري<sup>(٢)</sup>، مع ذكره وجهاً آخر : أنها خاصة . قال أبو الفرج : « فإن قيل : كيف عمَّ بهذا القول وكثير من الخلق ليس له بمطيع ؟ ففيه ثلاثة أجوبة :

أحدها : أن يكون ظاهرها العموم ومعناها معنى الخصوص ، والمعنى : كل أهل الطاعة له قانتون . والثاني : أن الكفار تسجد ظلالمهم لله بالفدو والآصال والعشيّات فنسب القنوت إليهم بذلك . والثالث : أن كل مخلوق قانت له بأثر صنعه فيه وجزئ أحكامه عليه ، فذلك دليل على إله كونه ؛ ذكرهن ابن الأنباري .

قال ابن أبي حاتم : الوجه الثاني : حدثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا أسباط ، عن مطرف ، عن عطية ، عن ابن عباس ، قال : قانتون : مصلّون .

الوجه الثاني  
الصلاة

(١) في الموطأ ٢/٩٥٠ (كتاب الشعر ، باب ما يؤثر به من التعوذ) : « وحدثني عن مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال : أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى غفريتا من الجن يطلبه بشملة ، كلما التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه . فقال له جبريل : أفلا أعلمك كلمات تقولهن ، إذا قلتهن طفت شعلته وخرلقه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى . فقال جبريل : فقل أعوذ بوجه الله الكريم ، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وشر ما يخرج منها ، وشر ما ذرأ في الأرض ، وشر ما يخرج منها ، ومن قن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل والنهار ، إلا طارقا يطرق بخير يرحم .

ورود الحديث مرسلًا أيضًا عن كعب الأحبار بعده بقليل ٢/٩٥١ - ٩٥٢ . وجاء التعوذ بكلمات الله التامات بصيغ أخرى في أحاديث صحيحة كافي البخاري ومسلم وغيرهما . وانظر تعليقنا على الحديث في منهاج السنة ٢/٢٩٢ - ٢٩٣ . وانظر أيضا الأذكار للنووي ، ص ١٢١ .

(٢) أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري ، النحوي اللغوي الأديب المتوفى سنة ٥٧٧ . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٢/٣٢٠ ؛ قواف الوفيات ١/٥٤٧ ؛ شذرات الذهب ٤/٢٥٨ - ٢٥٩ ؛ إنباه الرواة ٢/١٦٩ - ١٧١ ( وانظر التليق ) ؛ الأعلام ٤/١٠٤ .

قلت : وهذا من جنس وصفها بالسجود له والتسبيح ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [سورة النور : ٤١] . لكن قد يُقال : فالصلاة صلاة المخلوقات والمؤمنين ، ولم يُرد أن الكافرين يصلون فتكون الآية خاصة . ولهذا حكى عن ابن عباس أنه قال : هي خاصة .

قال : « والوجه الثالث ، ثم روى بالإسناد المروى عن الحسين بن واقد ، عن الوجه الثالث أبيه ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة : كل له قانتون ، قال : مقرّون <sup>(١)</sup> بالعبودية . الإقرار بالعبودية . قال : وروى عن أبي مالك نحوه . »

قلت : وهذا إخبار عما فطروا عليه من الإقرار بأن الله ربهم كما قال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ الآية [سورة الأعراف : ١٧٢] . فإن هذه الآية بيّنة في إقرارهم وشهادتهم على أنفسهم بالمعرفة التي فطروا عليها <sup>(٢)</sup> : أن الله ربهم . وقال صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة » <sup>(٣)</sup> .

وطائفة من العلماء جعلوا هذا الإقرار لما استخرجوا من صلب آدم وأنه أنطقهم وأشهدهم ، لكن هذا لم يثبت به خبر صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والآية لا تدل عليه .

(١) في الأصل : مقرّون ، وهو تحريف .

وفى تفسير الطبري : ( ٥٣٩/٢ ) : « حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة : كل له قانتون : كل مقر له بالعبودية . »

(٢) في الأصل : عليه .

(٣) ورد هذا الحديث بتمامه في « منهاج السنة » ٢٣٤/٢ - ٢٣٥ ، وتكلمت عليه طويلا هناك وذكرت مكانه في البخارى ومسلم وسنن أبي داود وجامع الترمذى والوطأ وصحيح ابن حبان والمسند وغيرها فأرجع إليه .

وإنما الذى جاءت به الأحاديث للمروفة أنه استخرجهم وأرام لآدم ،  
وميز بين أهل الجنة وأهل النار منهم ، فُتُروا من يومئذ . هذا فيه مأثور من  
حديث أبي هريرة ، رواه الترمذى وغيره بإسناد جيد<sup>(١)</sup> . وهو أيضاً من حديث  
عمر بن الخطاب الذى رواه أهل السنن ومالك فى اللوط<sup>(٢)</sup> ، وهو يصلح للاعتضاد .  
وأما إنطاقهم وإشهادهم فروى عن بعض السلف ، وقد روى عن أبي<sup>(٣)</sup>  
وابن عباس ، وبعضهم رواه مرفوعاً من طريق ابن عباس وغيره . وروى ذلك  
الحاكم فى صحيحه ، لكن هذا ضعيف<sup>(٤)</sup> . وللحاكم مثل هذا ، يروى أحاديث

(١) انظر الترمذى ( بشرح ابن العربى ) ٩٦/١١ - ٢٠٠ ( كتاب التفسير ، سورة  
الأعراف ) وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى من غير وجه عن أبي  
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٢) الحديث فى : سنن أبي داود ٣١٢/٤ - ٣١٣ ( كتاب السنة ، باب فى القدر ) ؛ الموطأ  
٨٩٨-٨٩٩ ( كتاب القدر ، باب النهى عن القول بالقدر ) ؛ الترمذى ( بشرح ابن العربى )  
١١ / ١٩٤ - ١٩٦ . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن ، ومسلم بن يسار لم يسمع من  
عمر ، وقد ذكر بعضهم فى هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً » .

(٣) روى الطبرى فى تفسيره أثرين موقوفين على أبي بن كعب رضى الله عنه ، الأول فى  
تفسير قوله تعالى : ( وأيدهم بروح منه ) [ سورة النساء : ١٧١ ] . انظر : التفسير  
( ط . المعارف ) ٤٢١/٩ - ٤٢٢ . والثانى فى تفسير هذه الآية من سورة الأعراف . انظر :  
التفسير ١٣ / ٢٣٨ - ٢٣٩ . وقد صحح الأستاذ محمود شاكر لإسناده وأشار إلى رواية  
عبد الله بن أحمد بن حنبل له فى زيادته على مسند أبيه ( انظر المسند - ط . الحلبي - ١٣٥/٥ )  
وإلى نقل الهيثمى له فى مجمع الزوائد ٢٥/٧ وإلى رواية الحاكم له فى المستدرک ( ٢ / ٣٢٣ )  
مطولاً . كما ذكر أن من رواه : الآجرى فى كتاب الشريعة ، ص ٢٠٧ ؛ ابن عبد البر  
فى التمهيد ، ص ٣٠٧ ، ابن كثير فى تفسيره ( ٢ / ٢٦٣ - ٢٦٤ فى الطبعة التى أرجع إليها ) ؛  
الدر المنثور للسيوطى ٣ / ١٤٢ .

(٤) وردت آثار عديدة تذكر إنطاق الله لبني آدم وإشهادهم على أنفسهم أكثرها  
موقوف وبعضها مرفوع . وحديث ابن عباس المرفوع رواه أحمد فى مسنده ( ١٥١/٤ - رقم  
٢٤٥٥ ) ونصه : « حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا جرير - يعنى ابن حازم ، عن كلثوم  
ابن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أخذ الله  
للميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعنى عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها ، فنثرهم بين  
يديه كالذر ، ثم كلمهم قبلاً : ( قال أأست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا



موضوعة في صحيحه مثل حديث زريب بن برثملى وهامة بن المهيم<sup>(١)</sup> وغير ذلك ، وبسط هذا له موضع آخر .

== عن هنا غافلين \* أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أتتهلكنا بما فعل البطلون ) .

وأورد الطبرى في تفسيره ٢٢٢/١٣ - ٢٥٠ كثيرا من الآثار الواردة في هذا الصدد منها حديث ابن عباس المرفوع ( رقم ١٥٣٣٨ ) وأحاديث أخرى موقوفة عليه ( منها الأرقام ١٥٣٣٩ - ١٥٣٤٣ ، ١٥٣٤٧ - ١٥٣٥٠ ، ١٥٣٦٠ - ١٥٣٦٢ ) ومنها حديث عبد الله بن عمرو المرفوع ( رقم ١٥٣٥٤ ) .

وقد صحح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله حديث ابن عباس المرفوع في تعليقه على السند وتكلم عليه ( ارجع إلى التعليق ) ووافقه الأستاذ محمود شاكر على ذلك وتكلم على سائر الآثار كلاما مفصلا وبين طرقها ومواضع ورودها في كتب السنة وصحح بعضها وضمف بعضها الآخر فارجع إلى تعليقاته .

وأشير هنا إلى رأى الطبرى الذى قال بعد أن أورد جميع الآثار في تفسير هذه الآية أن الوجه الأول فى تأويلها هو الذى يقول أن الله خاطب ذرية آدم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى . فقال لهم هو وملائكته: شهدنا عليكم .. إلخ . والوجه الثانى هو أن ذلك خبر من الله عن قيل بعض بنى آدم لبعض حين أشهد الله بعضهم على بعض . وقال أصحاب هذا الوجه : معنى قوله : وأشهدهم على أنفسهم : وأشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك .

قال الطبرى : إن الوجه الأول أولى بالصواب لو صح ، ولكنه لم يعلم صحيحا . ثم قال : « وإن لم يكن ذلك عنه صحيحا ، فالظاهر يدل على أنه خبر من الله عن قيل بنى آدم بعضهم لبعض ، لأنه جل ثناؤه قال : ( وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ) ، فكأنه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقروا فقالوا بلى : - شهدنا عليكم بما أقررتم على أنفسكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . وانظر أيضا ما ذهب إليه ابن كثير في تفسيره ٢٦٣/٢ - ٢٦٤ .

وقد تكلم ابن تيمية عن هذه الآية وعن حديث : كل مولود يولد فطرته ، كلاما مسهباً استغرق معظم الجزء الأخير من كتاب « موافقة صريح العقول لصحيح النقول » ، وهو الجزء الذى ما زال مخطوطا فى المكتبة التيمورية بدار الكتب ( رقم ١٨٢ عقائد ) .

(١) حديث زريب بن برثملى رواه ابن عراق الكنانى فى « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة » ٢٣٩/١ - ٢٤٠ عن ابن عمر رضى الله عنه وأوله : « كتب عمر بن الخطاب إلى سميد بن أبى وقاص وهو بالقادسية أن سرح فضلة بن جعونة إلى حلوان » وفيه أن فضلة سمع مخاطبا يخاطبه من الجبل فسأله من يكون وهل هو ملك أم ساكن من الجن أم طائف من عباد الله « فانطلق الجبل عن هامة كالرما أبيض الرأس واللحية عليه طمران من صوف فقال السلام عليكم ورحمة الله . قلنا : وعليكم السلام ورحمة الله ، من أنت يرحمك الله؟ قال : أنا زريب بن برثملا وصى العبد الصالح عيسى بن مريم ، أسكننى هذا الجبل ودعالى بطول البقاء ... ==

لكن كون الخلق مفطورين<sup>(١)</sup> على الإقرار بالخالق أمر دل عليه الكتاب والسنة ، وهو معروف بدلائل المقول ، كما قد بُسط في مواضع / وُيِّن أن الإقرار بالخالق فطري ضروري في جِبِلَّاتِ الناس . لكن من الناس من فسدت فطرته فاحتاج إلى دواء ، بمنزلة السفسطة التي تعرض لكثير من الناس في كثير من المعارف الضرورية ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

وهؤلاء يحتاجون إلى النظر ، وهذا الذي عليه جمهور الناس : أن أصل المعرفة قد يقع ضرورياً فطرياً ، وقد يُحتاج فيه إلى النظر والاستدلال .

وكثير من أهل الكلام يقول : إنه لا يجوز أن تقع<sup>(٢)</sup> المعرفة ضرورية بل لا تقع إلا بنظر وكسب ، قالوا : لأنها لو وقعت ضرورة لارتفع التكليف والامتحان . ومنهم من ادَّعى انتفاء ذلك في الواقع ، وهذا ضعيف لأن الامتحان والتكليف الذي جاءت به الرسل كان بأن يعبدوا الله وحده لا يشركون به ؛ إلى هذا دعا عامة الرسل ، ومن كان من الناس جاحداً دَعَوَهُ إلى الاعتراف

== ملح . وروى الحديث السيوطي في «الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» ١/١٧٧-١٨٢ من وجوه عدة وتكلم عنه طويلاً وما ذكره : « قال الخطيب : روى الراسي هذا الحديث المنكر ، وابن لهيعة يدلّس عن ضعفاء وسليان بن أحمد ضعيف » .

وأما حديث هامة بن الهيم فرواه ابن عراق في المرجع السابق ١/٢٣٨ - ٢٣٩ من ابن عمر : « بينا نحن قعود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ في يده عصا فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ، فقال : نفقة الجن ومهمتهم من أنت ؟ قال : أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس . قال : وليس بينك وبين إبليس إلا أبوان ؟ قال : نعم .. إلخ » .

وروى الحديث السيوطي في «الآلئ المصنوعة» ١/١٧٤ - ١٧٥ من وجهين وقال : « موضوع . لإسحاق بن بشر الكاهلي كذاب وضاع بالاتفاق . وأبو سلمة يروى عن الثقات ما ليس من حديثهم لا يجوز الاحتجاج به . قال العقيلي : وكلا الإسنادين غير ثابت وليس للحديث أصل . قلت : وكذا قال في «الميزان» هو باطل بالإسنادين » .

ولم أجدهما الحديثين في «مستدرک» الحاكم .

(١) في الأصل : مفطورون .

(٢) في الأصل : أن يقع .

بالصانع: كفرعون ونحوه، مع أنه كان في الباطن عارفاً وإنما جحد ظلاماً وعلواً، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا﴾ [سورة النمل: ١٤]، وقال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائرٌ﴾ [سورة الإسراء: ١٠٢] .

وخاتم الرسل دعا الناس إلى الشهادتين، فقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها»<sup>(١)</sup>. وقال لمعاذ في الحديث الصحيح: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم»<sup>(٢)</sup>.

ولهذا قالت الرسل لقومهم ما أخبر الله تعالى به في قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة إبراهيم: ٩ - ١١].

(١) قال السيوطي في «الجامع الصغير»: «متفق عليه رواه الأربعة عن ابن هريرة وهو متواتر»: والحديث مروي بمعناه عن عدد من الصحابة، وانظر: البخارى ١ / ١٠ (كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة... إلخ)، ١٥/٩ (كتاب استنباط المرتدين والمعادين، باب قتل من أبى قبول الفرائض)؛ مسلم ٣٩/١ (كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله).

(٢) الحديث بمعناه في: البخارى ٢ / ١١٩ (كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة)؛ مسلم ٣٧/١ - ٣٨ (كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه).

وأيضاً ، فإن المعارف لا بد أن تنتهى إلى مقدمات ضرورية ، وهم لا يؤثرون بتحصيل الحاصل ، بل يؤثرون بالعمل بموجبها ويعلمون أخرى يكتسبون بها .  
وأيضاً ، فإن أكثر الناس غافلون عما فُطروا عليه من العلم ، فيذكرون بالعلم الذى فُطروا عليه ، وأصل الإقرار من هذا الباب ، ولهذا توصف الرسل بأنهم يذكرون ، ويصف الله تعالى آياته بأنها تذكرة وتبصرة ، كما فى قوله :  
( تَبْصِرَةٌ وَذِكْرٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّثْنِبٍ ) [سورة ق : ٨] .

فإذا كان من المعارف ماهو ضرورى بالاتفاق ، ولم يكن ذلك مانعاً من الأمر والنهى : إما بتذكرة وإما بالاستدلال ، فيؤثر الناس تارة بالتذكرة وتارة بالتبصرة ، ثم يؤثر الناس أن يُقرّوا بما علموه ويشهدوا به فلا يعاندوه ولا يحدوه ،  
/وأكثر الكفار جحدوا ما علموه .

ص ٢٢

والاعتراف بالحق الذى يُعلم والشهادة به والخضوع لصاحبه لا بد منه فى الإيمان ، وإبليس وفرعون وغيرهما كفروا للعناد والاستكبار ، كما ذكر الله تعالى ذلك فى كتابه .

ولكن الجهمية لما ظنت أن مجرد معرفة القلب هى الإيمان ، أرادوا أن يجعلوا ذلك مكتسباً ، وزعموا أن من كفره الشرع كإبليس وفرعون لم يكن فى قلبه من الإقرار شيء ، كما زعموا أنه يمكن أن يقوم بقلب العبد إيمان تام مع كونه يعادى الله ورسوله ، ويسب الله ورسوله فى الظاهر من غير إكراه<sup>(١)</sup> ،

(١) يقول الأشعرى فى « مقالات الإسلاميين » ١/١٩٧-١٩٨ : « وزعموا أن الكفر بالله هو الجهل به ، وهذا قول يحكى عن جهم بن صفوان . وزعمت الجهمية أن الإنسان إذا أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه أنه لا يكفر بجحد ، وأن الإيمان لا يتبع ولا يتفاضل أهله فيه ، وأن الإيمان والكفر لا يكونان إلا فى القلب دون غيره من الجوارح » .  
وأما ابن حزم فيقول فى « الفصل فى الملل والنحل » ٤/٢٠٤ أن غلاة المرجئة طائفتان وأن الثانية هى : « الطائفة الفائلة إن الإيمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا نية وعبد الأوثان أو لزم اليهودية والنصرانية فى دار الإسلام وعبد الصليب وأعلن =

ولهذا كفر وكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وغيرهما من الأئمة من قال بقولهم<sup>(١)</sup>، كما هو مبسوط في مواضعه<sup>(٢)</sup>.

والمقصود هنا بيان قول من قال من السلف كهكرمة وأبي مالك : ﴿كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ : أى مقرّون له بالعبودية .

الوجه الرابع  
القيام يوم القيامة  
قال ابن أبي حاتم : والوجه الرابع ، ثم روى بإسناده المعروف عن الربيع ابن أنس : ﴿كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ قال : كل له قائم يوم القيامة<sup>(٣)</sup>.

الوجه الخامس  
قول الإخلاص  
والخامس : ثم روى بإسناده من حديث عبد الله بن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير : ﴿كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ : بقول الإخلاص<sup>(٤)</sup>.

قلت : وهذا إن أراد به اعترافهم بأنه ربهم وأنهم إذا اضطروا دعوا الله

= التثليث في دار الإسلام ومات على ذلك فهو كامل الإيمان عند الله عز وجل ولـى الله عز وجل من أهل الجنة ، وهذا قول أبي عمرز جهـم بن صفوان السمرقندى مولى بنى راسب كاتب الحارث بن سريج التيمى أيام قيامه على نصر بن سيار بخراسان .

وقد تلتذد الجهم على الجعد بن درهم كما اتصل بمقاتل بن سليمان من المرجئة ، وقتل مع الحارث بن سريج بمرو سنة ١٢٨ هـ .

وانظر أيضاً عنه وعن فرقته وآرائهم : مقالات الأشعرى ١/٢١٣ ، ٣١٤ ؛ الملل والنحل ١/٧٩ — ٨١ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٢٨ — ١٢٩ ؛ التبصير في الدين ، ص ٦٣ — ٦٤ ؛ المخطط للمقرئى ٢/٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ ؛ البدء والتاريخ ٥/١٤٦ ؛ ميزان الاعتدال ١/١٩٧ ؛ لسان اليزان ٢/١٤٢ — ١٤٣ ؛ الأعلام ٢/١٣٨ — ١٣٩ .

(١) انظر رسالة الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل ( ضمن مجموعة شذرات البلاتين ) ، ص ١٤ وما بعدها .

(٢) انظر مثلاً : التسعينية ( ضمن مجموع الفتاوى ، ج ٥ ) ، ص ٣١ — ٤٠ .

(٣) قال الطبرى في تفسيره ٢/٥٣٩ ( ط . المعارف ) : « وقال آخرون بما حدثني به الثنى قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه عن الربيع : قوله : ( كل له قانتون ) ، قال : كل له قائم يوم القيامة » .

(٤) ذكر الطبرى في تفسيره ٦/٤٠٣ ( ط . المعارف ) في تأويل قوله تعالى : ( يا مريم اقنتى لربك ) الآية [ سورة آل عمران : ٤٣ ] ما يلى : « وقال آخرون : معناه : أخلصى لربك . ذكر من قال ذلك : حدثني الثنى قال : حدثنا الحماي ، قال : حدثنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سعيد : ( يا مريم اقنتى لربك ) ، قال : أخلصى لربك » .

مخلصين له الدين ، فهو من جنس قول عكرمة ، وإلا فالإخلاص الذي أمروا به ، وهو أن يعبدوا الله مخلصين له الدين ، إنما قام به المؤمنون ، وهذا إنما يكون على قول من يزعم أن الآية خاصة ، ولم يذكر ابن أبي حاتم هذا صريحاً عن أحد من السلف إلا أن يتأول على ذلك قول ابن عباس أو قول سعيد .

أقوال المفسرين هذا ولم يذكر أبو الفرج هذا عن أحد من السلف ، لم يذكره إلا فيما تقدم عن ابن الأنباري ، بل قال : « وللمفسرين في المراد بالقنوت ههنا ثلاثة أقوال : أحدها : أنه الطاعة ، قاله ابن عباس وابن جبير ومجاهد وقتادة . والثاني : الإفرار بالعبادة ، قاله عكرمة والسُّدى . والثالث : القيام ، قاله الحسن والربيع . قال : « وفي معنى القيام قولان : أحدهما : أنه القيام له بالشهادة بالعبودية ، والثاني : أنه القيام بين يديه يوم القيامة » .

لكن طائفة من المفسرين ذكروا عن المفسرين قولين كالشطبي والبنفوي وغيرهما . قالوا : واللفظ للبنفوي <sup>(١)</sup> : « ﴿ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ » قال مجاهد وعطاء والسُّدى : مطيعون . وقال عكرمة ومقاتل : مقرؤون بالعبودية . وقال ابن كيسان : قائلون بالشهادة ، وأصل القنوت القيام ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : أفضل الصلاة طول القنوت » .

قال : « واختلفوا في حكم الآية ، فذهب جماعة إلى أن حكم الآية خاص . قال مقاتل : هو راجع إلى عزير والمسيح والملائكة . وعن ابن عباس أنه قال : هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الناس » .

قال : « وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام في جميع الخلق ، لأن [لفظ] الكل <sup>(٢)</sup> يقتضي الإحاطة بالشيء بحيث لا يشذ منه شيء . ثم سلكوا في الكفار طريقتين ، قال مجاهد : تسجد ظلّاهم لله عز وجل على كره منهم ، قال تعالى : ﴿ وَظَلَّاهُمْ بِالْقُدُوءِ ﴾ .

(١) في تفسيره معالم التنزيل (بذيل تفسير ابن كثير : ط . المنار) ٢٩٣/١ - ٢٩٤ .

(٢) في الأصل : لأن الكل . وما أثبتته عن تفسير البنفوي .

وَالْأَصَالِ ﴿ [سورة الرعد : ١٥] ، وقال السدى : هذا يوم القيامة ، دليله :  
﴿ وَعَتَتْ أَوُجُهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ [سورة طه : ١١١] ، وقيل : قانتون :  
مذللون مسخرون لما خلقوا له .

تعليق ابن تيمية

قلت : من قال بالخصوص فإنه قد ينظر إلى سبب الآية ، وهو أنهم قالوا :  
اتخذ الله ولدا . وهذا إنما قالوه في الملائكة والأنبياء كالمسيح والعزير ،  
فبين سبحانه أن الذين قيل فيهم إنه اتخذهم أولادهم عباد قانتون له ، كما ذكر  
في الأنبياء : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ \*  
لَا يَسْتَفِئُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ \* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ  
وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٦-٢٨] ،  
فإن الضمير في قوله : ﴿ وَقَالُوا ﴾ عائد على المشركين ، وهم إنما قالوا ذلك في الملائكة ،  
وأما المسيح وعزير فإنما قال ذلك فيهما أهل الكتاب ، وسياق الآية يبين  
ذلك فإنه قال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ \* لَوْ أَرَدْنَا  
أَنْ نَّتَّخِذَ لَهُمْ آتَاخِذَانَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ \* بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى  
الْبَاطِلِ قِيدَ مَفْجَةٍ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾  
[سورة الأنبياء : ١٦-٢٦]

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ ، وقوله :  
﴿ لَهْوًا ﴾ قد فُسر بالولد والمرأة وفُسر باللعب ، فإن هذه الآية نظير قوله :  
﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ \* مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾  
الآية [الدخان : ٣٨ ، ٣٩] ، ونظير قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا  
بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية [سورة ص : ٢٧] ، ونظير  
قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ  
لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [سورة الحجر : ٨٥] ، ومثله قوله تعالى  
﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ الآية [سورة المؤمنون : ١١٥] .

فقوله ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ١٦]

فنزّه نفسه أن يكون فعله كفعل اللاعب العايب الذى لا يقصد غاية محدودة يريد سوق الوسائل إليها ، فإن هذا فعل الجاد الذى يجىء بالحق ، كما قال إبراهيم لما آتاه الله رشده من قبل التوراة والقرآن : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ \* قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذِكْرِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٥٢-٥٦] ، فهو لما قال ما قال : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ [ الآية : ٥٥ ] ، فالذى يأتى بالحق خلاف اللاعب ، فإنه يقصد أن يخبر بصدق ويأمر بما ينفع ، وهو العدل ، بخلاف اللاعب العايب فإنه ليس مقصوده هذا ، بل اللهو واللعب .

ولهذا قد يشتم الإنسان على وجه اللعب ويفعل به أفعال منكرة فلا ينكر ذلك كما ينكره من الجاد الحق ، ولهذا كان عامة اللهو باطلا ليس له منفعة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كل هو يلهو به الرجل فهو باطل إلا رمية بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبة امرأته فإنه من الحق »<sup>(١)</sup> . فالحق ضد الباطل ، واللهو باطل ، ولهذا تنزّه سبحانه عن أن يخلقهما باطلا .

ص ٢٣

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ فاللاعب صاحب باطل لا صاحب حق . ولهذا لما دخل عمر على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده الأسود بن سريع ينشده فأسكتته مرتين أو ثلاثا ، قال : « من هذا الذى تسكتنى له ؟ قال : هذا رجل لا يحب الباطل »<sup>(٢)</sup> ، فإن عمر كان لا يحبه ولا يصبر على صاحبه ، والنبي

(١) هو جزء من حديث رواه النسائي ( بشرح السيوطي ) ٦ / ٢٢٢ - ٢٢٣ ( كتاب الخيل ، باب تأديب الرجل فرسه ) عن عتبة بن عامر وأوله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ... » وفيه : « وليس اللهو إلا فى ثلاثة : تأديب الرجل فرسه وملاعبته امرأته ورمية بقوسه ونبله ، ومن ترك الرى بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة كفرها ، أو قال : كفر بها » .

(٢) هذا الحديث مروي بمعناه فى المسند ٣ / ٤٣٥ : المستدرک للحاكم ٣ / ٦١٥ =



صلى الله عليه وسلم كان أحلم وأصبر من عمر ، فهو أيضا لا يحب الباطل ، لكنه يصبر ويحتمل منه ما لم يكن محرما ، ولكن هو لا منفعة فيه لفاعله فإذا فعله احتمله عليه ؛ فهذا بيان قول من فسر اللاعب بالعبث وله نظائر .

والذين فسروا بالولد والزوجة قالوا ذلك لأن من المشركين من جعل لله ولدا وصاحبة ، وقالوا : إنه ضاهى الحق ، وهم يسمون المرأة لهوا والولد لهوا ، وقال ابن قتيبة<sup>(١)</sup> : « أصل اللهو الجماع وكُنِيَ عنه [باللهو]<sup>(٢)</sup> كما كُنِيَ عنه بالسر » .

والنبي صلى الله عليه وسلم قد جعل ملاعبة الرجل امرأته من اللهو الذى ليس بباطل ، والربُّ تعالى منزّه عن اللعب مطلقا ، فإن الذى يلعب امرأته إنما يفعل ذلك<sup>(٣)</sup> ذلك لحاجته إلى المرأة ، وحكمة ذلك بقاء النسل ، والله تعالى منزّه عن الولادة ، فتضمنت هذه الآية تنزيهه عن الخلق عبثا لا لحكمة ، فإن ذلك لعب وعبث ، وتضمنت تنزيهه عن أن يتخذ ما يُلهى به كالمرأة والولد ، ولهذا يبين بعد ذلك أنه إنما خلق ذلك بالحق وأنه منزّه عن الأولاد ، وقال : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ ، واللهو كله باطل فى حق الله تعالى ، وإن كان بعضه من الحق فى حق العباد .

وهو سبحانه وتعالى قال : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾ ، فإن ما يلهو به اللاهى يكون عنده لا يكون بعيدا عنه ، ونحن

== وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ؛ المحب الطبرى فى الرياض النضرة ( ط . الحلبي ) ١ / ٢٧٣ ؛ مجمع الزوائد ٦٦ / ٩ . ورويت قطعة من هذا الحديث فى : المسند ( ط . الحلبي ) ٤ / ٢٤ ؛ الإصابة لابن حجر والاستيعاب لابن عبد البر فى ترجمة الأسود بن سريع ؛ طبقات ابن سعد ٤٧ / ٧ .

(١) فى « تأويل مشكل القرآن » ص ١٢٤ .

(٢) باللهو : زيادة من تأويل مشكل القرآن .

(٣) فى الأصل : إنما جعل ذلك .

خلقنا السموات والأرض وما بينهما فكيف يكون هذا لعباً ؟ ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ قَيْدَمَةً فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ .  
ثم قال : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ \* يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿ [ سورة الأنبياء : ١٩ ، ٢٠ ] ؛ ثم رد على من أشرك به ؛ ثم حكي قول المشركين الذين قالوا اتخذ الرحمن ولداً ، قال سبحانه : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ \* لَا يَسْأَلُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ \* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ نَصْرًا وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ \* وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿ [ سورة الأنبياء : ٢٦ - ٢٩ ] .  
فهذه صفة الملائكة ، والمسيح والمُزَيَّر ونحوها أيضاً هم <sup>(١)</sup> بهذه الصفة فإنهم عباد مكرمون ، قال تعالى عن المسيح : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ [ سورة الزخرف : ٥٩ ] ، وقال : ﴿ لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [ سورة النساء : ١٧٢ ] .

فلما قال تعالى - في البقرة - : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ ، والذين قالوا اتخذ الله ولداً جعلوه إماماً من الملائكة وإماماً من الآدميين كالْمَسِيحِ والمُزَيَّر . فقوله تعالى : ﴿ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ يبين أن هؤلاء الذين قيل فيهم إمامهم أولاد هم عباد له مطيعون كما ذكر في « الأنبياء » وغيرها ، وكما قال : ﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَخْوِيلًا ﴾ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿ [ سورة الإسراء : ٥٦ ، ٥٧ ]  
فبين أن هؤلاء المعبودين هم يعبدون الله تعالى . ومثله قوله : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ

(١) في الأصل : هو

آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بَتَقُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿ [ سورة الإسراء : ٤٢ ]  
على أصح القولين .

القنوت عند  
ابن تيمية عام

فهذا مأخذ من جعل الآية خاصة . لكن يُقال : الآية لفظها عام ، والعموم مقصود منها ، كما هو مقصود من قوله سبحانه : ﴿ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ثم قال : ﴿ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ . فلما كان قوله : ﴿ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ عاماً<sup>(١)</sup> تبين أن الجميع ملوك له ، وللملوك لا يكون ولداً ، وتبين<sup>(٢)</sup> أيضاً أن كلهم له قانتون مطيعون عابدون ، والعابد المطيع لا يكون إلا مملوكاً ، لا يكون ولداً .

وأيضاً فإنه قد ذكر القنوت في سورة « الروم » مجزئاً عن الولد ، فقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [ سورة الروم : ٢٥ ] ، ثم قال : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ \* وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ رَلَهُ الْأَمَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [ سورة الروم : ٢٦ ، ٢٧ ] ، فبين أن له مافي السماوات والأرض وأن كلا له قانتون ، وتخصيص هذا بمن قيل إنه ولد فاسد ظاهر الفساد ، وكذلك تخصيصه بالمؤمنين ، فإن هذا مذكور لبيان عموم الملك والاعتقاد وخضوع المخلوقات كلها له ، فلو خص به المؤمنون لكان ذلك عكس المقصود .

وهو مثل قوله : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [ سورة آل عمران : ٨٣ ] ، فهو سبحانه يدعوهم إلى

(١) في الأصل : عام .

(٢) في الأصل : بين .

يدعومهم إلى دين الإسلام ، ويبين أن كل ما في السماوات والأرض مسلم لله : إما طوعاً وإما كرهاً ؛ وإذا كان لابد من أحدهما فالإسلام له طوعاً هو الذي ينفع العبد ، فلا يجوز أن يتخذ غير هذا الدين ديناً ، فإنه ذكر هذا في تقرير أن كل دين سوى الإسلام باطل فقال : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ ، وذكر بعد ذلك ما يصير به العبد مسلماً مؤمناً فقال : ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ \* ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [سورة آل عمران : ٨٤ ، ٨٥] : ذكر عبادة الله وحده والإيمان برسله كلهم ، كما ذكر في سورة البقرة ، قال أبو العالية : قوله ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ \* عما كانوا يفعلون ﴾ [سورة الحجر : ٩٢ ، ٩٣] قال : خصلتان يُسأل عنهما كل أحد : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟<sup>(١)</sup> وكذلك ذكر سجود من في السماوات والأرض له طوعاً وكرهاً ؟ والسجود هو الخضوع وهو القنوت .

س ٢٤

وأيضاً / فإذا كانت الصيغة عامة لم يجز أن يراد بها الخصوص إلا مع ما يبين ذلك ، فأما إذا جردت عن التخصصات فإنها لا تكون إلا عامة ، والآية عامة عموماً مجرداً - بل مؤكداً - بما يدل على العموم . وأما تخصيص المؤمنين فهذا يكون إذا مدحوا بذلك أو ذكر جزاء الآخرة ، وليس المقصود هنا مدح المؤمنين بطاعته ، وإنما المقصود بيان قدرته وملكوته وخضوع كل شيء له ، وأنه مع هذا وهذا يتمتع أن يكون له ولد مع خضوع كل شيء له وقنوته له . ويقال في الركوع من التسبيح المأثور فيه : سبحان من تواضع كل شيء لعظمته ، سبحان من ذل كل شيء لعزته ، سبحان من استسلم كل شيء لقدرته .

(١) هذا الأثر يعني حديث رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم . انظر : الدر المنثور ١٠٦/٤ . وأخرجه الطبري عن أبي العالية في تفسيره ٤٦/١٤ ( ط . بولاق ) .

أنواع القنوت

الذى يعم  
المخلوقات  
الأولى

وعلى هذا فالقنوت الذى يعم المخلوقات أنواع :

أحدها: طاعة كل شيء لمشيئته وقدرته وخلقه ، فإنه لا يخرج شيء عن مشيئته وقدرته وملكه ، بل هو مُدَبِّرٌ مُعَبَّدٌ مَرْبُوبٌ مَقْهُورٌ ، ولو تخيل إليه فى نفسه أنه لا ربَّ له ، وأنه يقدر أن يخرج عن ملك الرب ، فهذا من جنس ما يتخيل للسكران ، والتأثم المأسور المقهور ، والمجنون المربوط بالأقياد والسلاسل ، بل نفوذ مشيئة الرب وقدرته فى المستكبرين عن عبادته أعظم من نفوذ أمر الأسرى فى أسيره ، والسيد فى مملوكه ، وقِيمُ المارستان فى المجنون بكثيرٍ كثير .

وهذا متوجه على قول أهل السنة الذين يقولون : لا يكون فى ملكه إلا ما يشاء ، فليس لأحد خروج عن القدر المقدور ، ولا يتجاوز ما خُطَّ له فى اللوح المسطور ؛ بخلاف قول القدرية ، فإن العصاة على قولهم خرجوا عن مشيئة وقدرته وحكمه وسلطانه وخلقه ، فليسوا قانتين لأمره الشرعى ولا لأمره القدرى الكونى ؛ وأما أهل السنة فيقولون إنهم قانتون لمشيئته وحكمه وأمره الكونى كما تقدم .

وعلى هذا الوجه فالقانت قد لا يشعر بقنوته ، فإن المراد بقنوته كونه مُدَبِّرًا مَصْرَفًا تحت مشيئة الرب من غير امتناع منه بوجه من الوجوه ، وهذا شامل للعبادات والحيوانات وكل شيء . قال تعالى : ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ [سورة هود : ٥٦] ، وقال تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة يس : ٨٣] .

النوع الثانى من القنوت : هو ما يشعر به القانت ، وهو اعترافهم كلهم الثانى بأنهم مخلوقون مَرْبُوبُونَ وأنه ربهم ، كما تقدم .

الثالث : أنهم يضطرون إليه وقت حوائجهم فيسألونه ويخضعون له ، وإن كانوا إذا أجابهم أعرضوا عنه . قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ

الثالث

دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَانِيًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ  
يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّةٍ ﴿ [سورة يونس : ١٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ  
الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّاهُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ  
وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ [سورة الإسراء : ٦٧] . وهو أخبر أنهم كلهم  
قانتون ، فإذا قنتوا له فدعوه وتضرعوا / إليه عند حاجتهم كانوا قانتين له ،  
وإن كان إذا كشف الضر عنهم نسوا ما كانوا يدعون إليه وجعلوا  
له أنداداً .

ظ ٢٤

الرابع : أنهم كلهم لابد لهم من القنوت والطاعة في كثير من أوامره ،  
وإن عصوه في البعض ، وإن كانوا لا يقصدون بذلك طاعته ، بل يُسلمون له  
ويسجدون طوعاً وكرهاً . وذلك أنه أرسل الرسل وأنزل الكتب بالعدل ،  
فلا صلاح لأهل الأرض في شيء من أمورهم إلا به ، ولا يستطيع أحد أن  
يعيش في العالم مع خروجه عن جميع أنواعه ، بل لابد من دخوله في شيء من  
أنواع العدل ، حتى قطاع الطريق لابد لهم فيما بينهم من قانون يتفقون عليه ،  
ولو أراد واحد منهم أن يأخذ المال كله لم يمكنه ، وأظلم الناس وأقدرهم  
لا يمكنه فعل كل ما يريد ، بل لابد من أعوان يريد أرضاءهم ومن أعداء  
يخاف تسلطهم ، ففي قلبه رغبة ورهبة تلجئه إلى أن يلتزم من العدل الذي أمر  
الله تعالى به ما لا يريد فيسلم الله ويقنت له وإن كان كارهاً . وهو سبحانه قال :  
﴿ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ ، والقنوت العام يراد به الخضوع والاستسلام  
والانقياد ، وإن كان في الباطن كارهاً ، كطاعة المنافقين : هم خاضعون للمؤمنين  
مطيعون لهم في الظاهر ، وإن كانوا يكرهون هذه الطاعة

الرابع

الخامس : خضوعهم لجزائه لهم في الدنيا والآخرة ، كما ذكر من ذكر أنهم  
قانتون يوم القيامة ، وهو سبحانه قد يجزي الناس في الدنيا فيهلكهم وينتقم منهم .

الخامس

كما أهلك قوم نوح وعاداً وثموداً وفرعون فكانوا خاضعين منقادين لجزائه وعقابه قانتين له كرها .

والجزاء يكون في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة ، وهو سبحانه قائم على كل نفس بما كسبت ، وهو قائم بالقسط ، والجميع مستسلمون لحكمه ، قانتون له في جزائهم على أعمالهم ، والمصائب التي يصيبهم في الدنيا جزاء لهم . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [ سورة الشورى : ٣٠ ] ، وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَبِمَنْ هُوَ اللَّهُ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَبِمَنْ نَفْسِكَ ﴾ [ سورة النساء : ٧٩ ] .

فهذه خمسة أنواع : قنوتهم لخلقهم وحكمه وأمره قدراً ، واعترافهم بربوبيته ، واضطرارهم إلى مسألته والرغبة إليه ، ودخولهم فيما يأمر به وإن كانوا كارهين ، وجزاءهم على أعمالهم . ودخولهم فيما يأمر به مع الكراهة يدخل فيه المناقق والمعطى للجزية عن يده وهو صاغر ، والذي يسلم أولاً رغبة ورهبة ، فالقنوت شامل داخل للجميع ، لكن المؤمن يقنت له طوعاً وغيره يقنت له كرها ، قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [ سورة الرعد : ١٥ ] .

### ﴿ فصل ﴾

والسجود من جنس القنوت ، فإن السجود الشامل لجميع المخلوقات هو المتضمن لفاية الخضوع والذل ، وكل مخلوق فقد تواضع / لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته ، ولا يجب أن يكون سجود كل شيء مثل سجود الإنسان على سبعة أعضاء ، ووضع جبهة في رأس مدور على التراب ، فإن هذا سجود مخصوص من الإنسان ، ومن الأمم من يركع ولا يسجد ، وذلك سجودها

كما قال تعالى : ﴿ اَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً ﴾ [سورة البقرة : ٥٨] ، وإنما قيل ادخلوه رُكْعًا . ومنهم من يسجد على جنب كاليهود ، فالسجود اسم جنس ، ولكن لما شاع <sup>(١)</sup> سجود الآدميين المسلمين صار كثير من الناس يظن أن هذا هو سجود كل أحد كما في لفظ « القنوت » .

وكذلك لفظ « الصلاة » لما كان المسلمون يصلون الصلاة للعروفة ، صار يظن من يظن أن كل من صلى فهكذا يصلي ، حتى صار بعض أهل الكتاب ينفرون من قولنا : إن الله يصلي ، ويترهونه عن ذلك ، فإنهم لم يعرفوا من لفظ « الصلاة » إلا دعاء المصلي لغيره وخضوعه له ، ولا ريب أن الله منزّه عن ذلك ، لكن ليست هذه صلاته سبحانه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [سورة النور : ٤١] .

وهو سبحانه قد ذكر سجود الظل في غير موضع كقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٥] ، ومعلوم أن الظل إذا سجد لم يسجد على سبعة أعضاء : يضع رأسه ويديه ثم يرفع رأسه ويديه ، بل سجوده ذله وخضوعه .

تفسير قوله تعالى : (وادخلوا الباب سجدا) الآية  
وقد سَمَّى الله تعالى المنحني ساجدا وإن لم يصل إلى الأرض في قوله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا اَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٥٨] ، وفي الأعراف : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ

(١) في الأصل : ولكن لما ساغ .. الخ .



الْقَرْيَةِ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا  
 نَفَرَ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ [سورة الأعراف : ١٦١] .  
 فهنا لما أمرهم بالسكنى ، وهى المقام ، قال : ﴿ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾  
 ولم يحتج أن يقال : رغداً ، فإن الساكن المقيم مطمئن ، وهناك قال : ﴿ ادْخُلُوا  
 هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ قال : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ ، فبين أنهم يأكلون  
 رغداً فيتهنون<sup>(١)</sup> لا يخافون الخروج . وبسط الكلام فى البقرة وذكر الدخول  
 لأنه قبل السكنى . ولهذا قال : ﴿ رَغَدًا ﴾ ، وقال : ﴿ وَسَنَزِيدُ ﴾ وقال : ﴿ قَبْدَلِ  
 الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا  
 مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٥٩] .

وقدّم السجود لأنه أهم . وقد اختلفوا فى هذا السجود ، فقليل : هو  
 الركوع ، كما روى ابن أبى حاتم من وجهين ثابتين عن سفيان الثورى ، عن  
 الأعمش ، عن النبال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله :  
 ﴿ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ قال : « رُكْعًا من باب صغير ، فدخلوا من قِبَلِ  
 أَسْتَاهِمِمْ ، وقالوا : حنطة »<sup>(٢)</sup> . وقيل : « بل هو السجود بالأرض »<sup>(٣)</sup> . ثم قيل  
 ما رواه ابن أبى حاتم عن الربيع بن أنس ، قال : « سُجَّدًا ، قال : كان سجود  
 أحدهم على خده » . وروى عن وهب بن منبّه قال : « إذا دخلتموه فاسجدوا شكرا  
 لله » فكان صاحب هذا القول جعل السجود بعد الدخول ، ومن قال بهذا  
 أو قال بأنهم أمروا بالركوع فهو يقول : دخولهم وهم سجد بالأرض فيه

(١) يتهنون : مخفف يتهأون . فى اللسان : هنأت الطعام أى تهأت به ... وفى المثل :  
 تهأت فلان بكذا وتمراً وتسمن وترين بمعنى واحد . . . وأكلنا من هذا الطعام حتى هنأنا منه  
 أى شعبنا . . . وكل أمر يأتيك من غير تعب فهو هنىء .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٢ / ١٠٤ ( الآثار ١٠٠٦ - ١٠٠٨ ) ، ١١٣ - ١١٤  
 ( الآثار ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ) ؛ الدر المنثور ١ / ٧١ ؛ ابن كثير ١ / ٩٩ .

(٣) انظر تفسير الطبرى ٢ / ١١٥ ( الأثر ١٠٣٢ ) .

صعوبة / وقد يؤدي أحدهم ولكن هو ممكن ، فإن الإنسان يمكنه حال السجود  
ط ٢٥ أن يزحف إذا كانت الأرض لا تؤذيه .

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه : « قال  
لهم : ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ، فدخلوا يزحفون على أستاههم ويقولون  
حبة في شجرة » <sup>(١)</sup> .

فهذا هو الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وابن مسعود  
وغيرهما في ذلك أقوالاً تخالف هذا ، فقال خصيف عن عكرمة عن ابن عباس :  
« فدخلوا على شق » . وروى السدي عن أبي سعد الأزدي <sup>(٢)</sup> عن أبي الكنود  
عن ابن مسعود : « فدخلوا مقنعي رؤوسهم » <sup>(٣)</sup> .

قال ابن أبي حاتم : اختلف التابعون فروى عن مجاهد نحو قول عكرمة عن  
ابن عباس وروى عن السدي نحو ما روى عن ابن مسعود وعن مقاتل أنهم  
دخلوا منكفئين <sup>(٤)</sup> وأما القول <sup>(٥)</sup> فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم  
قالوا : حبة في شعره ، وإذا ثقت الحبة وأدخلت فيها الشعرة فإنه يقال : حبة في

(١) الحديث بمعناه في : البخاري ٦ / ١٨ - ١٩ ( كتاب التفسير ، سورة البقرة ) ؛  
مسلم ٨ / ٢٣٧ - ٢٣٨ ( كتاب التفسير ، سورة البقرة ) ؛ الترمذي ( بشرح ابن العربي )  
١١ / ٧٧ - ٧٩ ( كتاب التفسير ، سورة البقرة ) ؛ المسند ( ط . المعارف ) ١٥ / ٢٤٣  
( رقم ٥٩٠٨ ) ، وقال الملق رحمه الله : « وهو في جامع المسانيد والسنن ٧ / ٣٩٠ » .  
وتكلم ابن كثير عن الحديث بالتفصيل في تفسيره ١ / ٩٩ . وانظر : تفسير الطبري  
٢ / ١١٢ - ١١٣ ( وكلام الشيخ أحمد شاكر في التعليق ) ؛ الدر المنثور ١ / ٧١ .  
(٢) في تفسير الطبري ١ / ١١٣ : « عن أبي سعيد » وهو أبو سعد الأزدي الكوفي  
قاريء الأزدي . قال ابن حجر في « تقريب التهذيب » ٢ / ٢٤٦ : ويقال أبو سعيد .  
(٣) بجاء هذا القول في تفسير الطبري ٢ / ١١٤ - ١١٥ في أثري الأول عن ابن عباس  
والثاني عن عكرمة ؛ وفي الدر المنثور ١ / ٧١ عن ابن مسعود .

(٤) في الأصل رسمت الكلمة « ملتفتين » ورجعت أن يكون الصواب ما أثبتته . وعلى  
الكلمة لإشارة إلى الهامش حيث كتبت كلمة « منكبين » وعليها حرف « خ » لإشارة إلى نسخة  
أخرى .

(٥) أي : وأما قولهم .

شعرة ، ويقال : شعرة في حبة ، وهذا معنى ما رواه السدي عن مرة عن ابن مسعود أنه قال : إنهم قالوا : هطى سمقانا أزره مزبا « وهي بالعربية : حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعرة سوداء <sup>(١)</sup> ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ . وكذلك رواه السدي عن أبي سعد الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن ابن مسعود ، وهذا موافق لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم . لكن النبي صلى الله عليه وسلم إنما تكلم بالعربية ، وهذا اللفظ أخذه ابن مسعود عن أهل الكتاب ؛ وهذا أصح من قول ابن عباس أنهم قالوا : حنطة ، مع أن هذا مروي عن غير واحد .

قال ابن أبي حاتم : وروى عن مجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة والضحاك والحسن والربيع ويحيى بن رافع نحو ذلك ، لكن قد يقال : الحبة هي الحنطة ، وهم لم يقولوا بالعربية بل بلسانهم ، وهم إذا قالوا بلسانهم ما معناه : حبة حنطة : جاز أن يقال : حنطة . وحديث ابن مسعود وقد ذكر أنهم قالوا : حبة حنطة ، فلا يكون في القول خلاف .

وأبو الفرج ذكر خمسة أقوال وهي ترجع إلى هذا . ذكر الحديث المرفوع ، والثاني حنطة ، والثالث أنهم قالوا : حبة حنطة حمراء فيها شعرة سوداء - قاله ابن مسعود ، والرابع كذلك إلا أنهم قالوا مثقوبة - قاله السدي عن أشياخه .

قلت : كلاهما رواهما السدي عن ابن مسعود وهما قول واحد .

قال : والخامس أنهم قالوا : استقلاباً ، قاله أبو صالح .

(١) في الأصل رسمت العبارة العربية تطن سمقانا ارنه مزبا . وسترد كلمة سمقانا بعد قليل مرة أخرى . وقد ورد هذا الأثر في تفسير الطبري ٢ / ١١٤ ( رقم ١٠٢٩ ) ؛ ابن كثير ١ / ٩٩ ؛ الدر المنثور ١ / ٧١ . وانظر تفسير القرطبي ١ / ٤١١ ؛ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص ٥٥ .

قلت: هذا الذى ذكره ابن مسعود بلسانهم «سمقانا»<sup>(١)</sup> وقد فسر به بذلك.

قال: الأقوال كلها واحدة بخلاف صفة الدخول، فإن الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم دخلوا يزحفون على أستاههم، وفي لفظ: على أوراكهم، والمعنى واحد، وما نقل خلاف هذا فإنما أخذ عن أهل الكتاب، وقد كان يؤخذ عنهم الحق والباطل. وقول ابن مسعود: مقنع رؤوسهم، لا يناقض الزحف على أستاههم. وابن عباس قال: يزحفون على أستاههم، كالرفوع، وقال: قيل: ادخلوا ركعاً، فلو جزمنا أن هذا مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم لجزمنا بأن الله أمرهم بالركوع، لكن ظاهر القرآن هو السجود، والسجود المطلق هو السجود المعروف، وكون الباب جُمِلَ صغيراً إنما يكون لمن يُسكِرُه على الدخول منه ليحتاج أن ينحني، وهؤلاء قصدت طاعتهم فأمرُوا بالخضوع لله والاستغفار، فدخولهم سجداً هو خضوع لله وقولهم: خطه، أى احطط عنا خطايانا، هو استغفارهم، كما أخبر الله تعالى أن داود خَرَّ راكعاً وأُنا ب<sup>(٢)</sup>، وكما شرع للمسلمين أن يستغفروا في سجودهم.

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في سجوده: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دِقَّةَ وَجِلِّه، أوله وآخره، علانيته وسره»<sup>(٣)</sup>. وكان أيضاً يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»<sup>(٤)</sup>. وكان يقول في

(١) في الأصل سمقانا وعليها إشارة إلى الهامش حيث كتب «سمقانا» وعليها حرف «خ» أى في نسخة أخرى.

(٢) إشارة إلى الآية ٢٣ من سورة ص: ( ... وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأُنا ب ).

(٣) الحديث في: مسلم ٥٠/٢ (كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود).

(٤) الحديث في مسلم ٥١/٢ (الكتاب والباب السابقان) عن عائشة رضى الله عنها قالت: «فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفرائض فالتصت فوقت يدي على بطن قدميه وهو في السجود وهما منصوبتان وهو يقول: اللهم أعوذ برضاك من سخطك... الحديث».

ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي ؛ يتأول القرآن<sup>(١)</sup> .  
وثبت في الصحيح لمسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء »<sup>(٢)</sup> . وفي الصحيح  
أيضاً لمسلم عن ابن عباس قال : كشف النبي صلى الله عليه وسلم الستارة والناس  
صفوف خلف أبي بكر فقال : « يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة  
إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرعى له ، ألا وإنني نُهيت أن أقرأ القرآن راکماً أو  
ساجداً . فأما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن  
أن يستجاب لكم »<sup>(٣)</sup> .

ففي هذين الحديثين أنه خص السجود بالأمر بالدعاء فيه . ولهذا كان من  
أهل العلم من يكره الدعاء في الركوع دون السجود .

وحينئذ فأمرهم بالاستغفار وقولهم حِطَّة في السجود أشبهه ، فلم يثبت لنا إلى  
الآن أن الركوع يُسمى سجوداً بخلاف العكس ، فإنه قال في حق داود : ﴿ وَخَرَّ  
رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [سورة مريم : ٢٤] . وقد ثبت بالنص الصحيح واتفاق الناس  
أن داود سجد ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سجدها داود توبة ونحن  
نسجدها شكراً »<sup>(٤)</sup> . وفي صحيح مسلم عنه عن ابن عباس قال : « نبيكم ممن أمر أن  
يَقْتَدِيَ به ، سجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم »<sup>(٥)</sup> . وفي صحيح

(١) الحديث في : البخارى ١٥٩/٢ ( كتاب الصلاة ، باب التيسير والدعاء في السجود ) ؛  
مسلم ٥٠ / ٢ .

(٢) الحديث في مسلم ٤٩ / ٢ - ٥٠ .

(٣) الحديث في مسلم ٤٨ / ٢ وفيه .. فقال : أيها الناس ( كتاب الصلاة ، باب النهي  
عن قراءة القرآن في الركوع والسجود ) .

(٤) قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية من سورة مريم بعد أن أورد الحديث : « تفرد  
بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات » .

(٥) الحديث في البخارى ١٦١ / ٤ ( كتاب الأنبياء ، باب واذكر عبدنا داود ) ،  
١٢٤ / ٦ ( كتاب التفسير ، سورة مريم ) : نصه : « عن مجاهد قلت لابن عباس : أسجدني  
من ؟ فقرأ : ( ومن ذريته داود وسليمان ) حتى أتى ( فبهداًم اقتده ) فقال : نبيكم صلى الله  
( ٣ جامع الرسائل - ١ )

مسلم عنه أيضاً قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها »<sup>(١)</sup> وفي الترمذى وغيره عن ابن عباس قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني رأيتنى الليلة وأنا نائم كأنى أصلى خلف شجرة ، فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى ، فسمعتها وهى تقول : اللهم اكتب لى بها عندك أجراً ، وضع عنى بها وزراً ، واجعلها لى عندك ذخراً ، وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود ؛ فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم سجدة ص ثم سجد ، فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل من قول الشجرة »<sup>(٢)</sup> .

والآثار عن السلف متواترة بأن داود سجد ، فكل ساجد راكم ، وليس كل راكم ساجداً ، فإنه إذا سجد من قيام انحنى انحناء الراكع وزاد فإنه يصير ساجداً ، ولو صلى قاعداً أيضاً انحنى انحناء الركوع وزاد فإنه يصير ساجداً ، فالساجد راكم وزيادة ، فلهذا جاز أن يُسمى راکماً وأن يُجعل الركوع نوعين : ركوعاً خفيفاً ، / وركوعاً تاماً ، فالقيام هو السجود ، بخلاف لفظ السجود فإنه إنما يستعمل فى غاية الذل والخضوع ، وهذه حال الساجد لا الراكع .

ظ ٢٦

== عليه وسلم ممن أمر أن يقتدى بهم . ولم يذكر النابلسى فى ذخائر الموارث ٧٠ / ٢ أنه فى غير البخارى ؛ وقال الشوكانى فى نيل الأوطار ٣ / ١٢٠ إن ابن خزيمة رواه .

(١) الحديث فى البخارى ٤٠ / ٢ ( كتاب الجمعة ، باب ماجاء فى سجود القرآن وسنتها ) :

« عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ص ليس من عزائم السجود وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها » . وهو مروي فيه أيضاً ٤ / ١٦١ ( كتاب الأنبياء ، باب واذا ذكر عبدنا داود ) . وقال النابلسى فى « ذخائر الموارث » ٢ / ٤٩ : إن الحديث فى البخارى فى الموضعين السابقين وفى سنن أبى داود فى الصلاة عن موسى بن إسماعيل وفى الترمذى فيه عن ابن أبى عمير وفى النسائى فيه عن إبراهيم بن الحسن المقسى . ولم يذكر أنه فى مسلم . وقد ورد الحديث فى المسند ( ط . المعارف ) ٤ / ١٨٠ ( رقم ٢٥٢١ ) ، ٥ / ١٣١ ( رقم ٣٨٧ ) ولم يذكر المعلق رحمه الله أنه فى مسلم ، وكذا الشوكانى فى نيل الأوطار ٣ / ١١٩ .

(٢) ذكر الحديث ابن كثير فى تفسيره وقال : « رواه الترمذى عن قتيبة ، وابن ماجه

عن أبى بكر بن خلاد ، كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه ، وقال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » . والحديث فى : الترمذى ( بفتح ابن العربى ) ٣ / ٦٠ ( كتاب الصلاة ، باب ما يقول فى سجود القرآن ) ؛ سنن ابن ماجه ١ / ٣٣٤ ( كتاب إقامة الصلاة ، باب سجود القرآن ) .

لكن ليس من شرط السجود مطلقاً أن يصل إلى الأرض ، فقد ثبت في الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي على راحلته قَبْلَ أى وجه توجّهت به ، ويؤثر عليها ، غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة<sup>(١)</sup> .

وقد اتفق المسلمون على أن المسافر الراكب يتطوع على راحلته ويجعل سجوده أخفض من ركوعه وإن كان لا يسجد على مستقرّ ، وكذلك الخائف ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٩] يصلي إلى القبلة وإلى غير القبلة ، ويومئ بالركوع والسجود ولا يصل إلى الأرض .

فعلّم أن الهيئة المأمور بها في السجود على الأرض وعلى سبعة أعضاء هي أكمل سجود ابن آدم ، وله سجود لا يسجد فيه على الأرض ولا على سبعة ، بل يخفض فيه رأسه أكثر من خفض الركوع ، ولهذا كان عند جمهور العلماء لو رُكع في سجود التلاوة بدلا عن السجود لم يُجزّره ، ولكن إذا كانت السجدة في آخر السورة فله أن يفعل كما ذكره ابن مسعود أنه يكتفي بسجود الصلاة فإنه ليس بينه وبينه إلا الركوع ، وهذا ظاهر مذهب أحمد ومذهب أبي حنيفة وغيرهما ، لكن قيل : إنه جعل الركوع مكان السجود ، والصحيح أنه إنما جعل سجود الصلاة هو المجزئ كما لو قرأ ، فإن الركوع عمل فيه فلم يجعل فصلاً ، لاسيما وهو مقدمة للسجود ، ومن الناس من قال في قصة داود إنه خرّ ساجداً بعد ما كان راكعاً . وذكر أن الحسين بن الفضل قال لأبي عبد الله بن طاهر عن قوله : ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا ﴾ [سورة س : ٢٤] ، هل يقال للراكع : خرّ؟ قال : لا ، ومعناه نقر بعد ما كان راكعاً ، أى سجد .

(١) انظر ما ذكره الشوكاني في نيل الأوطار : باب صلاه النضر على الراحلة إلا لعذر ٢ / ١٤٨ - ١٥٠ ؛ باب تطوع المسافر على مركوبه حيث توجه به ٢ / ١٨٢ - ١٨٣ ؛ باب أن الوتر سنة مؤكدة وأنه جائز على الراحلة ٣ / ٣٥ - ٣٧ .

وهذا قول ضعيف ، والقرآن إنما فيه : ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا ﴾ لم يقل : خر بعد ما كان راکماً ، ولا كان داود حين تحاكموا إليه راکماً ، بل كان قاعداً معتدلاً أو قائماً نحرّاً ساجداً ، وسؤال ابن طاهر إنما يتوجه إذا أريد بالركوع انحناء القائم كركوع الصلاة ، وهذا لا يقال فيه خراً .

والمراد هنا السجود بالسنة واتفاق العلماء ، فالمراد خراً ساجداً ، وسماه ركوعاً لأن كل ساجد راکع لا سيما إذا كان قائماً ، وسجود التلاوة من قيام أفضل ، ولعل داود سجد من قيام ، وقيل : خر راکماً ليبين أن سجوده كان من قيام وهو أكمل ، ولفظ « خراً » يدل على أنه وصل إلى الأرض فجمع له معنى السجود والركوع ، والسجود عبادة تُفعل مجردة عن الصلاة كسجود الشجرة وسجود داود وسجود التلاوة والشكر وسجود الآيات<sup>(١)</sup> وغير ذلك ، وهل يشترط له شروط الصلاة ؟ على قولين ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي ذر أنه قال : « كنت في المسجد حين وجبت الشمس ، فقال : يا أبا ذر تدري أين تذهب الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي الله عز وجل فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها ، وكأنها قد قيل لها : ارجعي من حيث جئت ، فترجع إلى مطلعها فذلك مستقرها . ثم قرأ : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ [سورة يس : ٣٨] »<sup>(٢)</sup> .

ص ٢٧

(١) في سنن أبي داود ٤٢٥ / ١ (كتاب الصلاة ، باب السجود عند الآيات) : « عن عكرمة قال : قيل لابن عباس : مات فلانة ، بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فخر ساجداً ، فقيل له : تسجد هذه الساعة ؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم آية فاسجدوا ، وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؟ » .  
(٢) الحديث بمعناه في : البخاري ٩ / ١٢٥ (كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء) ؛ مسلم ١ / ٩٦ (كتاب الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان) ؛ وانظر الدر المنثور ٥ / ٢٦٣ .



فقد أخبر في هذا الحديث الصحيح بسجود الشمس إذا غربت واستئذناها ، وكذلك قال أبو العالية وغيره . قال أبو العالية : ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجداً حين يغيب ، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه . ومعلوم أن الشمس لا تزال في الفلك كما أخبر الله تعالى بقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٣] فهي لا تزال تسبح في الفلك ، وهي تسجد لله وتستأذنه كل ليلة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فهي تسجد سجوداً يناسبها ، وتخضع له وتخضع ، كما يخضع ويخضع كل ساجد من الملائكة والجن والإنس .

وكذلك قوله : ﴿ قَسَابَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ [سورة الدخان : ٢٩] . بكاء كل شيء بحسبه ، قد يكون خشية لله ، وقد يكون حزناً على فراق المؤمنين . روى ابن أبي حاتم ، عن ابن وهب ، أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : قال : عمرو ، يعني ابن دينار : إني ليلة أطوف بالبيت ، إذ سمعت حنين رجل بين الأستار والكعبة وبكاءه وتضرعه ، فوقفت لأعرفه ، فذهب ليل وجاء ليل وهو كذلك حتى كاد يسفر فأنكشف الستور عنه ، فإذا هو طاووس رضى الله عنه ، فقال : من هذا ، عمرو ؟ قلت : نعم أمتع الله بك ، قال : متى وقفت ههنا ؟ ، قال : قلت : منذ طويل . قال : ما أوقفك ؟ قلت : سمعت بكاءك : فقال : أعجبك بكائي <sup>(١)</sup> ؟ ، قلت : نعم ، قال : وطلع القمر في حرف أبي قُبَيْس <sup>(٢)</sup> . قال : ورب هذه البنية <sup>(٣)</sup> إن هذا القمر ليبكى من

(١) « أعجبك بكائي » من « أعجبه الأمر : حله على العجب منه ، وكسبه التعجب »

انظر اللسان (عجب) .

(٢) في معجم البلدان : « أبو قبيس بلفظ التصغير ، كأنه تصغير قبس النار ، وهو اسم الجبل المشرف على مكة . . . قيل : سمى باسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى فيه قبة . . . وهو أحد الأخشين » . وانظر أيضاً : معجم ما استعجم ٣ / ١٠٤٠ : الجبال والمكنة والمياه للزخمرى ، ص ٧ ، ط . النجف ، ١٣٨١ / ١٩٦٢ .

(٣) في اللسان : « والبنية - على فصيحة - الكعبة لشرافها إذ هي أشرف مبنى . . . وكانت تدمى بنية إبراهيم لأنه بناها ، وقد كثر قسمهم برب هذه البنية » .

خشية الله ولا ذنب له ، ولا يُسأل عما عمل ولا يحازمى به ، فمجبت أن بكيتُ من خشية الله وأنا صاحب الذنوب ، وهذا القمر يبكي من خشية الله ، وقرأ ابن زيد : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ ﴾ [سورة الحج : ١٨] قال : فلم يستثن من هؤلاء أحداً حتى جاء ابن آدم استثناه فقال : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ [سورة الحج : ١٨] ، قال : والذي كان هو أحق بالشكر هو أكفرهم ، ثم قرأ : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُلَآمَاءُ ﴾ [سورة فاطر : ٢٧ ، ٢٨] قال : وكذلك اختلفوا في دينهم كما اختلف الأولون<sup>(١)</sup>.

ولفظ « السجود » يستعمل في اللغة لخضوع الجامدات وغيرها ، كالبيت المعروف :

السجود في  
اللفظ

يَجِيشُ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَانِهِ تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ<sup>(٢)</sup>

(١) انظر لهذا الخبر والذي قبله : الدر المنثور ٤/ ٣٤٨ .  
(٢) في الأصل : يجيش تظل . والتصويب من المصادر المذكورة بعد . والبيت لزبد الخليل ، والرواية فيه مختلفة فهي تارة : بجمع ، وتارة : بجيش ، وفي الشطر الثاني : ترى الأكَم منه ، وفي رواية : فيها ، وفي ثالثة : منها . قال الأستاذ محمود محمد شاكر في تعليقه ( تفسير الطبري ٢/ ١٠٤ ) أن البيت في : « الكامل ١/ ٣٥٨ ، والمعاني الكبير : ٨٩٠ ، والأضداد لابن الأباري : ٢٥٦ . وحامسة ابن الشجري : ١٩ ، ومجموعة المعاني : ١٩٢ وغيرها .  
والباء في قوله « بجمع » متعلقة ببيت سالف هو :

بني عامرٍ هل تعرفون إذا عدا أبو مكنفٍ قد شدَّ عقدَ الدَّوَابِرِ ؟

والبلق جمع أبلق وبلقاء : الفرس يرتفع تحجيلها إلى الفخذين ، والمجرات جمع حجرة ( بفتح فسكون ) الناحية . والأكم ( بضم فسكون ، وأصلها بضمتين ) جمع لأكَم ، جمع أكمة ، وهي تل يكون أشد ارتفاعاً مما حوله ، ودون الجبل ، غليظ فيه حجاره . قال ابن قتيبة في المعاني الكبير : يقول : إذا ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف ، ففيها أخرى أن يضل . بصف كثرة الجيش ، ويريد أن الأكَم قد خشمت من وقع الحوافر . وورد البيت مرة ثانية في التفسير ٢/ ٢٤٢ ( وانظر التعليق ) .

قال ابن قتيبة<sup>(١)</sup>: «حجرانه جوانبه ، يريد أن حوافرا الخيل قد بلغت الأكم ووطئتها حتى خشعت وانخفضت » .

قال ابن عطية في قوله: ﴿يَتَقَفَّيْ أَظْلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ [سورة النحل: ٤٨]:  
وقالت فرقة منهم الطبري<sup>(٢)</sup> عبّر عن الخضوع والطاعة وميلان الظلال ودورانها<sup>(٣)</sup> بالسجود ، كما يقال للمشير برأسه نحو الأرض على وجه الخضوع :  
ساجد ، / ومنه قول الشاعر :

وكلتا مَها خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُهَا      كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحْنَفِ<sup>(٤)</sup>

### ﴿فصل﴾

وإذا كان كذلك فالله سبحانه ذكر في الرعد قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [سورة الرعد: ١٥] فعمّ في هذه الآية ولم يستثن ، وقسم السجود إلى طوع وكره . وقال في الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [سورة الحج: ١٨] .

وفي هذا «الكثير» قولان : أحدهما أنه لم يسجد فهذا حق عليه العذاب ، كما تقدم عن طاووس ، وهو قول الفراء وغيره . والثاني : أنه سجد وحق عليه العذاب ، فإنه ليس هو السجود المأمور به .

(١) في « تأويل مشكل القرآن » ص ٢٣٢ ( ط . عيسى الحلبي ) وليس فيه عبارة : « حجرانه جوانبه » وفيه : « قد قلت الأكم » . وانظر تعليق الأستاذ السيد أحمد صقر .

(٢) انظر تفسير الطبري ( بولاق ) ١٤ / ٧٩ .

(٣) في الأصل : الظل ودورانها .

(٤) قال الأستاذ محمود محمد شاكر ( تفسير الطبري ٢ / ١٤٤ ) أن البيت لأبي الأخرز الحناني ، وذكر أنه في سيبويه ٢ / ٢٩ ، ١٠٤ ، واللسان ( حنف ) . وقال في شرحه : « يصف ناقتين طأطأتا رؤوسهما من الإعياء ، فشبه رأس الناقة في طأطأتها برأس النصرانية إذ طأطأته في صلاتها . وأسجد الرجل : طأطأ رأسه وخفضه وانحنى » .

قال أبو الفرج : « وفي قوله : ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ قولان : أحدهما : أنهم الكفار وهم يسجدون ، وسجودهم سجود ظلمهم ، قاله مقاتل . والثاني : أنهم لا يسجدون ، والمعنى : وكثير من الناس أبى السجود ويحق عليه العذاب لتركه السجود ، هذا قول الفقهاء . »

قلت : ذا قول الأكرين ، وقد ذكر البغوي<sup>(١)</sup> في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية - قال : « قال مجاهد : سجودها تحول ظلالها ، وقال أبو العالية : ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته . » قال : « وقيل : سجودها بمعنى الطاعة ، فإنه مامن جهاد إلا وهو مطيع لله خاشع له<sup>(٢)</sup> مسبح له ، كما أخبر الله عز وجل عن السماوات والأرض : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [سورة فصلت : ١١] . وقال في وصف الحجارة : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَنْ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ٧٤] ، ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [سورة الإسراء : ٤٤] . »

قال : « وهذا مذهب حسن موافق لقول أهل السنة . »

قلت : قد تقدم قول الطبري وغيره بهذا القول ، فإذا كان السجود في هذه الآية ليس عامًّا وهو هناك عام ، كان السجود المطلق هو سجود الطَّوْع . فهذه المذكورات تسجد تطوعاً هي وكثير من الناس ، والكثير الذي حقَّ عليه العذاب إنما يسجد كرهاً ، وحينئذ فالكثير الذي حقَّ عليه العذاب لم يقل فيه إنه يسجد ولا نفى عنه كل سجود ، بل تخصيص من سواه بالذكر يدل

(١) في تفسيره ٥ / ٥٦٢ .

(٢) في تفسير البغوي : خاشع لله .

على أنه ليس مثله ، وحينئذ فإذا لم يسجد طائفاً حصل فائدة التخصيص وهو مع ذلك يسجد كارهاً ، فكلا القولين صحيح . وكذلك قال طائفة من المفسرين - واللفظ للنفوى - قالوا ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ بكفرهم <sup>(١)</sup> وتركهم السجود ، وهم مع كفرهم تسجد ظلالم لله تعالى .

وقال في سورة النحل : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُونَ ظِلَالَهُ عَنِ الْأَيْمَنِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ \* وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ \* يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤٨ - ٥٠]

قال : فلفظ « دابة » / إن لم يتناول بنى آدم ، فالإبل تسجد طوعاً ، وإن تناول بنى آدم فسجودهم طوعاً وكرهاً .

س ٢٨

### ﴿ فصل ﴾

والذين فسروا السجود بالخضوع والانقياد لهم في سجودها قولان ، أحدهما : أنه كونها مصنوعة مخلوقة مقادة لمشيئة الله واختياره ، كما قالوا في تسبيحها مثل ذلك ، وأنه شهادتها ودالاتها على الخالق . قال أبو الفرج في قوله : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة الرعد : ١٥] : الساجدون على ضربين : أحدهما : من يعقل فسجوده عبادة . والثاني : من لا يعقل فسجوده بيان أثر الصنعة فيه والخضوع الذي يدل على أنه مخلوق ، هذا قول جماعة من العلماء واحتجوا باليبس المتقدم :

\* ترى ألاكم فيه سجداً للحوافر \*

قال : وأما الشمس والقمر والكواكب فألحقها جماعة بمن يعقل ، قال

(١) في تفسير البغوى ٥ / ٥٦٣ « وهم الكفار لكفرهم » .

أبو العاليه : سجودها حقيقة مامنها غارب إلا آخر ساجداً بين يدي الله عز وجل ثم لا ينصرف حتى يؤذن له . قال : ويشهد لقول أبي العاليه حديث أبي ذر ، وذكره . قال : وأما النبات والشجر فلا يخلو سجوده من أربعة أشياء ، أحدها : أن يكون سجوداً لانعله ، وهذا إذا قلنا برده فيها<sup>(١)</sup> . والثاني : أنه تقيؤ ظلاله . والثالث : بيان الصنعة فيه . والرابع : الانقياد لما سخر له .

قلت : الثالث والرابع من نمط واحد وهو كالتقدم ، وأما السجود الذي لانعله فهو كما ذكره البغوي وقال البغوي أيضاً في قوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ٧٤] فإن قيل : الحجر لا يفهم فكيف يخشى؟! ، قيل : الله يفهمها ويلهمها فتخشى بإلهامه . قال : ومذهب أهل السنة أن الله علماً في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره ، ولها صلاة وتسبيح وخشية كما قال عز وجل : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ ﴾ . الآية ، فيجب على المرء الإيمان به ويكمل عمله إلى الله تعالى ، وذكر الحديث الصحيح عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث ، وإني لأعرفه الآن<sup>(٢)</sup> ، وذكر حديث حنين الجذع ، وطرقه صحاح مشهورة<sup>(٣)</sup> . وروى عن السدي ،

(١) برده فيها : كذا بالأصل .

(٢) الحديث في مسلم ٧ / ٥٨ - ٥٩ ( كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ) . وذكره الطبري في تفسيره ٢ / ٢٤١ / ( ط . المعارف ) ( وانظر التعليق ) . وهو في مسند جابر بن سمرة رضي الله عنه في المسند ( ط . الحلبي ) ٥ / ٨٩ ، ٩٥ ، ١٠٥ ؛ مسند الدارمي ١ / ١٢ .

(٣) روى البخاري في صحيحه ٥ / ١٩٥ ( كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ) عن ابن عمر رضي الله عنهما : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يحط إلى جذع فلما اتخذ النبر تحول إليه فن الجذع فأناه فسح يده عليه » ورواه من طرق أخرى عنه وعن جابر =

عن أبي عباد بن [أبي] يزيد<sup>(١)</sup> عن علي قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في نواحيها خارجا من مكة بين الجبال والشجر ، فلم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله<sup>(٢)</sup> . وقال : قال مجاهد : لا ينزل حجر من أعلى إلى أسفل إلا من خشية الله . ويشهد لما قلنا قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [سورة الحشر : ٢١] .

قلت : وأما تفسير سجودها وتسبيحها بنفوذ مشيئة الرب وقدرته فيها ودلائلها على الصانع فقط فالاعتصار على هذا باطل ، فإن هذا وصف لازم دائم لها لا يكون في وقت دون وقت ، وهو مثل كونها مخلوقة محتاجة فقيرة إلى الله تعالى ، وعلى هذا فالمخلوقات كلها لا تزال ساجدة مسبحة ، وليس المراد هذا فإنه قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ [سورة مر : ١٨] ، وقال : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص : ١٩] ، وقال : ﴿ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [سورة النور : ٤١] ، فقد أخبر سبحانه وتعالى عنه أنه يعلم ذلك ، ودلائلها على الرب يعلمه عموم الناس .

وأيضا فقد أخبر الله تعالى في القرآن من كلام الهدهد والنمل ، وأن سليمان

رضي الله عنهما . والحديث مروي في سنن الترمذي ( بشرح ابن العربي ) ١١١ / ١٣ ( كتاب المناقب ، باب حدثنا عباد بن يعقوب الكوفي ) وعن أنس بن مالك وأبي وجابر وغيرهم . وهو في المسند ( ط . المعارف ) عن ابن عباس وأنس وابن عمر رضي الله عنهم . انظر الأرقام ٢٢٣٦ ، ٢٢٣٧ ، ٢٤٠٠ ، ٢٤٠١ ، ٢٤٣٠ ، ٢٤٣٢ ، ٥٨٨٦ . وانظر تفسير الطبري ٢ / ٢٤١ ؛ البداية والنهاية ١٢٥ / ٦ - ١٣٢ ؛ فتح الباري ٦ / ٤٤٣ .

(١) في الأصل : عباد بن يزيد . والتصويب من سنن الترمذي . وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٥ / ١٠٩ . وقال روى عن علي وفيه إسماعيل السدي . وروى له الترمذي حديثا واحدا واستغفبه .

(٢) الحديث بمعناه في : الترمذي ( بشرح ابن العربي ) ١١١ / ١٣ ( كتاب المناقب ، باب حدثنا عباد بن يعقوب الكوفي ) وقال : « هذا حديث غريب . وقال : عن عباد بن أبي يزيد » ؛ سنن الدارمي ١ / ١٢ .

عَلَّمَ منطق الطير بما يدل على الاختصاص ، وهذا في الحيوان .  
 وأيضاً فإنه جعل الجميع يسجد ثم قال : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ [ سورة الحج : ١٨ ] وهذا المعنى يشترك فيه جميع المخلوقات دائماً ، وهو وصف لازم لكل مخلوق : لا يزال مفتقراً إلى الخالق ، ولا يزال دالاً عليه ، ولا يزال منقاداً لما يشاء الرب .

وأيضاً فإنه قسم السجود إلى طوع وكره ، وانفعالها لمشئته الرب وقدرته لا ينقسم إلى طوع وكره ، ولا يوصف ذلك بطوع منها ولا كره ، فإن دليل فعل الرب فيها ، ليس هو فعل منها ألبته .

والقرآن يدل على أن السجود والتسبيح أفعال لهذه المخلوقات ، وكون الرب خالقاً لها إنما هو كونها مخلوقة للرب ليس فيه نسبة أمر إليها ، يبين ذلك أنه خصّ الظل بالسجود بالغدو والآصال ، والظل - متى كان وحيث كان - مخلوق مبروب ، والله تعالى جعل الظلمات والنور ، والقول الذي ذكره البغوي أقرب من القول الذي ذكره أبو الفرج ، وهو سبحانه تارة يجعلها آيات له ، وتارة يجعلها ساجدة مسبحة ، وهذا نوع غير هذا .

وعلى هذا القول : الجميع واحد ، ليس في كونها ساجدة مسبحة إلا كونها آية دالة وشاهدة للخالق تعالى بصفاته لكونها مفعولة له ، وهذا معنى ثابت في المخلوقات كلها لازم لها ، وهي آيات للرب بهذا الاعتبار ، وهي شواهد ودلائل وآيات بهذا الاعتبار ، لكن ذاك معنى آخر كما يفرق بين كون الإنسان مخلوقاً وبين كونه عابداً لله ، فهذا غير هذا ، هذا يتعلق بربوبية الرب له ، وهذا يتعلق بتأله وعبادته للرب .

والبيت الذي استشهدوا به وهو قوله :

\* ترى الأكم فيها سُجْدًا للحوائِرِ \*



فإنما ذكر سجود الأكم للحوافر ، وذلك خضوعها وانخاضها لها ، فهذا خضوع جماد لجما ، ولا يلزم أن يكون سائر أنواع الخضوع مثل هذا ، وإنما يشترك في نوع الخضوع ، وليس خضوعُ المخلوقات للخالق مثل هذا ، وإن قيل : هو انفعالها لمشيئته وقدرته ، بل ذاك نوع أبلغ من هذا ، فلا يجب أن يكون سجودها بغير خضوع منها وطاعة ، ولكن هذا البيت يقتضى أنه لا يجب أن يكون سجودُ كلِّ شيء وضع رأسه بالأرض ، وهذا حق ، بل هو خضوع للرب يناسب حاله ، وقد قيل لسهل بن عبد الله : أيسجد القلب ؟ قال : نعم ، سجدة لا يرفع رأسه منها أبداً . وأهل الجنة في الجنة قد ألهموا التسبيح كما ألهموا النفس في الدنيا ، وكما يلهم أهل الدنيا النفس وهم خاضعون للرب مطيعون له ، وليس هناك سجود بوضع رأس في الأرض ، فهذا أمر به في الدنيا لحاجة النفس إليه في خضوعها لله تعالى ، فلا تكون خاضعة إلا به ، بخلاف حالها في الجنة فإنها قد زكت وصلحت .

آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً<sup>(١)</sup> .

---

(١) كتب أسفل هذا الكلام : « بلغ مقابلة » .



رِسَالَهُ فِي لَفْظِ السُّنَنِ فِي الْقُرْآنِ



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين ، وعليه التكلان

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليما .

ما بعد ، فهذا :

## ﴿ فصل ﴾

لفظ السنن  
في مواضع  
من القرآن

اعلم أنه قد ذكر الله تعالى لفظ سننه في مواضع من كتابه فقال تعالى :  
﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ [سورة الإسراء : ٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٨] ، وقال تعالى في آخر السورة : ﴿ مَلْعُومِينَ أُيْنًا تَقِفُوا أَخِذُوا وَقْتِكُلُوا تَفْتِيلًا \* سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٦١ ، ٦٢] .

وقال : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [سورة طه : ٤٣] .

وقال : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة غافر : ٨٥] .

وقال : ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَثِيًّا وَلَا نَصِيرًا \* سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الفتح : ٢٢ ، ٢٣] .

وقال تعالى ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٧] <sup>(١)</sup> .  
 وقال تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الكهف : ٥٥] .

سنته نصره  
 أوليائه وإمائه  
 أعدائه

فهذه كلها تتعلق بأوليائه : كطبيعته وعصاته ، كالمؤمنين والكافرين ؛  
 فسنته في هؤلاء إكرامهم ، وسنته في هؤلاء إهانتهم وعقوبتهم .

الآية الأولى

فأما الأولى <sup>(٢)</sup> فإنها تتعلق بالرسول لأنه لا حرج عليهم فيما فرض الله تعالى  
 لهم ، وهذا كقوله تعالى : ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾  
 [سورة التحريم : ٢] ، وللغرض هنا مباح مقدر محدود مثل إباحة زوجة المتبني  
 بعد أن قضى منها وطراً وطلقها ، لا بأن تؤخذ <sup>(٣)</sup> منه بغير اختياره ، وقد قال  
 تعالى : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾  
 [سورة الأحزاب : ٥٠] ، أى أوحينا وحرّمنا قبل .

وهنا المراد به سنته في رسوله : أنه أباح لهم الأزواج وغيرها ، كما قال :  
 ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [سورة الرعد : ٣٨] ،  
 وأنه لا حرج عليهم في ذلك ، فلم يكن محمد صلى الله عليه وسلم بدعاً من الرسل ،  
 ولم يقل هنا : ولن تجد لسننتنا تبديلاً ، فإنه لا نبي بعد محمد .

الأربعة البواق : والأربعة البواق تتضمن عقوبة الكفار والمنافقين ، فالأولى <sup>(٤)</sup> : قوله :

(١) الآية بتامها : ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَاسْمِعُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا  
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ .

(٢) في الأصل : الأول . والكلام هنا عن الآية ٣٨ سورة الأحزاب .

(٣) في الأصل : يؤخذ .

(٤) في الأصل : فالأول . والإشارة فيما يلي من الكلام إلى الآية ٧٦ من سورة  
 الإسراء وهي قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ  
 مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهي التي تسبق آية ٧٧ من سورة  
 الإسراء التي ذكرها أولاً .

الأول إنهم لو استفزوه فأخرجوه لم يلبثوا خلفه إلا قليلا كسنة من أرسل قبله من الرسل ؛ فإما أن يقال : وقع هذا الإخراج بالهجرة ولم يلبثوا خلفه إلا قليلا ، وهو ما أصابهم يوم بدر ، وإما أن يقال : لم يقع .

الثانية : قوله : ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض ﴾ الآية [ سورة الأحزاب : ٦٠ ] <sup>(١)</sup> ، كما أصاب من قبلهم من أهل الكتاب ، فإن الله أخرجهم ، فإن لم ينته غي <sup>(٢)</sup> هؤلاء ، بل أظهروا الكفر كما أظهره أولئك - أخرجناهم كما أخرجناهم / بخلاف ما إذا كتموه .

من ٦٥

وهذه السنة تتضمن أن كل من جاور الرسول صلى الله عليه وسلم متى أظهر مخالفته مكن الله الرسول من إخراجة . وهذه في أهل العهد والمنافقين ، وقد يقال : هي لهم مع المؤمنين أبداً .

الثالثة : في أهل المكر السيء ، وأن سنة الله أن ينصر رسله والذين آمنوا على أعدائهم وينتقم منهم . وقال هنا : ﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ <sup>(٣)</sup> .

الرابعة

: في حال الكفار مع المؤمنين <sup>(٤)</sup> .

(١) الآية بتمامها : ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمزيفون في المدينة لننفرنك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ﴾ .

(٢) الكلمة في الأصل مطموسة وكذا استظهرتها .

(٣) الكلام يتضح هنا إذا أوردنا الآيتين ٤٢ ، ٤٣ من سورة فاطر بتمامهما . يقول

تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهداً أيمنهم لئن جاءهم نذيرٌ لئيبكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذيرٌ ما زادهم إلا نفورا \* استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سفة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ .

(٤) السنة الرابعة هي التي ذكر أمثلة لها الآيات : ٨٥ من سورة غافر ؛ ٢٢ ، ٢٣

من سورة الفتح ؛ ١٣٧ من سورة آل عمران ؛ ٥٥ من سورة الكهف .

السنن المتعلقة  
بالأمور الطبيعية  
ينقضها الله  
إذا شاء

وهذه السنن كلها سنن تتعلق بدينه وأمره ونهيه ووعدته ووعدته ، وليست هي السنن المتعلقة بالأمور الطبيعية كسنته في الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من المعاديات ، فإن هذه السنة ينقضها إذا شاء بما شاء من الحكيم : كما حبس الشمس على يوشع ، وكما شق القمر لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكما ملأ السماء بالشهب ، وكما أحيا الموتى غير مرة ، وكما جعل العصا حيّة ، وكما أنبع الماء من الصخرة بعضا ، وكما أنبع الماء من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر بعض هذه الآيات السهروردى في المقول في « الألواح العادية » وفي « المبدأ والمعاد »<sup>(١)</sup> محتجاً بها على ما يقوله هو وأمثاله من المتفلسفة : أن العالم لم يزل ولا يزال هكذا ، بناء على أن هذه سنة الرب عز وجل وعادته وهي لا تبدل [ لها ]<sup>(٢)</sup> ، إذ كان عندهم ليس فاعلاً بمشيئته واختياره ، بل موجب بذاته .

فيقال لهم : احتجاجكم على هذا بالقرآن في غاية الفساد ، فإن القرآن يصرح بنقيض مذهبكم في جميع المواضع ، وقد علم بالاضطرار أن ما يقولونه مخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاحتجاجكم بهذا أفسد من احتجاج النصارى على أن محمداً شهد بأن دينهم بحد النسخ والتبديل حق بآيات من القرآن حرّفوها عن مواضعها ، قد تكلمنا عليها في « الجواب الصحيح لمن بدّل

(١) في الأصل : « في الألواح العادية في المبدأ والمعاد » . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته ، فإن للسهروردى كتاباً عنوانه « الألواح العادية » في العلوم الحسكية ومصطلحاتها ( وقد ألفه إجابة لطلب الملك عماد الدين قره أرسلان بن داود ) ، وآخر بعنوان « المبدأ والمعاد » .

انظر ما ذكره الأستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمي في مقالة : آثار السهروردى المقول ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ( القاهرة ) ، مايو سنة ١٩٥١ م وانظر له أيضاً : التعليق على مقالة « السهروردى » في دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) لها : زيادة يقتضيها السياق .



دين المسيح»<sup>(١)</sup> فإن النصارى وإن كانوا كفاراً بتبديل الكتاب الأول وتكذيب الثانى ، فهم خير منكم من وجوه كثيرة ، فإنهم يقولون بالأصول الكلية التى اتفقت عليها الرسل ، وإن كانوا حَرَفُوا بعض ذلك ، كالإيمان بأن الله خالق كل شىء ، وأنه بكل شىء عليم وعلى كل شىء قدير ، والإيمان بملائكته ورسله واليوم الآخر والجنة والنار وغير ذلك مما تكذبون أتم به .

وأما بيان الدلالة فمن وجوه :

أحدها : أن يُقال : العادات الطبيعية ليس للرب فيها سنة لازمة ، فإنه الأول قد عُرف بالدلائل اليقينية أن الشمس والقمر والكواكب مخلوقة بعمدان لم تكن ، فهذا تبديل وقع . وقد قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٨] .

والثانى أيضاً ، فقد عُرف انتقاض عامة العادات ، فالعادة فى بنى آدم ألاَّ يَخْلُقُوا إلا من أبوين ، وقد خُلِقَ المسيح من أم ، وحوّاء من أب ، وآدم من غير أم ولا أب ، / وإحياء الموتى متواتر مرات مُتَعَدِّدَةٌ<sup>(٢)</sup> ، وكذلك تكثير الطعام والشراب لغير واحد من الأنبياء والصالحين عليهم السلام .

والثالث أيضاً ، فمعدكم تفسّيرات وقعت فى العالم كالطوفانات الكبار فيها تفسير العادة .

وهذا خلاف عادته التى وعد بها وأخبر أنها لا تتغير لنصرة أوليائه وإهانة أعدائه ، فإن هذا علم بخبره وحكمته .

أما خبره فإنه أخبر بذلك ووعد به ، وهو الصادق الذى لا يخلف الميعاد ،

(١) كتاب « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » ، ويسمى أحيانا « الرد على النصارى » يقع فى ٤ أجزاء ، وقد طبع بمطبعة النيل سنة ١٣٢٣ / ١٩٠٥ ، وطبع مرة ثانية بمطبعة المدنى سنة ١٣٧٩ / ١٩٥٩ .  
(٢) فى الأصل : متعددة .

وهذا يوافق طرق جميع طوائف أهل الملل ، ويقولون : مقتضى حكمته أن يكون العاقبة والنصر لأوليائه دون أعدائه ، كما قد بسط ذلك في مواضع .

وأما الأمور الطبيعية فإما أن تقع بمحض المشيئة على قول ، وإما أن تقع بحسب الحكمة والمصلحة على قول . وعلى كلا التقديرين فتبديلها وتحويلها ليس ممتنعاً كما في نسخ الشرائع وتبديل آية بآية ، فإنه إن علق الآية بمحض المشيئة فهو يفعل ما يشاء ، وإن علقها بالحكمة مع المشيئة ، فالحكمة تقتضي <sup>(١)</sup> تبديل بعض ما في العالم ، كما وقع كثير من ذلك في الماضي وسيقع في المستقبل ؛ فلم أن هذه السنن دينيات لا طبيعيات .

ولكن في قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ حجة للجمهور القائلين بالحكمة ، فإن أصحاب المشيئة المجردة يجوزون نقض كل عادة ، ولكن يقولون : إنما نعلم ما يكون بالخبر .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ دليل على أن هذا من مقتضى حكمته ، وأنه يقضى في الأمور المتماثلة بقضاء متماثل لا بقضاء مخالف <sup>(٢)</sup> ، فإذا كان قد نصر المؤمنين لأنهم مؤمنون كان هذا موجباً لنصرهم حيث وجد هذا الوصف ، بخلاف ما إذا عصوا ونقضوا إيمانهم كيوم أحد فإن الذنب كان لهم ، ولهذا قال : ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ فعم كل سنة له ، وهو يعم سنته في خلقه وأمره ، في الطبيعيات والدينيات .

سنته تعالى مطردة  
في الدينيات  
والطبيعيات

لكن الشأن أن تعرف <sup>(٣)</sup> سنته ، وحقيقة هذا أنه إذا نقض العادة فإنما ينقضها لاختصاص تلك <sup>(٤)</sup> الحال بوصف امتازت به عن غيره ، فلم تكن سنته

نقض العادة  
لاختصاص معين

(١) في الأصل : يقتضى .

(٢) في الأصل : وأنه يقضى في الأمور المتماثلة مقضى متماثل لا يقضى مخالف

(٣) في الأصل : يعرف ، وهو جائز .

(٤) في الأصل : ذلك .

مع ذلك ، والاختصاص بسنته مع عدمه ، كما نقول إذا خُصَّت العلة لقوات شرط أو وجود مانع ، وكما نقول<sup>(١)</sup> في الاستحسان الصحيح ، وهو تخصيص بعض أفراد العام بحكم يختص به لامتيازته عن نظائره بوصف يختص به .

والسَّنَّة هي العادة في الأشياء المتماثلة ، و « سُنَّة » هنا تجرى على « سَنَّة » ، السنة هي العادة هذا في الاشتقاق الأكبر ، و « السَّنَّة » من هذا الباب ، سواء كان أصله « سَنَوَة » أو « سَنَهَة » وهما لفتان في السَّنَّة<sup>(٢)</sup> .

و « السنن » و « أسنان المشط » ونحو ذلك بلفظ « السَّنَّة » يدل على التماثل ، فإنه سبحانه إذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم / فإن ذلك لا ينتقض ولا يتبدل ولا يتحول ، بل هو سبحانه لا يُفَوِّت بين المتماثلين ، وإذا وقع تفسير فذلك لعدم التماثل ؛ وهذا القول أشبه بأصول الجمهور القائلين بالحكمة في الخلق والأمر ، وأنه سبحانه يسوّى بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين ، كما دلّ القرآن على هذا في مواضع كقوله تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة الفم : ٣٥] .

ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا ، ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار بها . والاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره ، كالأمثال المضروبة في القرآن ، وهي كثيرة .

وذكر لفظ التبديل والتحويل كقوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِي فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَخْوِيلًا ﴾ [سورة الإسراء : ٥٦] ، فالتبديل أن تُبدّل بخلافه ، والتحويل أن تحوّل من محل إلى محل<sup>(٣)</sup> ،

(١) في الأصل : وكما يقول .

(٢) في الأصل : « وسنة هذا تجرى على سنة هذا في الاشتقاق الأكبر والسنة من هذا الباب سواء كان أصله سنوه أو سنهه وهي لفتان في السنة » . وأرجو أن يكون ما أثبتته مبيناً للمقصود .

(٣) في الأصل : عمل .

مثل استفزازه من الأرض ليخرجوه فإنهم لا يلبثون خلفه إلا قليلا ، ولا تتحول هذه السنة بأن يكون هو المحرّج وهم اللابثون ، بل متى أخرجوه خرجوا خلفه ، ولو مكث لكان هذا استصحاب حال ، بخلاف ظهور الكفار فإنه كان تبديلا لظهور المؤمنين وظهور الكفار إذ كان لابد من أحدهما .

وأما أهل المكر السيئ والكفار فهي سنة تبديل ، لابد لهم من العقوبة لا يُبدّلون بها غيرها ولا تتحول<sup>(١)</sup> عنهم إلى المؤمنين ، وهو وعيد لأهل المكر السيئ أنه لا ينجي إلا بأهله ولن يتبدّلوا به خيرا : يتضمن نفيًا وإثباتًا ، فلهذا نفي عنه التبديل والتحويل .

### ﴿ فصل ﴾

والقرآن قد دلّ على هذا الأصل في مواضع كقوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنَا كُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَفْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُنْهَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٧] ، وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [سورة هود : ١٠٢] ، وقوله : ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ ﴾ [سورة القمر : ٤٣] . ومنه قوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة يوسف : ١١١] ، وقوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ﴾ [سورة آل عمران : ١٣] إلى قوله : ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٣] .

### ﴿ فصل ﴾

وقد أخبر سبحانه أنه تارة يعاقبهم عقب السراء وتارة يعاقبهم عقب

(١) في الأصل : ولا يتحول .

الضراء إذا لم يتضرعوا، فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَعَاذُوا  
لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ مُبْسِلُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٧٦ - ٧٧]  
فهنا أخبر أنهم بالعذاب الأدنى ما استكانوا وما تضرعوا حتى أخذهم بالإهلاك  
كما قال : ﴿ وَلَنَذِيقَهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْآذِنِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ  
يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة السجدة : ٢١] ، وقال : ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ  
فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴾  
[سورة التوبة : ١٢٦] ، والضير يكون عائداً على الذين لا يؤمنون بالآخرة .

وقال في سورة الأنعام : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم  
بِالْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَالْخُنُودِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٢ - ٤٥] .  
فهذه نظيرها في الأعراف في قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا  
أَهْلَهَا بِالْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ الآيات  
[سورة الأعراف : ٩٤ - ٩٥] ، فقد ذمهم أنهم لم يتضرعوا لما أخذهم بالبئساء  
والضراء / فإنه بعد هذا بدّل الحالة السيئة بالحالة الحسنة فلم يطيعوا فأخذهم  
بالعذاب بفتة ، فهنا أخذهم أولاً بالضراء ليضرّعوا فلم يتضرعوا ، فابتلاهم الله  
بالسراء ليطيعوا فلم يطيعوا ، فأخذهم بالعذاب . وهذا كقوله تعالى :  
﴿ وَبَلَّوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٨] ،  
فهؤلاء ابتلوا بالضراء أولاً ثم بالسراء ثانياً<sup>(١)</sup> . وقد أخبر أنه ما أرسل في قرية  
من نبي إلا كانوا هكذا .

(١) فكرة ابن تيمية هنا لا تتضح تماماً إلا إذا ذكرنا الآيات بتامها ، ففي سورة  
الأنعام : ( ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبئساء والضراء لعلهم يتضرعون \*  
فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون \*  
فلما نسا ما ذكروا به فتعنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بفتة  
فإذا هم مبسلون \* فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ) . وفي سورة الأعراف :  
( وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبئساء والضراء لعلهم يضرعون \* ثم بدلنا مكان  
السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس أباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بفتة وهم لا يشعرون ) .

وهذا كما ذكره سبحانه في حال قوم فرعون وغيرهم ، وهذا ذم لمن لم يستقم لافي الضراء ولا في السراء ، لادعاً بالضراء ولا بالسراء ، ولا تضرع في الضراء ، ولا شكر ولا آمن في السراء ؛ ابتلاهم بالحسنات : وهي النعم ، والسيئات : وهي المصائب ، فما أطاعوا لافي هذا ولا في هذا .

وأما آية المؤمنين فأمرهم<sup>(١)</sup> لم يستكينوا ولم يتضرعوا حتى فتح عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون . وهؤلاء قد يكون تقدم لهم ابتلاء بالحسنات أولاً ، فإنه قال في أول الكلام : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [ سورة المؤمنون : ٥١ ] إلى قوله : ﴿ أَلَيْسَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكُمْ بِإِذَا خُفِّضُوا الْبَرْقَ لِيُخْرِجُوا السَّحَابَ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ [ سورة النور : ١٣ ] إلى قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَارُونَ ﴾ [ الآية : ٦٤ ] إلى قوله : ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ \* وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ﴾ [ الآيةان : ٧٥ ، ٧٦ ] .

فهؤلاء كانوا في حالة حسنة فلما<sup>(٢)</sup> لم يتقوه أخذ مترفيهم بالعذاب ، ثم أخذهم بالعذاب ليتضرعوا ، فلما لم يتضرعوا<sup>(٣)</sup> ابتلاهم بالحسنات أولاً ، فلما لم يتقوه استحقوا العذاب ؛ فيعتبر الفرق بين هؤلاء وهؤلاء .

آخره ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليماً .

(١) في الأصل : فأمرائهم .

(٢) في الأصل : فنا .

(٣) في الأصل : فلم يتضرعوا .

رسالة في قصة شعيب عليه السلام





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

أما بعد ، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى قصة شعيب النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضع من كتابه وإرساله إلى أهل مدين ، وقال في موضع آخر : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ١٧٦] ، فأكثر الناس يقولون : إنهم أهل مدين ، ومن الناس من يحملها قصتين .

وذَكَرَ في قصة موسى أنه : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ الآية [سورة القصص : ٢٣] إلى آخر القصة . فوسى عليه السلام قضى أكل الأجلين ، ولم يذكر عن هذا الشيخ أنه كان شعيماً ولا أنه كان نبياً ، ولا عند أهل الكتابين أنه كان نبياً ، ولا نقل<sup>(١)</sup> عن أحد من الصحابة أن هذا الشيخ الذي صاهر موسى كان شعيماً النبي : لاعتن ابن عباس ولا غيره ، بل المنقول عن الصحابة أنه لم يكن هو شعيب .

قال سُنَيْدُ بن داود شيخ البخاري في تفسيره<sup>(٢)</sup> بإسناده عن ابن عباس

(١) في الأصل : ولا يقل ، وهو تحريف .

(٢) أبو علي سنيد ( الحسين ) بن داود المصيصي المحتسب الحافظ . قال الذهبي في تذكرة الحفاظ : « اسمه الحسين كان أحد أوعية العلم ... مات سنيد سنة ست وعشرين ومائتين . وفتت على تفسيره » . وانظر ترجمة سنيد في : تذكرة الحفاظ ٢/٤٥٩-٤٦٠ ؛ ميزان الاعتدال ٢/٢٣٦ ؛ تقريب التهذيب ١/٣٣٥ .

شيخ مدين  
لم يكن شعيماً

قال : اسمه يثرى . قال حجاج<sup>(١)</sup> وقال غيره : يثرون . وعن شعيب الجبائي<sup>(٢)</sup> أنه قال : اسم الجاريتين لثيا وصغوره<sup>(٣)</sup> . وامرأة موسى صغوره ابنة يثرون كاهن مدين ، والكاهن الخبر . وفي رواية عن ابن عباس أن اسمه يثرون أو يثرى .

وقال ابن جرير<sup>(٤)</sup> : اسم إحدى<sup>(٥)</sup> الجاريتين لثيا ، ويقال : شرقا ، والأخرى صغوره . وقال أيضاً : وأما أبوها فختلف في اسمه ، فقال بعضهم : اسمه يثرون . وقال ابن مسعود : الذي استأجر موسى ابن أخى شعيب يثرون . وقال أبو عبيدة : هو يثرون ابن أخى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : اسمه يثرى . وهو منقول عن ابن عباس .

وقال الحسن : يقولون : هو شعيب النبي ، لا ، ولكنه سيد أهل الماء يومئذ .

قال ابن جرير : « وهذا لا يدرك علمه إلا بنحبر عن معصوم ، ولا خير في ذلك »<sup>(٦)</sup> .

(١) هو أبو محمد حجاج بن محمد الأعور المتوفى سنة ٢٠٦ . قال ابن سعد : « وكان ثقة صدوقاً إن شاء الله ، وكان قد تغير في آخر عمره حين رجع إلى بغداد » . انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٣٣٣/٧ ، ٤٨٩ ؛ الجرح والتعديل ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٦٦ .

(٢) رسم الاسم في الأصل : « شعيب الجبائي » . وهو شعيب الجبائي ، وكذا ورد اسمه في : تفسير الطبري ( ط . بولاق ) ٢٠ / ٢٩ ؛ تفسير ابن كثير ٣ / ٣٨٥ ؛ اللؤلؤ ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل ١ / ٦٩ - ٧٢ . وقال عنه ابن أبي حاتم ( الجرح والتعديل ج ٢ ، ق ١ ، ص ٣٥٣ ) : « يعاني يروى عن الكتب . روى عنه سلمة بن وهرام ، سمعت أبي يقول ذلك . قال أبو محمد : هو شعيب بن الأسود » .

(٣) صغوره : كذا في الأصل ، والذي في تفسير الطبري ٢٠ / ٣٩ ، ٤٠ ؛ وفي تفسير ابن كثير ٣ / ٣٨٥ ؛ وفي الدر المنثور ٥ / ١٢٥ : « صفورا » . وأورد السيوطي في الدر المنثور ٥ / ١٢٦ رواية أخرى جاء فيها : صفيرا .

(٤) انظر تفسير الطبري ( ط . بولاق ) ٢٠ / ٣٩ ، ٤٠ .

(٥) في الأصل : أحد .

(٦) الذي في تفسير الطبري ٢٠ / ٤٠ : « وهذا مما لا يدرك علمه إلا بنحبر ، ولا خير بذلك يجب حجته » .

وقيل : اسمه أثرون<sup>(١)</sup> .

فهذه كتب التفسير التي تروى بالأسانيد للعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لم يذكر فيها عن أحد أنه شعيب النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن نقلوا بالأسانيد الثابتة عن الحسن البصري أنه قال : « يقولون إنه شعيب وليس بشعيب ، ولكنه سيد الماء يومئذ »<sup>(٢)</sup> .

فالحسن يذكر أنه شعيب عمن لا يعرف ، ويرد عليهم ذلك ، ويقول : ليس هو شعيب .

وإن كان الثعلبي قد ذكر أنه شعيب فلا يلتفت إلى قوله ، فإنه ينقل الفث والسمين . فمن جزم بأنه شعيب النبي فقد قال ما ليس له به علم وما لم ينقل / عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عمن يحتج بقوله من علماء المسلمين ، وخالف في ذلك ما ثبت عن ابن عباس والحسن البصري ، مع مخالفته أيضا لأهل الكتابين فإنهم متفقون على أنه ليس هو شعيب النبي ، فإن مافي التوراة التي عند اليهود والإنجيل الذي عند النصارى أن اسمه يثرون ، وليس لشعيب النبي عندهم ذكر في التوراة .

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن شعيباً كان عربياً ، بل قد روى عن أبي ذر مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم - رواه أبو حاتم وغيره - أن شعيباً كان عربياً ، وكذلك هود وصالح ، وموسى كان عبرانياً ، فلم يكن يعرف لسانه<sup>(٣)</sup> ،

(١) في الدر المنثور ٥ / ١٢٦ : « وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال : كان صاحب موسى عليه السلام أثرون ابن أخى شعيب عليه السلام » .

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور ٥ / ١٢٦ : « وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن رضي الله عنه قال : يقول ناس إنه شعيب وليس بشعيب ولكن سيد الماء يومئذ » . وأخرجه الطبري في تفسيره ٤٠ / ٤٠ .

(٣) في الأصل : بلسانه .

وظاهر القرآن يدل على مخاطبة موسى للمرأتين وأبيهما بغير ترجمان .

وإنما شبهة من ظن ذلك أنه وجد في القرآن قصة شعيب وإرساله إلى أهل مدين ، ووجد في القرآن مجيء موسى إلى مدين ومصاهرته لهذا ، فظن أنه هو .  
والقرآن يدل أن الله أهلك قوم شعيب بالظلمة ، فحينئذ لم يبق في مدين من قوم شعيب أحد ، وشعيب لا يقيم بقرية ليس بها أحد . وقد ذكروا أن الأنبياء كانوا إذا هلكت أممهم ذهبوا إلى مكة فأقاموا بها إلى الموت ، كما ذكر أن قبر شعيب بمكة ، وقبر هود بمكة ، وكذلك غيرها .

وموسى لما جاء إلى مدين كانت معمورة بهذا الشيخ الذى صاهره ، ولم يكن هؤلاء قوم شعيب المذكورين<sup>(١)</sup> في القرآن ، بل ومن قال : إنه كان ابن أخى شعيب أو ابن عمه لم ينقل ذلك عن ثبت ، والنقل الثابت عن ابن عباس لا يعارض بمثل قول هؤلاء .

وما يذكرونه في عصا موسى ، وأن شعيباً أعطاه إياها ، وقيل : أعطاه إياها هذا الشيخ ، وقيل : جبريل . وكل ذلك لا يثبت .

وعن أبى بكر - أظنه الهذلى - قال : سألت عكرمة عن عصا موسى ، قال : هى عصا خرج بها آدم من الجنة ، ثم قبضها بعد ذلك جبريل فلقى بها موسى ليلاً فدفعها إليه .

وقال الشدى في تفسيره المعروف : أمر أبو المرأتين ابنته أن يأتى موسى بعضا ، وكانت تلك العصا استودعها مَلَكٌ في صورة رجل ، إلى آخر القصة ، استودعها إياها مَلَكٌ في سورة رجل ، وأن حماء<sup>(٢)</sup> خاصمه ، وحكماً بينهما رجلاً ،

(١) في الأصل : المذكورون ، وهو خطأ .

(٢) في الأصل : حموه ، وهو خطأ .

وأن موسى أطلق حملها دون حميه<sup>(١)</sup> ، وذكر عن موسى أنه أحق بالوفاء من حميه<sup>(١)</sup> .

ولو كان هذا هو شعيبا النبي لم ينازع موسى ، ولم يندم على إعطائه إياها ، ولم يحاكمه . ولم يكن موسى قبل أن يُنبأ أحق بالوفاء منه ، فإن شعيباً كان نبياً / وموسى لم يكن نبياً ؛ فلم يكن موسى قبل أن يُنبأ أكمل من نبي ، وما ذكره زيد من أنه كان يعرف أن موسى نبي : إن كان ثابتاً ، فالأخبار والرهبان كانت عندهم علامات الأنبياء ، وكانوا يخبرون بأخبارهم قبل أن يبعثوا ، والله سبحانه أعلم .

### ﴿ فصل ﴾

وأما شياع<sup>(٢)</sup> كون حمي<sup>(٣)</sup> موسى شعيباً النبي عند كثير من الناس الذين لا خبرة لهم بحقائق العلم ودلائله وطرقه السمعية والعقلية ، فهذا مما لا يفتر به عاقل ، فإن غاية مثل ذلك أن يكون منقولاً عن بعض المنتسبين إلى العلم ، وقد خالفه غيره من أهل العلم . وقول العالم الذي يخالفه نظيره ليس حجة ، بل يجب رد ما تنازعا فيه إلى الأدلة .

ومثال ذلك ما ذكره بعضهم ، أو كثير منهم ، من أن الرسل المذكورين في سورة يس هم من حواربي المسيح عليه السلام ، وأن حبيب التجار آمن بهم . وهذا أمر باطل عند أجلاء علماء المسلمين وعند أهل الكتاب ، فإن الله قد أخبر عن هذه القرية التي جاءها المرسلون أنه قد أهلك أهلها فقال تعالى : ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ [ الآية : ٢٩ ] .

(١) في الأصل في الموضعين : حموه ، وهو خطأ .

(٢) في اللسان : « شاع الشيب شيما وشياعا ( بكسر الشين ) وشيماناً وشيوعا وشيموعة ومشيمعا : ظهر وتفرق » .

(٣) في الأصل : حمو ، وهو خطأ .

وأنطاكية لما جاءها اثنان من الحواريين بعد رفع المسيح آمنوا بهما ، وهى أول مدينة اتبعت المسيح ، ولم يهلكهم الله بعد المسيح باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، فكيف يجوز أن يُقال : هؤلاء هم رسل المسيح ؟ !

وأيضاً ، فإن الذين اتّوهم كانوا اثنين من الحواريين ، وأهل الكتاب معترفون بذلك ، ولم يكن حبيب النجار موجوداً حينئذ ، بل هؤلاء رسل أرسلهم الله قبل المسيح ، وأهلك أهل تلك القرية - وقد قيل : إنها أنطاكية - وآمن حبيب بأولئك الرسل . ثم بعد هذا عمرت أنطاكية وجاءتهم رسل المسيح بعد ذلك .

والحواريون ليسوا رسل الله عند المسلمين ، بل هم رسل المسيح ، كالصحابة الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يرسلهم إلى الملوك . ومن زعم أن هؤلاء حواريون<sup>(١)</sup> فقد جعل للنصارى حجة لا يُحسِن أن يجيب عنها ، وقد بسطنا ذلك في « الرد على النصارى » وبيّنا أن الحواريين لم يكونوا رسلاً ، فإن النصارى يزعمون أن الحواريين رسل الله مثل إبراهيم وموسى ، وقد يفضلونهم على إبراهيم وموسى ، وهذا كفر عند المسلمين ، وقد بينا ضلال النصارى في ذلك .

آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

---

(١) في الأصل : حواريين ، وهو خطأ .

رِسَالَةٌ فِي الْمَعَانِي الْمُسْتَنْبِطَةِ مِنْ سُورَةِ الْإِنْسَانِ





# بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

## ﴿فصل﴾

اعلم أن سورة «هل أتى على الإنسان» سورة عجيبة الشأن من سور القرآن على اختصارها، فإن الله سبحانه ابتدأها بذكر كيفية خلق الإنسان من النطفة ذات الأمشاج والأخلاط التي لم يزل بقدرته ولطفه وحكمته يصرفه عليها أطواراً، وينقله من حال إلى حال، إلى أن تمت خلقته وكتلت صورته، فأخرجه إنساناً سوياً، سميماً بصيراً<sup>(١)</sup>، ثم لما تكامل تمييزه وإدراكه هداه طريق الخير والشر، والهدى والضلال، وأنه بعد هذه الهداية إما أن يشكر ربه وإما أن يكفره<sup>(٢)</sup>. ثم ذكر مآل أهل الشكر والكفر، وما أعد لهمؤلاء وهؤلاء، وبدأ أولاً بذكر عاقبة أهل الكفر، ثم عاقبة أهل الشكر<sup>(٣)</sup>، وفي آخر السورة ذكر أولاً أهل الرحمة ثم أهل العذاب<sup>(٤)</sup>، فبدأ السورة بأول أحوال الإنسان - وهي النطفة - وختمها بآخر أحواله - وهي كونه من

(١) وهذا متضمن في الآية الأولى والثانية وهو قوله تعالى: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) \* إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميماً بصيراً).

(٢) في الآية الثالثة: (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً).

(٣) في قوله تعالى: (إنا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً) \* إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً \* عينا يقرب بها عباد الله يفجرونها تفجيلاً [الآيات: ٤ - ٦].

(٤) في قوله تعالى: (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً) [الآية ٣١].

الآية الرابعة أهل الرحمة أو العذاب - ووسطها بأعمال الفريقين ، فذكر أعمال أهل العذاب مجملة في قوله : ﴿ إِنَّا آَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ ﴾ [ سورة الإنسان : ٤ ] ، وأعمال أهل الرحمة مفصلةً وجزاءهم مفصلاً .

فتضمنت السورة خلق الإنسان وهدايته ، ومبدأه وتوسطه ونهايته ، وتضمنت المبدأ والمعاد ، والخلق والأمر : وهما القدرة والشرع ، وتضمنت إثبات السبب وكون العبد فاعلاً مريداً حقيقةً ، وأن فاعليته ومشيتته إنما هي بمشيئة الله ، ففيها الرد على طائفتين : القدرية والجبرية ، وفيها ذكر أقسام بنى آدم كلهم ، فإنهم إما أهل شمالٍ وهم الكفار - أو أهل يمينٍ وهم <sup>(١)</sup> نوعان : أبرار ومقرَّبون ، وذكر سبحانه أن شراب الأبرار يُمزج من شراب عباده المقربين لأنهم مزجوا أعمالهم ، ويشربه المقرَّبون صِرْفًا خالصًا كما أخلصوا أعمالهم ، وجعل سبحانه شراب المقربين من الكافور الذى فيه من التبريد والقوة ما يناسب برد اليقين وقوته لما حصل لقلوبهم ووصل إليها في الدنيا ، مع ما في ذلك من مقابلته للسير .

وأخبر سبحانه أن لهم شراباً آخر ممزوجاً من الزنجبيل <sup>(٢)</sup> لما فيه من طيب الرائحة ولذة الطعم ، والحرارة التى توجب تفسير رد الكافور وإذابة الفضلات وتطهير الأجواف ، ولهذا وصفه سبحانه بكونه شراباً طهوراً - أى أى مطهراً لبطونهم <sup>(٣)</sup> .

فوصفهم سبحانه بجمال الظاهر والباطن ، كما قال : ﴿ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ [ الآية ١١ ] ، فالنضرة جمال وجوههم ، والسرور / جمال قلوبهم ، كما قال : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةً النَّعِيمِ ﴾ [ سورة الطغفنين : ٢٤ ] .

(١) في الأصل : وهما .

(٢) في قوله تعالى : ( ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ) [ الآية ١٧ ] .

(٣) في الآية ٢١ : ( وسقام ربهم شراباً طهوراً ) .

وقريب من هذا قول امرأة العزيز في يوسف : ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ [سورة يوسف : ٣٢] ، فأخبرت بجمال ظاهره حين أشارت إليه بالخروج عليهن ثم ضمت إلى ذلك إخبارها بأن باطنه أجمل من ظاهره : بأنى روادته فأبى إلا العفة والحياء والاستعصام .

ثم ذكر سبحانه من أعمال الأبرار ما ينبت سامعه على جمعهم لأعمال البر كلها ، فذكر سبحانه وفاءهم بالنذر ، وخوفهم من ربهم ، وإطعامهم الطعام على محبتهم له ، وإخلاصهم لربهم في طاعتهم <sup>(١)</sup> .

وذكر سبحانه الوفاء بالنذر وهو أضعف الواجبات ، فإن العبد هو الذى أوجبه على نفسه بالتزامه ، فهو دون ما أوجبه الله سبحانه عليه ، فإذا [وفي] <sup>(٢)</sup> الله بأضعف الواجبين الذى التزمه هو ، فهو بأن يوفى بالواجب الأعظم الذى أوجبه الله عليه أولى وأخرى .

ومن ههنا قال من قال من المفسرين : المقرَّبون يوفون بطاعة الله ويقومون بحقه عليهم <sup>(٣)</sup> ؛ وذلك أن العبد إذا نذر لله طاعةً فوقى بها فإنما يفعل ذلك لكونها صارت حقاً لله يجب الوفاء بها ، وهذا موجود فى حقوقه كلها ، فهى فى ذلك سواء .

ثم أخبر عنهم بأنهم يخافون اليوم العسير القمطرير <sup>(٤)</sup> ، وهو يوم القيامة .

(١) فى قوله تعالى : ( يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيراً \* ويطمعون الطعام على حبه مسكينا ويتيا وأسيرا \* إنا نطلعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا ) [ الآيات : ٧-٩ ] .

(٢) وفى : ساقطة من الأصل .

(٣) فى الدر المنثور للسيوطى ٢٩٨/٦ . وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة : يوفون بالنذر ، قال : كانوا يوفون بطاعة الله من الصلاة والزكاة والحج والعمرة وما افترض عليهم فسماهم الله الأبرار لذلك .

(٤) وهو قوله تعالى : ( إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً ) [ الآية : ١٠ ] .

ففي ضمن هذا الخوف إيمانهم باليوم الآخر ، وكفهم عن المعاصي التي تضرهم في ذلك اليوم ، وقيامهم بالطاعات التي ينفعهم فعلها ويضرهم تركها في ذلك اليوم .

الآية الثامنة

ثم أخبر عنهم بإطعام الطعام على محبتهم له ، وذلك يدل على نفاسته عندهم وحاجتهم إليه ، وما كان كذلك فالنفوس به أشح ، والقلوب به أعلق ، واليد له أمسك ، فإذا بذلوه في هذه الحال ، فهم لما سواه من حقوق العباد أبذل .

فذكر من حقوق العباد بذل قوت النفس على نفاسته وشدة الحاجة منها على الوفاء بما دونه ، كما ذكر من حقوقه الوفاء بالنذر منها على الوفاء بما هو فوقه وأوجب منه ، وثبته بقوله : ﴿ عَلَى حُبِّهِ ﴾ [ الآية : ٨ ] أنه لولا أن الله سبحانه أحب إليهم منه لما آثروه على ما يحبونه ، فأثروا المحبوب الأعلى على الأدنى .

الآية التاسعة

ثم ذكر أن مصرف طعامهم إلى المسكين واليتيم والأسير الذين لا قوة لهم ينصرونهم بها ، ولا مال لهم يكافئونهم به ، ولا أهل ولا عشيرة يتوقعون<sup>(١)</sup> منهم مكافأتهم كما يقصده أهل الدنيا والمعاوضون بإنفاقهم وإطعامهم .

ثم أخبر عنهم أنهم إنما فعلوا ذلك لوجه الله ، وأنهم لا يريدون ممن أطعموه عوضاً من أموالهم ولا ثناء عليهم بالسنتهم ، كما يريد من لا إخلاص له بإحسانه إلى / الناس من معاوضتهم أو الشُّكُور منهم ؛ فتضمن ذلك المحبة والإخلاص والإحسان .

ظ ١١١

الآية العاشرة

ثم أخبر سبحانه عنهم بما صدقهم عليه قبل أن يقولوه حيث قالوا : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُيُوبًا قَمَطَرٍ يَرَى ﴾ [ الآية : ١٠ ] فصدقهم قبل قولهم ،

(١) في الأصل : يتوقعوا .

إذ يقول تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالْإِذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾

[ الآية : ٧ ] ، ثم أخبر سبحانه بأنه وقام شر ما يخافونه ولقّاهم فوق ما كانوا يأملونه .

وذكر سبحانه أصناف النعيم الذي حيّاهم به <sup>(١)</sup> من المساكن والملابس والمجالس والثمار والشراب والخدم والنعيم والملك الكبير <sup>(٢)</sup> .

ولما كان في الصبر من حبس النفس والخشونة التي تلحق الظاهر والباطن من التعب والنصب والحرارة ما فيه كان الجزاء عليه بالجنة التي فيها السعة ، والحرير الذي فيه اللين والنومة ، والاتكاء الذي يتضمن الراحة ، والظلال المنافية للحر .

ثم ذكر سبحانه لون ملابس [ الأبرار ] <sup>(٣)</sup> وأنها ثياب سندس خضر وإستبرق ، وحليتهم وأنها أساور من فضة ، فهذه زينة ظواهرهم . ثم ذكر زينة بواطنهم ، وهو الشراب الطهور ، وهو بمعنى التطهير <sup>(٤)</sup> .

فإن قيل : فلم اقتصر من آيتهم وحليتهم على الفضة دون الذهب ؟ ومعلوم أن الجنان جنتان من فضة آيتهما وحليتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آيتهما وحليتهما وما فيهما .

قيل : سياق هذه الآيات إنما هو في وصف الأبرار ونعيمهم مفصلاً دون تفصيل جزاء اللقربين ، فإنه سبحانه إنما أشار إليه إشارة تنبيه على ما سكت عنه ، وهو أن شراب الأبرار يمزج من شرابهم .

فالسورة مسوقة بصفة الأبرار وجزائهم على التفصيل . وذلك - والله أعلم -

(١) حيّاهم به : كذا بالأصل ولهاوجه ، وأخشى أن تكون : حيّاهم به .

(٢) في الآيات : ١٢ - ٢٠ .

(٣) الأبرار : زيتها ليستقيم الكلام .

(٤) في قوله تعالى : ( عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة

وسقاهم ربه شراباً طهوراً ) [ الآية ٢١ ] .

لأنهم أعم من المقرّبين وأكثر منهم . ولهذا يخبر سبحانه عنهم بأنهم ثلّة من الأولين وثلة من الآخرين<sup>(١)</sup> ، وعن المقرّبين السابقين بأنهم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين<sup>(٢)</sup> .

وأيضاً فإن في ذكر جزاء الأبرار تنبيهاً على أن جزاء المقرّبين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وأيضاً ، فإنه سبحانه ذكر أهل الكفر وأهل الشكر . وأهل الشكر نوعان : أبرار أهل يمين ، ومقرّبون سابقون ، وكل مقرّب سابق فهو من الأبرار ، ولا ينمّكس . فاسم الأبرار والمقرّبين كاسم الإسلام والإيمان أحدهما أعم من الآخر .

وأيضاً ، فإنه سبحانه أخبر أن هذا جزاء سعيهم المشكور<sup>(٣)</sup> ، وكل من الأبرار والمقرّبين سعيهم مشكور ، فذكر سبحانه السعي المشكور والسعي المسخوط

الآية : ٢٢

ثم ذكر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بما أنعم / عليه من تنزيل القرآن عليه ، وأمره بأن يصبر لحكمه<sup>(٤)</sup> ، وهو<sup>(٥)</sup> يعمّ الحكم الديني الذي أمره به في نفسه وأمره بتبليغه ، والحكم الكوني الذي يجري عليه من ربه ، فإنه سبحانه امتحن عباده وابتلاهم بأمره ونهيه ، وهو حكمه الديني ، وابتلاهم بقضائه وقدره ، وهو حكمه الكوني ، وفرض عليهم الصبر على كل واحدٍ من الحكّمين ، وإن

س ١١٢

الآيتان :  
٢٣ ، ٢٤

(١) هذه إشارة إلى الآيات ١١ - ١٤ من سورة الواقعة .

(٢) وهي إشارة إلى الآيات ٣٨ - ٤٠ من سورة الواقعة .

(٣) وذلك في قوله تعالى : ( إن هذا كان لسمّ جزاء وكان سعيكم مشكورا )

[ الآية ٢٢ ] .

(٤) وذلك في الآيتين ٢٣ ، ٢٤ : ( إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً \* فاصبر

لحكم ربك ) .

(٥) في الأصل : وهم .

كان الحكم الديني في هذه الآية أظهر إرادة ، وأنه أمرٌ بالصبر على تبليغه والقيام بحقوقه .

ولما كان صبره عليه لا يتم إلا بمخالفته لمن دعاه إلى خلافه من كل آثم أو كفور ، نهى عن طاعة هذا وهذا ، وأتى بحرف « أو » دون « الواو » ليدل على أنه منهى عن طاعة أيهما كان : إما هذا وإما هذا <sup>(١)</sup> ، فكأنه قيل له : لا تطع أحدهما ، وهو أعم في النهي من كونه منهياً <sup>(٢)</sup> عن طاعتهما ، فإنه لو قيل له : لا تطعهما ، أو لا تطع آثماً وكفوراً لم يكن صريحاً في النهي عن طاعة كل منهما بمفرده .

الآيتان :  
٢٦ ، ٢٥

ولما كان لا سبيل إلى الصبر إلا بتمويض القلب بشيء هو أحب إليه من فوات ما يصبر على فوته أمره بأن يذكر ربه سبحانه بكرة وأصيلاً - فإن ذكره أعظم العون على تحمل مشاق الصبر - وأن يصبر لربه بالليل فيكون قيامه بالليل عوناً على ما هو بصده بالنهار <sup>(٣)</sup> ، ومادة لقوته ظاهراً وباطناً ، ولنعميمه عاجلاً وآجلاً .

ثم أخبر سبحانه عما يمنع العبد من إثارة ما فيه سعادته في الدنيا والآخرة ، وهو حب العاجلة وإيثارها على الآخرة تقديماً لداعي الحس على داعي العقل <sup>(٤)</sup> .

ثم ذكر سبحانه خلقهم وإحكامه وإتقانه بما شدد من أسرهم <sup>(٥)</sup> ، وهو ائتلاف الأعضاء والمفاصل والأوصال وما بينها <sup>(٦)</sup> من الرباطات وشد بعضها

(١) وذلك في بقية آية ٢٤ : ( ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً ) .

(٢) في الأصل : منهى .

(٣) في قوله تعالى : ( واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً \* ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ) [ الآيتان : ٢٥ ، ٢٦ ] .

(٤) قال تعالى : ( إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً ) [ الآية ٢٧ ] .

(٥) وذلك في أول آية ٢٨ : ( نحن خلقناهم وشددنا أسرهم ) .

(٦) في الأصل : وما بينها .

ببعض ، وحقيقته <sup>(١)</sup> القوة ، ومنه قول الشاعر :

من كل مُجْتَنِبٍ شَدِيدٍ أَسْرُهُ سَلَسِ الْقِيَادِ تَخَالُهُ مَخْتَالاً <sup>(٢)</sup>

ولا يكون ذلك إلا فيما له شد ورباط ، ومنه الإسار ، وهو الحبل الذي يُشد به الأسير .

ثم أخبر سبحانه أنه قادر على أن يبدل أمثالهم بعد موتهم ، وأنه إذا شاء ذلك فعله <sup>(٣)</sup> . و « إذا » للمُحَقِّق ، فهذا التبديل واقع لاحتمال ، فهو الإعادة التي هي مثل البداءة .

هذا هو معنى الآية ، ومن قال غير ذلك لم يصب معناها ، ولا توحشك لفظة « المثل » ، فإن المعاد مِثْلٌ للبدوء وإن كان هو بعينه ، فهو مُعَادٌ ، أو هو مثله من جهة المغايرة بين كونه مبدءاً ومعاداً . وهذا كالدار إذا تهدمت وأعيدت بعينها فهي الأولى ، وكذلك الصلاة المعادة هي الأولى وهي مثلها .

(١) في الأصل : وحقيقة - بتشديد الياء الثانية - والوجه ما أثبت لأن الضمير في قوله « حقيقته » عائد على الأسر .

(٢) البيت للأخطل في ديوانه ، ص ٤٦ ( ط . بيروت ، ١٨٩١ ) ؛ وتفسير الطبري ١٣٩ / ٢٩ . وهو من قصيدته التي مطلعها :

كذبتك عينك أم رأيت بواسطٍ غلس الظلام من الرباب خيالا  
وقبل بيت الشاهد :

أَبْنِي كُلِّيبَ إِنْ عَمِيَ اللِّدَا قَتَلَا لِلْمُلُوكِ وَفَكَّكَ الْأَغْلَا  
وَأَخُوها السَّقَاحَ ظَمًا خَيْسَلَه حَتَّى وَرَدْنَ جَيْيَ الْكَلَابِ نِهَالَا  
يَخْرُجْنَ مِنْ ثَغْرِ الْكَلَابِ عَلَيْهِمْ خَبَبَ السَّبَاعِ تَبَادَرِ الْأَوْشَالَا

من كل مُجْتَنِبٍ ... ..

قال شارح الديوان : « مجتنب : مقتل من الجنية ، وكانوا يركبون الإبل ويجنبون الخيل ، فإذا صاروا إلى الحرب ركبوا الخيل . وأسره : خلقه ، ومنه قوله جل وعز : ( نحن خلقناهم وشددنا أسرهم ) ومختال : كان فيه اختيالا من فرحه ونشاطه » .

(٣) وذلك في بآي آية ٢٨ : ( وإذا شقنا بذكرنا أمثالهم تبديلا )



وقد نطق القرآن بأنه سبحانه/ بعيدهم وبعيد أمثالهم إذ شاء ، وكلاهما واحد  
 فقال : ﴿ كَتَابِدْأُكُمْ تَمُودُونَ ﴾ [ سورة الأعراف : ٢٩ ] ، وقال تعالى :  
 ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [ سورة الأنبياء : ٣٥ ] ، وقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ  
 الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [ سورة الروم : ٢٧ ] ، وقال : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾  
 [ سورة يس : ٨١ ] ، وقال إننا لقادرون : ﴿ عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ  
 فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ \* وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾  
 [ سورة الواقعة : ٦١ ، ٦٢ ]

فهذا كله معاد الأبدان ، وقد صرح سبحانه بأنه خلق جديد في موضعين  
 من كتابه<sup>(١)</sup> . وهذا الخلق الجديد هو « المثل » .

ثم ختم سبحانه السورة بالشرع والقدر كما افتتحها بالخلق والمداية ، فقال : الآية : ٢٩  
 ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ [ الآية ٢٩ ] ، فهذا شرعه ومحل أمره ونهيهِ ؛  
 ثم قال : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [ الآية ٣٠ ] ، فهذا قضاؤه وقدره ؛  
 ثم ذكر الاسمين الموجبين للتخصيص وهما اسم : العليم الحكيم<sup>(٢)</sup> .  
 وقوله : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ ، فأخبر أن مشيئتهم موقوفة  
 على مشيئته ، ومع هذا فلا يوجب ذلك حصول الفعل منهم ، إذ أكثر ما فيه أنه  
 جعلهم شائين ، ولا يقع الفعل إلا حين يشاؤه منهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَنْ شَاءَ  
 ذَكَرْهُ \* وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [ سورة المدثر : ٥٥ ، ٥٦ ] وقال :  
 ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ \* وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [ سورة التكاوير :  
 ٢٨ ، ٢٩ ] ، ومع هذا فلا يقع الفعل منهم حتى يريد من نفسه إعانتهم وتوفيقهم .  
 فهنا أربع إرادات : إرادة البيان ، وإرادة المشيئة ، وإرادة الفعل ، وإرادة  
 الإعانة ، والله أعلم .

آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما .

(١) لعله يقصد الآية ١٩ من سورة إبراهيم والآية ١٦ من سورة فاطر ونسب كل  
 منهما : ( إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ) .

(٢) وهو في باقي الآية ٣٠ : ( إن الله كان عليا حكيا ) .



رِسَالَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ



## ﴿ فصل ﴾

قال الله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [سورة البقرة : ٧٥] .  
 قال علي بن أبي طالب : « الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ،  
 فإذا انقطع الرأس بَارَ الجسد ، ألا لا إيمان لمن لا صبر له » .<sup>(١)</sup>

فالصبر على أداء الواجبات واجب ، ولهذا قرنه بالصلاة في أكثر من  
 خمسين موضعاً ، فمن كان لا يصلي من جميع الناس - رجالهم ونسائهم - فإنه  
 يؤمر ، فإن امتنع عوقب<sup>(٢)</sup> بإجماع المسلمين . ثم أكثرهم يوجبون قتل تارك  
 الصلاة ، وهل يقتل كافراً مرتداً أو فاسقاً ؟ على قولين في مذهب أحمد وغيره .  
 والمنقول عن أكثر السلف يقتضي كفره ، وهذا مع الإقرار بالوجوب ، فأما  
 [مع] جحود الوجوب<sup>(٣)</sup> فهو كافر بالاتفاق .

ومن ذلك تعاهد مساجد المسلمين وأئمتهم ، وأمرهم بأن يصلوا بهم صلاة  
 النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : « صَلُّوا كما رأيتموني أصلي » رواه  
 البخاري<sup>(٤)</sup> . وصلى مرة بأصحابه على طرف المنبر وقال : إنما فعلت هذا  
 لتأتموا بي وتعلموا صلاتي .

فعلى إمام الصلاة أن يصلي بالناس صلاةً كاملة ، لا يقتصر على ما يجوز للمنفرد

(١) جاء في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد ( ط . المعارف ) ٣٢٤/١ : « من  
 كلام أمير المؤمنين عليه السلام : ... وعليكم بالصبر ، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس  
 من الجسد فكما لا خير في جسد لا رأس له ، لا خير في إيمان لا صبر معه » .

(٢) في الأصل : عوقبوا . (٣) في الأصل : فأما جحود الوجوب .

(٤) هذا جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه ١٢٤/١ ( كتاب الصلاة ، باب  
 الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة .. الخ ) وأوله : « حدثنا مالك : أنينا إلى النبي  
 صلى الله عليه وسلم ونحن شعبة متقاربون .. الخ » ، ورواه مرة أخرى ٨٦/٩ - ٨٧ ( كتاب  
 خبر الواحد ، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد .. الخ ) وروى الحديث عن مالك بن الحويرث  
 أحمد في مسنده ( ط . الحلبي ) ٥٣/٥ .

الاعتصار عليه إلا لعذر ، وكذلك على إمامهم في الحج وأميرهم في الحرب .  
 ألا ترى الوكيل والولى في البيع والشراء عليه أن يتصرف لموكله ولموئيه على  
 الوجه الأصح له في ماله ، وهو في مال نفسه يفوت [على] نفسه <sup>(١)</sup> ماشاء ، فأمر الدين  
 أهم ، ومتى اهتمت <sup>(٢)</sup> الولاية بإصلاح دين الناس صلح الدين للطائفتين والدنيا ، وإلا  
 اضطربت الأمور عليهم جميعاً .

وملاك ذلك حسن النية للرعية ، وإخلاص الدين بركة لله عز وجل ،  
 والتوكل عليه ، فإن الإخلاص والتوكل جماع صلاح الخاصة والعامة ،  
 كما أمرنا أن نقول في صلاتنا : ﴿ إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، فهاتان  
 الكلمتان <sup>(٣)</sup> قد قيل إنهما تجمعان معاني الكتب المنزلة من السماء .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان مرة في غزاة فقال : « يا مالك يوم الدين ،  
 إياك نعبد وإياك نستعين » فجعلت الرموس تندرج عن كواهلها <sup>(٤)</sup> .

وقد ذكر ذلك في غير موضع من كتابه كقوله عز وجل : ﴿ فَاعْبُدْهُ  
 وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [سورة هود : ١٢٣] ، وقوله : ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ  
 أُنِيبُ ﴾ [سورة هود : ٨٨] ، [سورة الشورى : ١٠] . وكان صلى الله عليه وسلم  
 إذا ذبح أضحيته قال : « منك وإليك » <sup>(٥)</sup> .

(١) في الأصل : يفوت نفسه .

(٢) في الأصل : اهتمت .

(٣) في الأصل : فهاتان الكلمتين .

(٤) ندر الشيء يندر ندوراً سقط . وفي الدر المنثور ١/ ١٤ : « وأخرج أبو القاسم البغوي  
 والماوردي معاً في معرفة الصحابة ، والطبراني في الأوسط ، وأبو نعيم في الدلائل عن أنس  
 بن مالك عن أبي طلحة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فلقى العدو ، فسمعه  
 يقول : يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين . قال : فلقد رأيت الرجال تصدع ، تضربها  
 الملائكة من بين يديها ومن خلفها » .

(٥) أخرج أبو داود في سننه ٣ / ١٢٦ عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله  
 عليه وسلم ذبح يوم الذبح كبشين أقرنين وأن مما قاله عند ذلك : « اللهم منك ولك » عن محمد  
 وأمثه . وانظر جامع الأصول ٤ / ١٤٨ - ١٤٩ .

وأصل ذلك المحافظة على الصلوات بالقلب والبدن ، والإحسان إلى الناس بالنفع والمال الذي هو الزكاة ، والصبر / على أذى الخلق وغيره من النوائب . ط ٢٠٥  
فبالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعي والرعية ، وإذا عرف الإنسان ما يدخل في هذه الأسماء الجامعة عرف [ ما ] يدخل في الصلاة <sup>(١)</sup> من ذكر الله تعالى ودعائه وتلاوة كتابه وإخلاص الدين له والتوكل عليه ، وفي الزكاة [ من ] <sup>(٢)</sup> الإحسان إلى الخلق بالمال والنفع : من نصر المظلوم وإغاثة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل معروف صدقة » <sup>(٣)</sup> ، فيدخل فيه كل إحسان ولو ببسط الوجه والكلمة الطيبة .

ففي الصحيح عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حاجب ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئاً قدّمه ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئاً قدّمه ، وينظر أمامه فيستقبل النار ، فمن استطاع منكم أن يتقى النار ولو بشق تمره ليفعل ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة » <sup>(٤)</sup> .

وفي السنن « لا تحقرن من المسروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه

(١) في الأصل : إذا عرف الإنسان ... عرف يدخل في الصلاة .. الخ .

(٢) من : ليست في الأصل .

(٣) الحديث عن جابر في البخاري ١١/٨ ( كتاب الأدب ، باب كل معروف صدقة ) ؛ وعن حذيفة في : مسلم ٨٢/٣ ( كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ) .

(٤) الحديث في البخاري ١١٢/٨ ( كتاب الرقاق ، باب من نوقش الحساب عذب ) ؛ مسلم ٨٦/٣ ( كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ) ؛ سنن ابن ماجه ١/٦٦ ( المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ) ، ص ٥٩٠ ( كتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة ) .

طلق»<sup>(١)</sup>. وفي رواية : « ووجهك إليه منبسط ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقى » .

وفي الصبر احتمال الأذى وكظم الغيظ والعفوع عن الناس ومخالفة الهوى وترك الأشر والبطر ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا كَافُورًا \* وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا \* إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [سورة هود : ٩ - ١١] .

وقال الحسن البصري : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش<sup>(٢)</sup> : ألا ليقم من أجره على الله ؛ فلا يقوم إلا من عفا وأصلح » .  
وليس من حسن النية للرعية والإحسان إليهم أن يفعل ما يهوونه ويترك ما يكرهونه<sup>(٣)</sup> . قال تعالى : ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [سورة المؤمنون : ٧١] . وقال لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ ﴾ [سورة المجرات : ٧] .

(١) الحديث عن أبي ذر رضى الله عنه في: مسلم ٣٧/٨ (كتاب البر والصلة والآداب ، باب استجاب طلاقة الوجه عند اللقاء) ؛ وهو من جابر رضى الله عنه في سنن الترمذى (بشرح ابن العربي) ١٤٦/٨ - ١٤٧ (كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في طلاقة الوجه وحسن البشر) وفيه : « وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك » . وقال الترمذى : « وفي الباب عن أبي ذر » وقال : « هذا حديث حسن » .

(٢) في لسان العرب ( بطن ) . « وفي الحديث : ينادى مناد من بطنان العرش ، أى من وسطه ، وقيل : من أصله ، وقيل : البطنان جمع بطن وهو الغامض من الأرض ، يريد : من دواخل العرش » .

(٣) في الأصل : أنه يفعل ما يهوونه ويتركون ما يكرهونه .



رسالة في تحقيق النول



# بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم  
تسلماً . أما بعد ، فهذا :

## ﴿ فصل في التوكل ﴾

قد ظن طائفة ممن تكلم في أعمال القلوب أن التوكل لا يحصل به جلب منفعة ولا دفع مضرة ، بل ما كان مقدراً بدون التوكل فهو مقدّر مع التوكل ، ولكن التوكل عبادة يُثاب عليها من جنس الرضا بالقضاء ، وذكر ذلك أبو عبد الله بن بطة فيما صنفه في هذا الباب <sup>(١)</sup> . وقول هؤلاء يشبه قول من قال : إن الدعاء لا يحصل به جلب منفعة ولا دفع مضرة ، بل هو عبادة يُثاب عليها كرمي الجمار ، وآخرون يقولون : بل الدعاء علامة وأمانة ، ويقولون ذلك في جميع العبادات ، وهذا قول من ينفي الأسباب في الخلق والأمر ويقول : إن الله يفعل عندها لا بها ، وهو قول طائفة من متكلى أهل الإثبات للقدر كالأشعرى وغيره ، وهو قول طائفة من الفقهاء والصوفية .

(١) هو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المروفي بابن بطة ، ولد سنة ٣٠٤ وتوفي سنة ٣٨٧ ، من كبار فقهاء الحنابلة والمحدثين ومن أمّ مصنفاته : الإبانة الكبرى والإبانة الصغرى . انظر ترجمته في : طبقات الحنابلة ٢ / ١٤٤ - ١٥٣ ؛ شذرات الذهب ٣ / ١٢٢ - ١٢٤ ؛ الأعلام ٤ / ٣٥٤ .

ولعل الإشارة هنا إلى كتاب « الإبانة الكبرى » إذ أن المجلد الثاني منه يحتوي على أربعة أجزاء في القدر . انظر تعليق الأستاذ فؤاد سيد على ترجمة ابن بطة في المعبر للذهبي ٣ / ٣٥ ؛ وانظر فهرس الخزائن الثمورية ٣ / ٤ ( مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦٩ / ١٩٥٠ ) .

وأصل هذه البدعة من قول جهنم ، فإنه كان غالباً<sup>(١)</sup> في نفي الصفات وفي الجبر ، فجعل من تمام توحيد الذات نفي الصفات ، ومن تمام توحيد الأفعال نفي الأسباب ، حتى أنكر تأثير قدرة العبد ، بل نفي كونه قادراً ، وأنكر الحكمة والرحمة ، وكان يخرج إلى الجذم فيقول : أرحم الراحمين يفعل كل هذا !؟ بمعنى أنه يفعل بمحض المشيئة بلا رحمة ، وقوله في القدر قد يقرب إليه الأشعري ومن وافقه من الطوائف .

والذي عليه السلف والأئمة والفقهاء والجمهور وكثير من أهل الكلام إثبات الأسباب ، كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة مع دلالة الحس والعقل ، والكلام على هؤلاء مبسوط في مواضع آخر .

والمقصود هنا الكلام على التوكل ، فإن الذي عليه الجمهور أن التوكل يحصل له بتوكله من جلب المنفعة ودفع المضرّة مالا يحصل لغيره ، وكذلك الداعي ؛ والقرآن يدل على ذلك في مواضع كثيرة . ثم هو سبب عند أكثرين ، وعلامة عند من ينفي الأسباب ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [سورة الطلاق : ٢ ، ٣] ، واحسب الكافي فيبين أنه كافٍ من توكل عليه ، وفي الدعاء : يا حَسْبَ التَّوَكَّلِ ، فلا يُقال : هو حسب غير التوكل كما هو حسب التوكل ، لأنه علّق هذه الجملة على الأولى تطبيق الجزاء على الشرط ، فيمتنع في مثل ذلك أن يكون وجود الشرط كعدمه ، ولأنه رتب الحكم على الوصف المناسب له ، فلم أن توكله هو سبب كونه حسباً له ، ولأنه ذكر ذلك في سياق الترغيب في التوكل كما رغب في التقوى ، فلو لم يحصل للتوكل من الكفاية

التوكل عند الجمهور يجلب المنفعة ويدفع المضرّة وهو سبب عند الأكثرين

ط ٧٤

توكل المؤمن على الله هو سبب كونه حسباً له

ما لا يحصل لغيره لم يكن ذلك مرغبا في التوكل ، كما جعل التقوى سببا للخروج من الشدة وحصول الرزق من حيث لا يحتسب . وقد قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٣] ، فمدحوه سبحانه بأنه نعم الوكيل لما توكلوا عليه بقولهم : حسبنا الله ، أى كافينا الله : لا يستحق المدح إن لم يجلب لمن توكل عليه منفعة ويدفع عنه مضرة ، والله خير من توكل العباد عليه ، فهو نعم الوكيل : يجلب لهم كل خير ويدفع عنهم <sup>(١)</sup> كل شر .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا \* رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [سورة الزمل : ٨ ، ٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴾ [سورة الإسراء : ٢] فأمر أن يتخذ وكيلًا ، ونهى أن يتخذ من دونه وكيلًا ، لأن الخلق لا يستقل بجميع حاجات العبد ، والوكالة الجائزة أن يؤكّل الإنسان في فعل يقدر عليه ، فيحصل للموكّل بذلك بعض مطلوبه ، فأما مطالبه كلها فلا يقدر عليها إلا الله ، وذلك الذى يؤكّله لا يفعل شيئًا إلا بمشيئة الله عز وجل وقدرته ، فليس له أن يتوكل عليه وإن وكّله ، بل يعتمد على الله في تيسير ما وكّله فيه ، فلو كان الذى يحصل للمتوكل على الله يحصل وإن توكل على غيره ، أو يحصل بلا توكل ، لكان اتخاذ بعض الخلقين وكيلًا أنفع من اتخاذ الخالق وكيلًا ، وهذا من أفتح لوازم هذا القول الفاسد . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأقال : ٦٤] ، أى الله كافيك وكافى من اتبعك من

(١) في الأصل : لهم .

المؤمنين ، فلو كانت كفايته / للمؤمنين المتبعين للرسول - سواء اتبعوه أو لم يتبعوه - لم يكن للإيمان واتباع الرسول ثم [ أثر <sup>(١)</sup> ] في هذه الكفاية ، ولا كان لتخصصهم بذلك معنى ، وكان هذا نظيراً أن يقال : هو خالقك وخالق من أتبعك من المؤمنين ، ومعلوم أن المراد خلاف ذلك .

وإذا كان الحسب معنى <sup>(٢)</sup> يختص به بعض الناس ، علم أن قول المتوكل : حسبي الله ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [ سورة الطلاق : ٣ ] أمر مختص لامشترك ، وأن التوكل سبب ذلك الاختصاص ، والله تعالى إذا وعد على العمل بوعده أو خص أهله بكرامة ، فلا بد أن يكون بين وجود ذلك العمل وعلمه فرق في حصول تلك الكرامة ، وإن كان قد يحصل نظيرها بسبب آخر ، فقد يكفي الله بعض من لم يتوكل عليه كالأطفال ، لكن لا بد أن يكون للمتوكل أثر في حصول الكفاية الحاصلة للمتوكلين ، فلا يكون ما يحصل من الكفاية بالتوكل حاصلًا مطلقاً وإن عدم التوكل ، وقد قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ فَاَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنْ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [ سورة آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤ ] ، فمقرب هذا الجزاء والحكم لذلك الوصف والعمل بحرف الفاء وهي تفيد السبب ، فدل ذلك على أن ذلك التوكل هو سبب هذا الانقلاب بنعمة من الله وفضل ، وأن هذا الجزاء جزاء على ذلك العمل .

التوكل سبب  
نعمة الله وفضله

وفي الأثر : من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، فلو كان التوكل لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة لم يكن للمتوكل أقوى من غيره .

(١) كلمة ( أثر ) ليست في الأصل ، وزدتها ليستقيم الكلام .

(٢) كلمة « معنى » لم يظهر منها غير الحروف الثلاثة الأخيرة ، ورجحت أن تكون

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَاتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا \* وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة الأحزاب : ١ - ٣] .  
وقال في أثناء السورة: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية ٤٨] .

فأمره سبحانه بتقواه واتباع ما يوحي إليه وأمره بالتوكل ، كما جمع بين هذين الأصلين في غير موضع كقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود : ١٢٣] وقوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَتَبَتَّلًا \* رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [سورة الزمل : ٨ ، ٩] ، وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود : ٨٨] ، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَّا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة المتحنة : ٤] ، وقوله تعالى: ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [سورة الرعد : ٣٠] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق : ٢ ، ٣] .

وقوله تعالى في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، وعلم القرآن جمع في الفاتحة ، وعلم الفاتحة في هذين الأصلين : عبادة الله والتوكل عليه .

وإذا أفرد لفظ العبادة دخل فيه التوكل ، فإنه من عبادة الله تعالى كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة : ٢١] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الداريات : ٥٦] ، وإذا قُرِنَ به التوكل كان مأموراً به بخصوصه .

وهذا كلفظ الإسلام والإيمان والعمل ، ولفظ الصلاة مع العبادة ومع اتباع

الكتاب ، ولفظ الفحشاء والبنى مع المنكر ، ونظائر ذلك ممتددة

فكون اللفظ عند تجرده وإفراده يتناول أنواعاً ، وقد يُعطف بعض تلك الأنواع عليه فيكون مأموراً به بخصوصه ، ثم قد يُقال : إذا عُطف لم يدخل في المعطوف عليه ، وقد يُقال : بل أمر به خاصاً وعاماً ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَلَأْنِيكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ [سورة البقرة : ٩٨] ، وإذا كان الله أمره بالتوكل على الله ، ثم قال : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٣] ، علم أن الله وكيل كاف لمن توكل عليه ، كما يقال في الخطبة والدعاء : الحمد لله كافٍ من توكل عليه .

وإذا كان كفى به وكيلاً فهذا مختص به سبحانه ، ليس غيره من الموجودات كفى به وكيلاً ، فإن من يتخذ وكيلًا من المخلوقين غايته أن يفعل بعض الأمور ، وهو لا يفعلها إلا بإعانة الله له ، وهو عاجز عن أكثر المطالب . فإذا كان سبحانه وصف نفسه بأنه كفى به وكيلاً ، علم أنه يفعل بالتوكل عليه ما لا يحتاج معه إلى غيره في جلب المنافع ودفع المضار ، إذ لو تبق شر لم يكن كفى به وكيلاً . وهذا يقتضى بطلان ظن من ظن <sup>(١)</sup> أن التوكل عليه لا يحصل له بتوكله عليه جلب منفعة ولا دفع مضرة ، بل يجرى عليه من القضايا ما كان يجرى لو لم يتوكل عليه .

والذين ظنوا هذا أصل شبهتهم أنهم لما أثبتوا أن الله إذا قضى شيئاً فلا بد أن يكون ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن ما سبق به علمه فهو كائن لا محالة ، صاروا يظنون ما يوجد بسبب يوجد بدونه ، وما يوجد مع عدم المانع يوجد مع المانع .

(١) في الأصل : وهذا يقتضى قول لمن ظن أن ظن ، وهي بيئة التعريف .



وهذا غلط عظيم ضل فيه طوائف . طائفة قالت : لا حاجة إلى الأعمال  
المأمور بها ، فإن من خلق للجنة فهو يدخلها وإن لم يؤمن ، ومن خلق للنار  
فهو يدخلها وإن آمن .

وهذه الشبهة سئل عنها النبي صلى الله عليه وسلم لما قال : « ما منكم من أحد  
إلا وقد عِلِمَ مقعده من الجنة والنار . قالوا : أولاً / ندع العمل ونتكلم على  
الكتاب ؟ فقال : لا ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له ؛ أما من كان من أهل  
السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فسييسر إلى  
عمل أهل الشقاء » <sup>(١)</sup> .

وهذا المعنى قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح في مواضع  
تبين أن ما سبق به الكتاب سبق بالأسباب التي تقضى إليه ، فالسعادة سُبقت  
بأن صاحبها يُستعمل فيما يصير به سعيداً ، والشقاوة سُبقت بأن صاحبها يُستعمل  
فيما يصير به شقياً ، فالقدر يتضمن الناية وسببها ، لم يتضمن غاية بلا سبب ،  
كما تضمن أن هذا يُولد له بأن يتزوج ويطأ المرأة ، وهذا ينبت أرضه بأن  
يزرع ويسقى الزرع وأمثال ذلك .

وكذلك في السنن أنه قيل له : « يا رسول الله ، أرايت أدوية تداوى بها ورقي  
نسترقها وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ » <sup>(٢)</sup> فقال : هي من قدر الله » <sup>(٣)</sup> ،

(١) هذا الحديث مروى مع اختلاف في اللفظ عن علي رضي الله عنه في أكثر كتب السنة  
وفي عدة مواضع . انظر مثلاً : البخارى ١٢٣/٨ - ١٢٤ ( كتاب القدر ، باب وكان أمر الله قديراً  
مقدوراً ) ؛ مسلم ٤٦/٨ ( كتاب القدر ، باب كيفية الخلق آدمي في بطن أمه . . الخ ) ؛  
سنن أبى داود ٤ / ٣٠٧ - ٣٠٨ ( كتاب السنة ، باب القدر ) ؛ المسند ( ط . المعارف )  
الأرقام : ٦٢١ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١١١٠ ، ١١٨١ ، ١٣٤٨ ، وانظر مفتاح كنوز  
السنة : القدر .

(٢) في الأصل : هل ترد من قدر الله فينا ، وأكثر الروايات التي رأيتها فيها : . . من  
قدر الله شيئاً .

(٣) الحديث مروى عن أبى خزيمة رضي الله عنه في سنن الترمذى ( بشرح ابن العربي )  
٢٢٤/٨ ( كتاب الطب ، باب ما جاء في الرق والأدوية ) وقال الترمذى : هذا حديث =

بَيِّنَ أَنَّ الأسبابَ التي تُدْفَعُ بها المكَّارُ هي من قَدَرِ اللَّهِ ، ليس القدر مجرد دفع المكروه بلا سبب .

وكذلك قول من قال : إن الدعاء لا يؤثر شيئاً والتوكل لا يؤثر شيئاً هو من هذا الجنس ، لكن إنكار ما أمر به من الأعمال كفر ظاهر ، بخلاف تأثير التوكل<sup>(١)</sup> ، لكن الأصل واحد ، وهو النظر إلى المقدور مجرداً عن أسبابه ولوازمه . ومن هذا الباب أن المقتول يموت بأجله عند عامة المسلمين ، إلا فرقة من القدرية قالوا إن القاتل قطع أجله ، ثم تكلم الجمهور : لو لم يقتل ؟ فقال : بعضهم : كان يموت لأن الأجل قد فرغ ، وقال بعضهم : لا يموت لانتهاء السبب .

وكلا القولين قد قاله من ينسب إلى السنة ، وكلاهما خطأ ، فإن القدر سبق بأنه يموت فهذا السبب لا بغيره ، فإذا قُدِّرَ انتهاء هذا السبب كان فرض خلاف ما في المقدور ، ولو كان المقدور أنه لا يموت بهذا السبب أمكن أن يكون المقدَّرُ أنه يموت بغيره ، وأمكن أن يكون المقدَّرُ أنه لا يموت ، فالجزم بأحدهما جهل ، فما تمددت أسبابه لم يُجْزَمْ بعمده عند عدم بعضها ، ولو لم يُجْزَمْ بثبوته إن لم يعرف له سبب آخر ، بخلاف ما ليس له إلا سبب واحد ، مثل دخول النار فإنه لا يدخلها إلا من عصى ، فإذا قُدِّرَ أنه لم يعص لم يدخلها .

قال تعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ \* إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٥٩ ، ١٦٠] ، فأمره إذا عزم أن

نصر الله مع  
التوكل عليه

ظ ٧٦

== حسن صحيح ، ٣١٥/٨ (كتاب القدر ، باب ما جاء لاترد الرقي ولا الدواء من قدر الله شيئاً) ؛ سنن ابن ماجه ١١٣٧/٢ (كتاب الطب ، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٤٢١/٣ .  
(١) في الأصل : المتوكل .

يتوكل على الله ، فلو كان المتوكل لا يعينه على مثل ما عزم عليه لم يكن به عند العزم فائدة ، يبين سبحانه أنه هو الناصر دون غيره فقال : ﴿ وَاعْلَى اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فنهى عن التوكل على غيره ، وأمر بالتوكل عليه ليحصل للمتوكل عليه النصر الذي لا يقدر عليه غيره ، وإلا فالتوكل على غيره يطلب منه النصر ، فإن كان ذلك المطلوب لا يحصل منه لم يكن لذكر انفراده بالنصر معنى ، فإنه على هذا القول نصره لمن توكل عليه كنصره لمن لم يتوكل عليه ، وهذا يناقض مقصود الآية ، بل عند هؤلاء قد ينصر من يتوكل على غيره ولا ينصر من توكل عليه ! فكيف يأمر بالتوكل عليه دون غيره مقرونا بقوله : ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ . ٩ .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [سورة الزمر : ٣٦] ، إلى قوله : ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٣٨] ، فبين أن الله يكفي عبده : الذي يعبد ، الذي هو من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان ، الذين هم من عباده المحلصين ، الذين هم من عباد الرحمن ، الذين يمشون على الأرض هوناً ، الذين هم من عباد الله الذين يشربون من عين يفجرونها تفجيراً .

ومثل هذا قوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [سورة الإسراء : ١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [سورة الجن : ١٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٣] ونظائر ذلك متعددة ، ثم أمره بقوله : ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ .

توكل المرسلين  
يدفع عنهم شر  
أعدائهم

وقال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [سورة يونس : ٧١] .

وكذلك قال عن هود لما قال لقومه : ﴿ إِنْ تَقُولُ إِلَّا أُعْتِرَاكَ بِبَعْضِ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ \* مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ إني توكلت على الله ربي وربكم مآمن ذابغة إلا هو آخذٌ بناصيتها إني ربي على صراطٍ مستقيم ﴾ [سورة هود : ٥٤ - ٥٦] ، فهذا من كلام المرسلين مما يبين أنه بتوكله على الله يدفع شرهم عنه .

فنوح يقول : ﴿ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ ، فدعاهم إذا استعظموا ما يفعله كارهين له أن يجتمعوا ثم يفعلوا به ما يريدونه من الإهلاك ، وقال تعالى : ﴿ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ فلولا أن<sup>(١)</sup> تحقيقه هذه الكلمة ، وهو توكله على الله ، يدفع ما تحداهم به ودعاهم إليه تمجيزاً لهم من مناجزته ، لكان قد طلب منهم أن يهلكوه ، وهذا لا يجوز ، وهذا طلب تمجيز لهم ، فدل على أنه بتوكله على الله يمجزهم عما تحداهم به .

وكذلك هود يشهد الله وإياهم أنه بريء مما يشركونه بالله ، ثم بتحداهم ويعجزهم بقوله : ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ إني توكلت على

(١) في الأصل : أنه .

اللَّهِ رَبِّي وَرَبُّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴿١﴾ ، بَيْنَ أَنَّهُ تَوَكَّلَ عَلَى  
 مِنْ أَخَذَ بِفَوَاصِي الْأَنْفُسِ وَبَسَائِرِ الدُّوَابِّ ، فَهُوَ يَدْفَعُكُمْ عَنِّي لِأَنِّي مُتَوَكِّلٌ عَلَيْهِ ،  
 وَلَوْ كَانَ وَجُودُ التَّوَكُّلِ كَعَدَمِهِ فِي هَذَا كَانَ قَدْ أَغْرَامَ بِالْإِيقَاعِ بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ  
 لَذِكْرِ تَوَكُّلِهِ فَائِدَةٌ ، إِذْ كَانَ حَقِيقَةُ الْأَمْرِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ مَنْ تَوَكَّلَ  
 وَمَنْ لَمْ يَتَوَكَّلْ فِي وَصُولِ الْمَذَابِ عَلَيْهِ ، وَهُمْ كَانُوا أَكْثَرًا وَأَقْوَى مِنْهُ ، فَكَانُوا  
 يَهْلِكُونَ لَوْلَا قُوَّتُهُ بِتَوَكُّلِهِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ التَّوَكُّلَ إِنْ لَمْ يَعْطِهِ قُوَّةَ فَهْمٍ أَقْوَى مِنْهُ ،  
 وَهُوَ لَوْ قَالَ بَأَنَّ اللَّهَ مُوَلَايَ وَنَاصِرِي وَنَحْوَ ذَلِكَ لَعَلَّمْنَا أَنَّهُ [ قَالَهُ ] خَبْرًا <sup>(١)</sup> ، فَاللَّهُ  
 يَدْفَعُهُمْ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا يَدْفَعُهُمْ لِإِيْمَانِهِ وَتَقْوَاهُ ، وَلَئِنَّ عِبْدَهُ وَرَسُولَهُ .

وَاللَّهُ تَعَالَى مَعَ رُسُلِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، فَإِذَا كَانَ بِسَبَبِ الْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى يَدْفَعُ اللَّهُ  
 عَنِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾  
 [ سورة الحج : ٣٨ ] ، عُلِمَ أَنَّ الْعَبْدَ تَقُومُ بِهِ أَعْمَالُ بَاطِنَةٍ وَظَاهِرَةٍ يَجْلِبُ بِهَا الْمَنْفَعَةُ  
 وَيُدْفَعُ بِهَا الْمَضَرَّةُ ، فَالتَّوَكُّلُ مِنْ أَعْظَمِ ذَلِكَ ، وَعُلِمَ أَنَّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْمَقْدُورَ مِنْ  
 الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ لَيْسَ مُعَلَّقًا بِالْأَسْبَابِ بَلْ يَحْصُلُ بِدُونِهَا فَهُوَ غَلَطٌ .

غلط من أنكر  
 الأسباب أو  
 جعلها مجرد  
 أمانة وعلامة

وَكَذَلِكَ قَوْلُ مَنْ جَعَلَ ذَلِكَ مَجْرَدَ أَمَارَةٍ وَعَلَامَةٍ ، لِاقْتِرَانِ هَذَا بِهِذَا فِي غَيْرِ  
 مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَأَنْزَلْنَاهُ فِي الْمَاءِ فَأَخْرَجْنَا  
 بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [ سورة الأعراف : ٥٧ ] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كُلُوا  
 وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [ سورة الحاقة : ٢٤ ] ، وَقَوْلِهِ  
 تَعَالَى : ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [ سورة السجدة : ١٧ ] <sup>(٣)</sup> .

(١) فِي الْأَصْلِ : لَعَلَّمْنَا أَنَّهُ خَبْرٌ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : سَبَبٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : ( جَزَاءُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) وَهُوَ سَهْوٌ مِنَ النَّاسِخِ أَوْ الْمُؤَلَّفِ .

/ وأنكر تعالى على من ظن وجود الأسباب كدورها في قوله تعالى :  
 ﴿ أُنَجِّلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة القلم : ٣٥] ، وقوله تعالى :  
 ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ  
 أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [سورة م : ٢٨] ، وأمثال ذلك .

وهؤلاء الذين يقولون بالجبر قالوا بالأمر والنهي : حقيقة أنه إعلام  
 بوقوع المذاب بالمعاصي بمحض المشيئة لا لسبب ولا لحكمة ، فقلبوا حقيقة  
 الأمر<sup>(١)</sup> والنهي إلى الجبر ، كما أبطلوا الأسباب والحكم وأبطلوا قدر المباد ،  
 وهم وإن كانوا يردون على القدرية ، ويذكرون من تناقضهم ما يبين به فساد  
 قول القدرية ، فردوا باطلا بباطل ، وقابلوا بدعة ببدعة ، كرد اليهود على  
 النصراني ، والنصارى على اليهود مقاتلتهم في المسيح ، وكلا المقاتلين باطلا ،  
 وكذلك تقابل الخوارج والشيعة في عليّ ، كلاهما باطل على باطل ،  
 ونظائره متعددة .

### ﴿فصل﴾

وإن ما<sup>(٢)</sup> فرض عليه من الدعاء الراتب الذي يتكرر [في] الصلوات<sup>(٣)</sup> ،  
 بل الركعات ، فرضها ونفلها ، هو الدعاء الذي تضمنته أم القرآن ، وهو قوله تعالى :  
 ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ  
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ، لأن كل عبد فهو مضطر دائماً إلى مقصود هذا الدعاء ،  
 وهو هداية الصراط للمستقيم ، فإنه لانهجاة من العذاب إلا بهذه الهداية ، ولا وصول

فرض الله الدعاء  
على المباد  
لا تتقارهم إلى  
هدايته

(١) في الأصل : الآية ، وهو تحريف .

(٢) رسمت في الأصل : وإنما ، موصولة .

(٣) في الأصل : من الدعاء الراتب التي يتكرر الصلوات .

إلى السعادة إلا به ، فمن فاته هذا الهدى فهو إما من المنضوب عليهم وإما من الضالين .

وهذا الاهتداء لا يحصل إلا بهدى الله ، فمن يهده <sup>(١)</sup> الله فهو المهتدى ﴿وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [سورة الكهف : ١٧] . وهذه الآية مما يتبين بها فساد مذهب القدرية الذين يزعمون أن العبد لا يفترق في حصول هذا الاهتداء إلى الله ، بل كل عبد عندهم معه ما يحصل به الاهتداء ، والكلام عليهم مبسوط في موضع آخر .

والمقصود هنا أن كل عبد فهو مفتقر دائماً إلى حصول هذه الهداية . وأما سؤال من يقول : فقد هدام إلى الإيمان فلاحاجة إلى الهدى ، وجواب من يجيب بأن المطلوب دوام الهدى ، فكلام من لم يعرف حقيقة حال الأسباب وما أمر به ، فإن الصراط المستقيم أن تفعل في كل وقت ما أمرت به في ذلك الوقت من علم وعمل ولا تفعل ما نهيت عنه ، وهذا يحتاج إليه في كل وقت/ إلى أن يعلم ما أمر به في ذلك الوقت وما نهى عنه ، وإلى أن يحصل له إرادة جازمة لفعل للأمر ، وكراهة جازمة لترك المحذور . وهذا <sup>(٢)</sup> العلم المفصل والإرادة المفصلة لا يتصور أن تحصل للعبد في وقت واحد ، بل في كل وقت يحتاج أن يحمل الله في قلبه من العلوم والإرادات ما يهdy به في ذلك الوقت . نعم حصل له هدى مجمل ، فإن القرآن حق ، ودين الإسلام حق ، والرسول ونحو ذلك ، ولكن هذا الهدى المجمل لا يعينه إن لم يحصل له هدى مفصل في كل ما يأتيه ويدبره من الجزئيات التي يحار في كثير منها أ كثر عقول الخلق ، وبغلب الهوى أ كثر الخلق لغلبة الشهوات والشهوات على النفوس .

(١) في الأصل : فمن يهديه .

(٢) في الأصل : وهذه .

والإنسان خلق ظلوماً جهولاً ، فالأصل فيه عدم العلم وميله إلى ما يهواه من الشر ، فيحتاج دائماً إلى علم مفصل يزول به جهله ، وعدل في محبته وبفضه ، ورضاه وغضبه ، وفعله وتركه ، وإعطائه ومنعه ، وكل ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى عدل ينافي ظلمه ، فإن لم يمن الله عليه بالعلم المفصل والعدل المفصل ، وإلا كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم ، وقد قال تعالى لنبيه بعد صلح الحديبية وبيعة الرضوان : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا \* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا \* وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الفتح : ١-٣] ، فأخبر أنه فعل هذا ليهديه صراطاً مستقيماً ، فإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره ؟ .

والصراط المستقيم قد فُسر بالقرآن ، والإسلام ، وطريق المعبودية ، وكل هذا حق ، فهو موصوف بهذا وبغيره ، فحاجته إلى هذه الهداية ضرورية في سعادته ونجاته ، بخلاف الحاجة إلى الرزق والنصر ، فإن الله يرزقه ، وإذا أقطع رزقه مات ، والموت لا بد منه ، فإن كان من أهل الهداية كان سعيداً ، وإن كان بعد الموت ، وكان الموت موصله إلى السعادة الدائمة الأبدية ، فيكون رحمة في حقه وكذلك النصر إذا قُدِّرَ أنه قُهر وغلب حتى قتل ، فإذا كان من أهل الهداية إلى الاستقامة مات شهيداً ، وكان القتل من تمام نعمة الله عليه . فتبين أن حاجة العباد إلى الهدى أعظم من حاجتهم إلى الرزق ، بل لانسبة بينهما ، فلهذا كان هذا الدعاء هو المفروض عليهم .

وأيضاً ، فإن الدعاء يتضمن الرزق والنصر ، لأنه إذا هُدِيَ الصراط المستقيم كان من التقيين ، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ، وكان ممن ينصر الله ورسوله ، ومن نصر الله نصره وكان من جند الله ، وجند الله هم الغالبون ، فالهدى التام يتضمن حصول أعظم ما يحصل به الرزق والنصر .



رسالة في تحقيق الشكر



## ﴿فصل﴾

### يتعلق بالشكر<sup>(١)</sup>

١٣٦ ط

المجبرة والتقديرية والملاحدة  
الله ولا يشكرونه كما أنهم لا يعبدونه ، وأما أهل الإلحاد من المتفلسفة والباطنية لا يمدون الله ولا يشكرونه  
فهم أبعد عن حمده وشكره .

مقالة المجبرة  
وذلك أن المجبرة حقيقة قولهم أنه ليس برحيم ولا منعم ، بل ولا إله يستحق أن يُعبد ويُحِب ، بل صدور الإحسان عنه كصدور الإساءة ، وإنما هو يفعل بمحض مشيئة ترجح الشيء على مثله لا لمرجح ، وكل المكنتات عندهم متائلة ، فلا فرق بين أن يريد رحمة الخلق ونفعهم والإحسان إليهم ، أو يريد فسادهم وهلاكهم وإضرارهم ؛ يقولون : هذا كله عنده سواء .

ومعلوم أن الإنعام إنما يكون إنعاماً إذا قصد به المنعم نفع المنعم عليه دون إضراره ، وأما إذا قصد الأمرين ، فهذا ليس جملة منعماً مصلحاً بأولى من جملة معتدياً مفسداً ، كن يده سيف يضرب به صديق الإنسان تارة وعدوه أخرى ، أو معه دراهم يقوى بها تارة ويقوّيه بها تارة<sup>(٢)</sup> ، فهذا ليس كونه محسناً إليه بأولى من كونه ضاراً له ومحسناً إلى عدوه .

مقالة التقديرية النافية  
وأما النافية فعندهم أن هذا كله واجب عليه : البيان ، وخلق القدرة ، وإزاحة الغلل ، والجزاء . ومن فعل الواجب الذي يستحقه غيره عليه لم يستحق الشكر المطلق .

(١) يتعلق بالشكر : زيادة في (ع) .

(٢) الكلام فيه اختصار والتقصود : يقوى بها صديقه تارة ويقوى بها عدوه تارة .

وأيضاً ، إنعامه بالهدى على المؤمنين<sup>(١)</sup> والكفار سواء ، فشكر المؤمنين له على الهدى كشكر الكفار عليه ، إذ لم ينم على المؤمنين<sup>(٢)</sup> بنفس الهدى بل هم اهتموا بقدرتهم ومشيتهم ، وإذن كان إنعامه على النوعين سواء ، ولكن هؤلاء هم الذين فعلوا ما يسعدون به .

مقالة المتفلسفة

والمتفلسفة : أرسطو وأتباعه - عندهم أنه لا يفعل شيئاً ولا يريد شيئاً ولا يعلم شيئاً ولا يخلق شيئاً ، فعلى أى شيء يُشكر ، أم على أى<sup>(٣)</sup> شيء يُحمد ويُعبد ؟

مقالة باطنية  
الشيعة والتصوف

والباطنية : باطنية الشيعة والتصوفة كابن سبعين<sup>(٤)</sup> وابن عربي<sup>(٥)</sup> - هم في الباطن كذلك ، بل يقولون : الوجود واحد : وجود الخلق هو وجود الخالق ، فيجب أن يكون كل موجود عابداً لنفسه شاكرأ لنفسه حامداً لنفسه .

مقالة ابن عربي

وابن عربي يجعل الأعيان ثابتة في العدم ، وقد صرح بأن الله لم يُعط أحداً شيئاً ، وأن جميع ما للعباد فهو منهم لا منه ، وهو مفتقر إليهم لظهور وجوده في أعيانهم ، وهم مفتقرون إليه لكون أعيانهم ظهرت في وجوده ؛ قال رب إن ظهر

(١ - ١) : ساقط من (ك) .

(٢) أى : ساقطة من (ع) .

(٣) أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر المعروف بابن سبعين ، ولد سنة ٦١٣ وتوفى سنة ٦٦٩ . انظر ترجمته في : شذرات الذهب ٥ / ٣٢٩ - ٣٣٠ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ١٧٧ ؛ لسان الميزان ٣ / ٣٩٢ ؛ فوات الوفيات ١ / ٥١٦ - ٥١٨ ؛ فتح الطيب ٢ / ٣٩٥ - ٤٠٦ ؛ الأعلام ٤ / ٥١ .

(٤) أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائفي الأندلسي المعروف بابن عربي أو ابن العربي . ولد بمرسية بالأندلس سنة ٥٦٠ وتوفى بدمشق سنة ٦٣٨ . انظر ترجمته ومصنفاته في : فتح الطيب ٢ / ٣٦١ - ٣٨٤ ؛ شذرات الذهب ٥ / ١٩٠ - ٢٠٢ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ١٦٣ ؛ ميزان الاعتدال ٣ / ٦٥٩ - ٦٦٠ ؛ لسان الميزان ٥ / ٣١١ - ٣١٥ ؛ فوات الوفيات ٣ / ٤٧٨ - ٤٨٢ ؛ إبراهيم بن عبد الله القاري : مناقب ابن عربي ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، بيروت ، ١٩٥٩ ؛ الأعلام ٧ / ١٧٠ - ١٧١ .

فهو العبد ، والعبد إن بطن فهو الرب<sup>(١)</sup> . ولهذا قال : لا تحمد ولا تشكر إلا نفسك ، فاف في أحد من الله شيء ، ولا في أحد من نفسه شيء<sup>(٢)</sup> . ولهذا قال : إنه يستحيل من العبد أن يدعو له لأنه يشهد أحدية المين ، / فالداعي هو المدعو ، فكيف يدعو نفسه ؟<sup>(٣)</sup> وزعم أن هذا هو خلاصة غاية الغاية ، فما بعد هذا شيء . وقال : فلا تطمع أن ترقى في أعلى من هذه الدرج ، فإثم شيء أصلا ، وإن هذا إنما يعرفه خلاصة خلاصة الخاصة من أهل الله .

فصرّح بأنه ليس بعد وجود المخلوقات وجود يخلق ويرزق ويؤبد . ولهذا كان صاحبه القاضى يقول :

ما الأمر إلا نسقٌ واحدٌ ما فيه من حمدٍ ولا ذمٍّ  
وإنما العادة قد خصّصت والطبع والشارع بالحكم<sup>(٤)</sup>  
وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ

(١) انظر مثلا ما يذكره في « فصوص الحكم » ١ / ٧٧ : « فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، فهو عين مظهر ، وهو عين مابطن في حال ظهوره ، وما ثم من يراه غيره ، وما ثم من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه ، وهو المسمى أبا سعيد الخراز وغير ذلك من أسماء المحدثات . . الخ » .

(٢) انظر مثلا ما يذكره في المرجع السابق ١ / ٨٣ : « فلا تحمد إلا نفسك ولا تذم إلا نفسك ، وما يبق للعق إلا حمد إفاضة الوجود لأن ذلك له لا لك ، فأنت غذاؤه بالأحكام وهو غذاؤك بالوجود . . الخ » . وانظر كذلك ١ / ٩٦ : « فأعطاه الخير سواء ، ولا أعطاه ضد الخير غيره ، بل هو منعم ذاته ومعذبا ، فلا يذم إلا نفسه ولا يحمدهن إلا نفسه . . وليس وجود إلا وجود الحق بصور أحوال ما هي عليه الممكنات في أنفسها وأعيانها » .

(٣) انظر مثلا المرجع السابق ١ / ١٨٣ : « قال تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) إذا لا يكون مجيباً إلا إذا كان من يدعو ، وإن كان عين الناصي عين المجيب ، فلا خلاف في اختلاف الصور . . الخ » .

(٤) أورد ابن تيمية هذين البيتين في مواضع من رسائله ولم أتبين من كلامه من هو قائلهما . انظر : مجموعة الرسائل والمسائل ١ / ١٧٨ - ١٧٩ ( وفيها : والشارع في الحكم ) . وقارن ذلك بما في نفس المجموعة ٤ / ٢٣ ؛ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ( ط . الرياض ) ٢ / ٩٩ .

كفر باطنية  
التصوفة أعظم  
من كفر  
الفلاسفة

فَالَيْدِ تَجَارُونَ \* ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ ﴿ الآية [سورة النحل: ٥٤، ٥٣] إلى قوله سبحانه : ﴿ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [ الآية : ٥٧ ] . وهذه الآيات كما تناولت ذم الذين جعلوا له شريكاً وولداً ، فتناولها لدم هؤلاء الملاحدة أعظم . فإن القائلين بقدوم العالم وأنه مملول جملوه كله والدلالة<sup>(١)</sup> قديماً أزلياً معه ، وهذا أعظم من قول أولئك . والذين لم يحملوه مملولاً له قالوا : إنه قديم معه واجب الوجود<sup>(٢)</sup> مماثل له ، بل وجعلوا الفلك هو الذي<sup>(٣)</sup> تحدث عنه الحوادث ، لكن حركته للشبه به<sup>(٤)</sup> . وهذا أعظم من كل شرك في العالم ، ومن شرك الجوس والخرنانيين ، فإن أولئك وإن جعلوا معه قديماً : إما الظلمة - وهي إبليس - عند الجوس ، وإما النفس والهيولى عند الخرنانيين ، فهم يقولون : إنه أحدث العالم ، وأنه ركب من النفس والهيولى القديمتين ، وركبه من أجزاء النور والظلمة<sup>(٥)</sup> .

ولهذا ذكر محمد بن كعب<sup>(٦)</sup> وغيره عن الجوس والصابئة أنهم قالوا عن الله : لولا أولياؤه لذل . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ ﴾ [ سورة الإسراء : ١١١ ]<sup>(٧)</sup> ، فإنهم يجعلونه محتاجاً إلى من يماونه إذ كان

(١) والدلالة : كذا في النسخين .

(٢) الوجود : ساقطة من ( ك ) .

(٣) عبارة « هو الذي » : ساقطة من ( ك ) .

(٤) ع : كتشبه به ؛ ك : لتشبه به .

(٥) انظر مقالة الجوس والخرنانيين في : الفصل في الملل والنحل لابن حزم ١ / ٣٤ وما بعدها ؛ الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٢١٠ وما بعدها ، ٢ / ٥٢ - ٦١ .

(٦) قال ابن حجر في « تقريب التهذيب » ٢ / ٢٠٣ : « محمد بن كعب بن سليم بن أسد ، أبو حزة القرظي المدني ، وكان قد نزل الكوفة مدة ، ثقة عالم ، من الثالثة ، ولد سنة أربعين على الصحيح . . مات محمد سنة عشرين ( ومائة ) وقيل قبل ذلك » .

(٧) أخرج الطبري في تفسيره ( ط . بولاق ) ١٥ / ١٢٦ : « . . عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية : ( الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ) الآية . قال : إن اليهود والنصارى قالوا : اتخذ الله ولداً . وقالت العرب لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك . وقال الصابئون والجوس : لولا أولياء الله لذل الله . فأنزل الله : ( وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن ) وكبره أنت يا محمد على ما يقولون تكبيراً » .

مفلوباً من وجهٍ مع القدماء معه ، كما هو غالبٌ من وجهٍ .

وكفر أولئك أعظم ، فإنهم لم يجعلوا له تأثيراً في الفلك ولا تصرفاً بوجه من الوجوه ، فهؤلاء تنقصوه وسلبوه الربوبية والإلهية أعظم من أولئك ، وجملوه مع الفلك مفلوباً من كل وجهٍ لا يقدر أن يفعل فيه شيئاً ، وكقول عبدة الأوثان : هو أجلٌ من أن نعبد بل نعبد الوسائط ، وهو أجلٌ من أن يبعث بشراً رسولا ؛ فجحدوا توحيده ورسالته على وجه التعظيم له . وكذلك المجوس الثنوية أئبتوا الظلمة تنزيهاً له عن فعل الشر ، والخرناتيون أئبتوا معه النفس والمبو ، قديمين تنزيهاً له عن إحداث العالم بلا سبب ؛ فالأم كلهم يعظمونه ، لكن تعظيماً يستلزم شبهةً وسبباً .

والمقصود هنا قوله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [سورة النحل : ٥٣] ، وقوله عز وجل : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾ [سورة البقرة : ١٣] <sup>(١)</sup> ، فالأمر ضد ما قاله هؤلاء للملاحدة : ابن عربي ونحوه - حيث قالوا : ما في أحد من الله شيء . فيقال لهم : بل كل ما بالخلق من نعمة فمن الله وحده .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قال إذا أصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ، فقد أدى شكر ذلك [اليوم] ، ومن قال إذا أمسى : اللهم ما أمسى بي من نعمة أو بأحد من خلقك ، فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ، فقد أدى شكر تلك الليلة » رواه أبو داود وغيره <sup>(٢)</sup> .

(١) في (ع) كتبت كلمة « السموات » في الآية ثم شطبت ولم تكتب عبارة « وما في » بعدما ، و (ك) لم يكتب النسخ عبارة « السموات وما في » كلها ، مما يرجع أن نسخة (ك) نقلت عن (ع) أو أنهما نقلتا عن نسخة ثالثة .

(٢) اليوم : ساقطة من النسخين . والحديث مع اختلاف في اللفظ عن عبادة بن غنام البياضي رضي الله عنه في سنن أبي داود ٤/٤٣٥ (كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح) وهو في الأذكار للنووي ، ص ٧٤ (ط . مصطفى الحلبي ، ١٣٧١/١٩٥٢) وقال إن إسناده جيد .

كل ما بالخلق  
من نعمة فمن الله

فكل ما بالخلق من النعم فنه وحده لا شريك له ، ولهذا هو سبحانه يجمع بين الشكر والتوحيد ، ففي الصلاة أول الفاتحة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وأوسطها : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . وأخطب وكل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم<sup>(١)</sup> . وعن ابن عباس : إذا قلت : لا إله إلا الله ، قل : الحمد لله ، فإن الله يقول : ﴿ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة غافر : ٦٥ : ٢]

وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يصبح : الحمد لله ربّي لا أشرك به شيئاً ، أشهد أن لا إله إلا الله ، ظلّ تُغفر له ذنوبه حتى يمسي ، ومن قالها حين يمسي غُفرت له<sup>(٢)</sup> ذنوبه حتى يصبح » . رواه أبان المحاربي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كما ذكره ابن عبد البر وغيره<sup>(٣)</sup> . فالحمد أول الأمر : كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم ، والتوحيد نهايته . ولهذا كان النصف من الفاتحة الذي هو لله أوله<sup>(٤)</sup> حمد وآخره توحيد : إياك نعبد .

والحمد رأس الشكر ، فالحمد يشكره أولاً على نعمه<sup>(٥)</sup> ، ثم يعبد به وحده ، فإن العبد أول ما يعرف ما يحصل له من النعمة ، مثل خلقه حيّاً ، وخلق طرق العلم : السمع والبصر والعقل .

(١) في النسخين : والمطلب كل أمر .. الخ . وكأن ابن تيمية قد جمع بين معنى أحاديث في الباب رواها أبو داود وابن ماجة والترمذي . انظر الأذكار للتنووي ، ص ٢٤٩ .  
(٢) ذكر هذا الأثر بمناه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٧/٥ وقال أخرجه ابن جرير وابن المنذر والحاكم - وصححه - وابن مردويه واليهيقي في « الأسماء والصفات » .  
(٣) له : سافطة من (ع) .

(٤) ذكر ابن عبد البر الحديث في ترجمة أبان المحاربي رضى عنه الله في « الاستيعاب » ٤٨ / ١ (بذيل الإصابة . ط . التجارية ، ١٣٥٨ / ١٩٣٩) . وذكره ابن السني في « عمل اليوم والليلة » ، ص ٢١ (ط . حيدرآباد) وفيهما : ما من مسلم يقول إذا أصبح .. الخ .

(٥) في النسخين : أول ، وهو تحريف . (٦) ع : على نعمة .



وقد تنازع الناس في أول ما أنعم الله على العبد ، فقيل : هو خلقه حيًّا أو خلق الحياة ؛ كما قال ذلك من قاله من المعتزلة . وقيل : بل إدراك الذات ونيل الشهوات ، كما يقوله الأشعرى ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب أحمد وغيره ، كالقاضي أبي يعلى في أحد قوليهِ . ومن أصحاب أحمد وغيرهم من قال : بل أولها هو الإيمان ، ولم يحمل ما قبل الإيمان نعمة بناءً على أن<sup>(١)</sup> تلك لا تصير نعمًا إلا بالإيمان ، وأن الكافر ليس عليه نعمة . وهذا أحد قولي الأشعرى وأحد القولين لمتأخري أصحاب أحمد وغيرهم كأبي الفرج .

والصحيح أن نعمة الله على كل أحد : على الكفار وغيرهم ، لكن النعمة المطلقة التامة هي على الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين الذين أمرنا أن نقول في صلاتنا : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، فإن جعلت « غير » صفة لا استثناء فيها لم يدخل المغضوب عليهم ولا الضالون في المنعم عليهم ، وإن جعلت استثناء فقد دخلوا في المنعم عليهم ، لكن رجّحوا الأول فقالوا - واللفظ للنفوى - « : غير ههنا بمعنى<sup>(٢)</sup> لا ، ولا<sup>(٣)</sup> بمعنى غير ، ولذلك<sup>(٤)</sup> جاز المطف [ عليها ]<sup>(٥)</sup> ، كما يقال : فلان غير محسن ولا مجمل ، فإذا كان « غير » بمعنى « سوى » فلا يجوز المطف عليها بلا . لا يجوز في الكلام : عندي سوى عبد الله ولا زيد<sup>(٦)</sup> . وقد روى عن عمر أنه قرأ<sup>(٧)</sup> : صراط من أنعمت عليهم غير

(١) أن : ساقطة من (ع) .

(٢) بمعنى : ساقطة من (ك) .

(٣) في النسختين « لا » والتصويب من تفسير النفوى ١ / ٥٤ .

(٤) ك : وكذلك .

(٥) عليها : ساقطة من النسختين وزدتها من تفسير النفوى .

(٦) المنقول عن النفوى إلى هذا الموضع هو نص كلام الكوفيين . انظر معاني القرآن

للفراء ١ / ٨ ، ط . دار الكتب ، ١٣٧٤ / ١٩٥٥ .

(٧) في تفسير النفوى : وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

نعمة الله على  
الكفار وغيرهم  
ولكن نعمته  
المطلقة على  
المؤمنين

المنسوب عليهم وغير الضالين » .

وهذا قد ذكره غير واحد من أهل العربية ومثّلوه بقول القائل : إني لأقر بالصادق غير الكاذب . قالوا : و « غير » هنا صفة ليست للاستثناء ، وأصل « غير » أن تكون صفة ، وهى فى الآية صفة ، ولهذا خُفِضَ كأنه قيل : صراط المنعم عليهم المتأخرين لهؤلاء وهؤلاء .

فهذه هى النعمة المطلقة التامة ، والقرآن مملوء من ذكر نعمه على الكفار . وقد قال تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [ سورة البقرة : ٢٨ ] ، فالحياة نعمة ، وإدراك الذات نعمة . وأما الإيمان فهو أعظم النعم ، وبه تتم النعم .

فالإنسان بِجِبِلَّتِهِ يطلب ما يوافقه ويتنعم به - من الغذاء وغيره - على هذا فُطِرَ ، فيعرف النعمة ، فيعرف <sup>(١)</sup> المنعم ، فيشكره . فلهذا كان الحمد هو الابتداء ، فإن شعوره بنفسه وبما يحتاج إليه ويتنعم به قبل شعوره بكل شيء ، وهو <sup>(٢)</sup> من حين خرج من بطن أمه شعر باللبن الذى يحتاج إليه ويتنعم به وبما يخرج منه وهو الثدي ، فلهذا تعرّف الله إليه <sup>(٣)</sup> بالنعم ليشكره ، وشكره ابتداء معرفته بالله ، فإذا عرف الله أحبه فعبده وتنعم بعبادته وحده لا شريك له ، وعرف ما فى التأله له من اللذة العظيمة التى لا يمد لها لذة ؛ فلهذا كان التوحيد نهايته ؛ أوله الحمد ، وآخره إياك نعبد .

وكذلك فى الجنة ، كما فى صحيح مسلم عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم

(١) ك : فيعرف النعم ويعرف .. الخ .

(٢) ك : كل شيء هو .. الخ .

(٣) إليه : ساقطة من (ك) .

أنه قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه . فيقولون : ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويُجِرنا من النار ؟ قال : فيُكشَفُ الحجاب فينظرون إليه ، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ، وهي الزيادة » <sup>(١)</sup> . فالنظر إليه أكمل اللذات وآخرها ، كما قال : « فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه » . ولهذا قيل : أطيب ما في الدنيا معرفته ، وأطيب ما في الآخرة مشاهدته .

وعبادته وحده بمحبته وقصد رؤيته هو لأهل السنة الذين يقرّون بإلهيته وحكمته ، وأنه يستحق المحبة ، وأن يكون هو أحب إلى العبد من كل شيء .

وأما الجهمية والمعتزلة فينكرون محبته وحقيقة إلهيته ، وعلى قولهم تمتنع عبادته . لكن المعتزلة تقر بالنعمة ووجوب الشكر <sup>(٢)</sup> وعلى هذا بنوا دينهم ؛ وغاية الواجبات هي الشكر ؛ ولهذا قالوا : الشكر يجب عقلاً . وأما العبادة والمحبة فلم يعرفوها ولم يصلوا إليها بل أنكروها .

وأما الجهمية المجبرة : لا هذا ولا هذا ، لكن يعترفون بقدرته وأنه يفعل ما يشاء . ولهذا كانوا في الواجبات وترك المحرمات / أبعد من المعتزلة ، فإنهم مرجئة مجبرة فلا يجزمون بالوعيد - وهذا نصف الحرف الباعث على العمل ، ويقولون بالجبر - وهذا نصف الاعتراف بحق الله على العبد ووجوب شكره ، فتتضمن دواعيهم من جهة الخوف ومن جهة الشكر ، لا يشكرون نعمه الماضية ،

ظ ١٣٨

(١) الحديث في مسلم ١١٢/١ (كتاب الإيمان ، باب إنبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربه سبحانه وتعالى) مع اختلاف في لفظه عما ذكره ابن تيسية . وهو أيضاً في : سنن ابن ماجه ١/٦٧ (المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية) ؛ جامع الترمذى (بشرح ابن العربي) ١٠/١٨ - ١٩ (أبواب صفة الجنة ، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى) .  
(٢) في الأصل في النسختين : تقر بالنعمة ووجوب الشكر .

الجهمية الحيرة ولا يخافون عقوبته المستقبلية . ولكن لما آمن من آمن منهم بالرسول صار  
عندهم خوفٌ ما ورجاء وصاروا يُوجِبون الشكر شرعاً ، وعندهم داعي الرجاء ،  
فالرجاء عندهم أغلب من الخوف ، وهو أحد المعنيين في تسميتهم مرجئة . قيل :  
إنه من الرجاء ، أى يجعلون الناس راجين ، فهم مُرجِية لا مُحَيِّفة . لكن  
الصحيح أنهم مرجئة بالهمز من الإرجاء ، لكن يشارك الرجاء في الاشتقاق  
الأكبر<sup>(١)</sup> .

المضمف شكرم  
وخرفهم ويقوى  
رجاؤهم

ولهذا قيل : « من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجىء ، ومن عبده بالخوف  
وحده فهو حرورى<sup>(٢)</sup> » ، ومن عبده بالحب فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف  
والرجاء والحب فهو مؤمن موحد »

المؤمن يخاف الله  
ويرجوه ويحبه

وذلك أن الحب الذى ليس معه رجاء ولا خوف يبعث النفس على اتباع  
هواها ؛ وصاحبه إنما يحب فى الحقيقة نفسه ؛ وقد اتخذ لإلهه هواه ، فلهذا كان  
زنديقاً . ومن هنا دخلت الملاحدة الباطنية كالفقائلين بوحدة الوجود ، فإن هؤلاء  
سلوكهم عن هوى ومحبة فقط ، ليس معه رجاء ولا خوف ، ولهذا يتنوعون<sup>(٣)</sup>  
أو رجاء

الفاثلون بوحدة  
الوجود يحبون  
بدون خوف  
أو رجاء

(١) قال الشهرستانى فى « الملل والنحل » ١/ ١٢٥ : « الإرجاء على معنيين : أحدهما  
بمعنى التأخير ، كما فى قوله تعالى : قالوا أرجه وأخاه ، أى : أمهله وأخره . والثانى : إعطاء  
الرجاء . أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح لأنهم كانوا يؤخرون العمل  
عن النية والمقد . وأما بالمعنى الثانى فظاهر ، فإنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية  
كألا تنفع مع الكفر طاعة » .

(٢) فى « اللباب فى تهذيب الأنساب » لابن الأثير ١ / ٢٩٤ : « الحرورى بفتح الحاء  
وضم الراء وسكون الواو وفى آخرها راء ثانية ، هذه النسبة إلى حروراء ، وهو موضع  
على ميلين من الكوفة كان أول اجتماع الخوارج به فنسبوا إليه » . وانظر « معجم البلدان »  
لباقوت : مادة « حروراء » .

(٣) يتنوعون : كذا فى النسختين ، ولعل الصواب : يتنهدون .

فهم من الذين قال الله فيهم : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ [سورة الجاثية : ٢٣] . ولهذا يجوزون الشرك ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ الآية وما بعدها إلى قوله : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [سورة الروم : ٣٠-٣٢] .

وهم في الحقيقة ينكرون محبة الله ، ولكن يقولون : الحكمة هي التشبه به . ولهذا كان ابن عربي يحمل الولي هو المتشبه به في التخلق بأسمائه ، وينكر اللذة بالمشاهدة والخطاب ، ويقول : ما التذ عارف قط بالمشاهدة ؛ لأنها على أصله مشاهدة وجود مطلق ولا لذه فيها .

ووقع بينه وبين شهاب الدين السهروردي <sup>(١)</sup> منازعة : هل حين يتجلى <sup>(٢)</sup> لهم يخاطبهم ؟ فأثبت شهاب الدين ذلك ، كما جاءت به الآثار . وأنكر ذلك ابن عربي وقال : مسكين هذا السهروردي ، نحن نقول له عن تجلي الذات ، وهو يقول عن تجلي الصفات <sup>(٣)</sup> .

(١) كلام ابن تيمية هنا عن : شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه ، وهو غير شهاب الدين السهروردي المقتول . من شيوخ الصوفية ومن فقهاء الشافعية ومن أشهر كتبه « عوارف المعارف » ولد سنة ٥٣٩ هـ وتوفي سنة ٦٣٢ هـ . انظر ترجمته في : طبقات الشافعية ١٤٣/٥ - ١٤٤ هـ ؛ وفيات الأعيان ١١٩/٣ - ١٢٠ هـ ؛ شذرات الذهب ١٥٣/٥ - ١٥٥ هـ ؛ مرآة الجنان لليافعي ٤ / ٧٩ - ٨٢ هـ ؛ تاريخ ابن الوردي ٢ / ١٦١ هـ ؛ البداية والنهاية ١٣/١٤٣ ، ١٨٣ هـ ؛ النجوم الزاهرة ٦ / ٢٨٣ - ٢٨٤ هـ ؛ معجم البلدان : سهروردي الأعلام ٥ / ٢٢٣ .

(٢) في الأصل : يتلى ، ورجحت أن يكون الصواب ما أثبتته ، وانظر قوله بعد قليل : فيستحيل عند تجليها خطاب .

(٣) لم أجد هذه القصة فيما بين يدي من مراجع ، ولكن ذكر المقرئ في نفع الطبيب ٣٨٢ / ٢ ما يلي : « وذكر الإمام سيدي عبد الله بن سعد اليافعي البني في « الإرشاد » أنه اجتمع مع الشهاب السهروردي فأطرق كل واحد منهما ساعة ، ثم اقتصرا من غير كلام ، فقبل للشيخ ابن عربي : ما تقول في السهروردي ؟ فقال : مملوء سنة من قرنة إلى قدمه . وقيل للسهروردي : ما تقول في الشيخ محي الدين ؟ فقال : بحر الحقائق . وذكر الشيخ إبراهيم ابن عبد الله القاري في كتابه « مناقب ابن عربي » ( ص ٢٩ ) قصة مماثلة . وانظر مرآة الجنان لليافعي ٤ / ١٠٠ .

وهذا بناء على أصله الفاسد ، وهو أن الذات وجود مطلق لا تقوم به صفات : لا كلام ولا غيره فيستحيل عند تجليها خطاب .

وشهاب الدين كان أتبع للسنة والشرع منه ، ولهذا كان صاحبهما ابن حويه<sup>(١)</sup> يقول : « ابن عربي بحر لا تكدره الدلاء ، ولكن نور المتابعة المحمدية على وجه الشيخ شهاب الدين شيء آخر »<sup>(٢)</sup> . لكنه كان ضعيف الإثبات للصفات والعلو لما فيه من التجهم الأشعري<sup>(٣)</sup> . وكان يقول عن الرب : لا إشارة ولا تمييز .

ص ١٣٩

وهؤلاء مخانيث / الجهمية ، وابن عربي من ذكورهم . فهم يستطيرون على من دخل معهم في التجهم . وإنما يقهرهم<sup>(٤)</sup> أهل السنة المثبتون المعارفون بما جاء به الرسول وبمخالفتهم له وبيطلان ما يناقض السنة من المعقولات الفاسدة . ولم يكن السهروردي من هؤلاء ؛ وكذلك الحريري<sup>(٥)</sup> قال : « كنت أثبت المحبة أولاً ، ثم رأيت أن المحبة ما تكون إلا من غير لغير<sup>(٦)</sup> ، وما ثم غير » .

(١) سعد الدين محمد بن عبد الله بن حويه الجوى ، زاهد متصوف ، توفى سنة ٦٥٢ . انظر ترجمته في : النجوم الزاهرة ٧ / ٣١ .

(٢) في « مناقب ابن عربي » ص ٢٩ - ٣٠ أن ابن حويه « لما رجع من الشام إلى بلاده سأله أشراف أتباعه وخوفاص أصحابه : من تركت بالشام من العلماء ؟ قال رضى الله عنه : تركت بها بحراً زخاراً لا قعر له ولا ساحل . يعنى الشيخ محي الدين رضى الله عنه » .

(٣) ك : لما فيه من التجهم وكان الأشعري يقول عن الرب .. الخ ، وهو خطأ . وفى ( ع ) : لما فيه من التجهم ، وتحت كلمة التجهم ، كتبت كلمة « الأشعري » وعليها علامة الصحة . والمعنى : أن فى السهروردي تجهماً مثل تجهم بعض الأشاعرة الذين تأثروا بالجهمية فى مسائل منها ميلهم إلى الجبر ونفى بعض الصفات . ولا يجوز أن تكون العبارة التالية من قول الأشعري بل هى من قول السهروردي .

(٤) ك : يقرهم ، وهو تحريف ظاهر .

(٥) أبو الحسن على بن الحسين بن المنصور الحريري ، صوفى من القائلين بوحدة الوجود ومن يظهر الزندقة ويستهزئ بأوامر الشرع ونواهيه وينتهك المحرمات ، توفى سنة ٦٤٥ . انظر ترجمته فى : فوات الوفيات ٢ / ٨٨ - ٩٤ ؛ النجوم الزاهرة ٦ / ٣٥٩ ، ٣٦٠ ؛ الأعلام ٥ / ٩٠ .

(٦) ع : لعين .

فهؤلاء منتهم إنكار المحبة التي يستحقها الرب ، ولهذا لا يتابعون رسوله ، ولا يجاهدون في سبيله ، والله وصف [المؤمنين]<sup>(١)</sup> بهذا وبهذا ؛ فحبة هؤلاء تجر إلى الزندقة .

وأيضاً ، فقد يقولون : إن المحب لا تضره الذنوب ، وصنف ابن حويه في ذلك مصنفاً بناء على ما يُقال : إذا أحب الله عبداً لا تضره الذنوب . وهذا إذا قاله المحقق فقصده أنه لا يتركه مصرّاً عليها بل يتوب عليه منها فلا تضره ، فأخذ هؤلاء وقالوا : إن الذنوب لا تضر المحبوبين ، وأحدهم يقول عن نفسه : إنه محجوب فلا تضره الذنوب . فصاروا مثل اليهود والنصارى الذين قالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [سورة المائدة: ١٨] ، فصار فيهم زندقة من هذا الوجه ومن غيره .

وقد قال تعالى عن يوسف : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ بيان مقالة أهل السنة  
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿ [سورة يوسف : ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [سورة النساء : ١٢٣] . وسيد المحبتين المحبوبين خاتم الرسل وقد قال : « إني أعلمكم بالله وأشدكم خشية له »<sup>(٢)</sup> .

وهو سبحانه لا يحب إلا الحسنات ولا يحب السيئات ، وهو يحب المتقين والمحسنين والصابرين والتوَّابين والمتطهرين ، ولا يحب كل مختال فخور ولا يحب

(١) المؤمنين : زدتها ليتضح بها الكلام .

(٢) أخرج البخاري في صحيحه ٨ / ٢٦ ( كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ) ؛ ومسلم في صحيحه ٧ / ٩٠ ( كتاب الفضائل ، باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته ) عن عائشة رضي الله عنها قالت ( واللفظ للبخاري ) : « صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فغضب لحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعته فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » .

الفساد ولا يرضى لعباده الكفر؛ فإذا أحب عبداً وأذنب كان من التوابين للتطهرين .

وبعض الناس يقول : الشاب التائب حبيب الله ، والشيخ التائب عتيقه . وليس ذلك ، بل كل من تاب فهو حبيب الله ، سواء كان شيخاً أو شاباً ، وقد روى : أهل ذكرى أهل مجالستي ، وأهل شكرى أهل زيادتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل مصيقتي لا أوبسهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبتهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طيبهم ، ابتليهم بالمصائب لأطهرهم من العيوب . وهذا فعله مع عباده : إذا أذنبوا إما أن يتوب عليهم ، وإما أن يبتليهم بما يطهرهم إذا لم يحمل السيئات تخفض درجاتهم ، وإن لم يكن هذا ولا هذا انخفضت درجاتهم بحسب سيئاتهم عن درجات من ساوهم في الحسنات وسلم من تلك السيئات ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [سورة الأنعام : ١٣٢] : لأهل الجنة ولأهل النار درجات من أعمالهم بحسبها ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

والعبد هو فقير دائماً إلى الله من كل وجه : من جهة أنه معبوده وأنه مستعانه ، فلا يأتي بالنعم إلا هو ، ولا يصلح حال العبد إلا بمبادته . وهو مذنب أيضاً ، لا بد له من الذنوب ، فهو دائماً فقير مذب ، فيحتاج دائماً إلى الففور الرحيم / : الففور الذي يغفر ذنوبه ، والرحيم الذي يرحمه فينعم عليه ويحسن إليه ، فهو دائماً بين إنعام الرب وذنوب نفسه ، كما قال أبو إسماعيل الأنصاري <sup>(١)</sup> إنه يسير بين مطالعة المنّة ومطالعة عيب النفس والعمل . وكما قال ذلك العارف للحسن البصري : إني أصبح بين نعمة وذنوب ، فأريد أن أحدث للنعمة شكراً وللذنوب استغفاراً .

ظ ١٣٩

(١) أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي الأنصاري ، كان يدعى شيخ الإسلام وكان إمام أهل السنة بهراه ، توفي سنة ٤٨١ . انظر ترجمته في : طبقات الحنابلة ٢/٤٤٧ - ٢٤٨ ؛ الذيل لابن رجب ١/٥٠ - ٦٨ ؛ الأعلام ٤/٢٦٧ .



وفي سيد الاستغفار: «أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي»<sup>(١)</sup>. وفي الحديث الإلهي<sup>(٢)</sup>: «فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». وكان يقول في خطبته: «الحمد لله نستعينه ونستغفره»<sup>(٣)</sup>. وفي القنوت: «اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك» إلى آخره<sup>(٤)</sup>. وكان صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع يحمداً لله ثم يستغفره فيقول: «ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد. وكلنا لك عبد. لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منمت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد. اللهم تقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس»<sup>(٥)</sup>.

(١) الحديث زواه البخاري في صحيحه ٧١ / ٨ (كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح) وفي كتاب «الأدب المفرد» من ١٦١ (ط. السلفية) (باب سيد الاستغفار). عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي» الحديث، ورواه النووي في «الأذكار» من ٧١.

(٢) وهو الحديث القدسي المروي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا.. الحديث، ورواه مسلم في صحيحه ٨ / ١٦ - ١٨ (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم).

(٣) روى أحمد في مسنده (ط. المعارف) ٥ / ٢٧١ (رقم ٣٧٢٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: علمنا خطبة الحاجة: الحمد لله نستعينه ونستغفره.. الحديث. وانظر أرقام: ٣٢٧٥، ٣٧٢١، ٤١١٥، ٤١١٦. قال المحقق رحمه الله إن الحديث قد رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم. وانظر الأذكار للنووي، من ٢٥٠؛ سنن ابن ماجه ١ / ٦٠٩، ٦١٠.

(٤) قال النووي في «الأذكار»، من ٥٨: «قال أصحابنا: وإن كنت بما جاء عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان حسناً، وهو أنه كنت في الصبح بعد الركوع فقال: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ولا نسفرك.. الحديث». وقد أورد الشيخ علي التقي في كتابه «كتر المال» الروايات المختلفة عن هذا القنوت. انظر ج ٨ من ٤٧ - ٥١، ط. حيدرآباد، ١٣٨٠ / ١٩٦٠.

(٥) مارواه ابن تيمية فيه جمع بين بعض أحاديث مروية فيما يقال عند رفع الرأس من الركوع. انظر: مسلم ٢ / ٤٦ - ٤٨ (كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع)؛ الأذكار للنووي، من ٥٢ - ٥٣ (باب ما يقوله في رفع رأسه من الركوع وفي اعتداله).

والاستغفار مقرون بالحمد كما قرن بالتوحيد ، وكما قرن الحمد بالتحميد .  
وقد جمعت الثلاثة في مثل كفارة المجلس : « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد  
أن لا إله إلا أنت ، استغفرك وأتوب إليك »<sup>(١)</sup> .

وكان المقصود أن الجهمية المجبرة لما آمن منهم من آمن بالرسول صار عندهم  
خوفٌ ما ورجاءٌ ما ، وصاروا يوجبون الشكر شرعاً ، فالداعي عندهم جزء من  
الشرع . وأما داعي المعتزلة فهو أقوى من داعيهم ، فهم أحسن أعمالاً وأعبداً  
وأطوع وأورع ، كأهل السنة والمعرفة : فهم يعبدونه مع الخوف والرجاء  
والشكر بداعي المحبة ومعرفة الحكمة والإلهية ، وهذه ملة إبراهيم الخليل ؛  
فهم فوق هؤلاء كلهم . والله تعالى أعلم .

<sup>(٢)</sup> آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

---

(١) الحديث مروي في سنن أبي داود ٤ / ٣٦٥ - ٣٦٦ (كتاب الأدب ، باب في  
كفارة المسجد) . وانظر الأذكار ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .  
(٢ - ٢) : زيادة في (ع) .

رِسَالَةٍ فِي مَعْنَى كَوْنِ الرَّبِّ عَادِلًا وَفِي تَنْزِيهِهِ عَنِ الظُّلْمِ



## ﴿ قاعدة ﴾

في معنى كون الرب عادلاً ، وفي تنزيهه عن الظلم  
وفي إثبات عدله وإحسانه

تأليف شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ، مما ألفه في محبته الأخير بالقلعة  
بدمشق ، قدس الله روحه .

ط ٣٩

/ بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين .  
الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليماً .

## ﴿ فصل ﴾<sup>(١)</sup>

اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله تعالى عدل قائم بالقسط لا يظلم  
شيئاً ، بل هو منزّه عن الظلم .

تنازع طوائف  
المسلمين في  
معنى الظلم الذي  
ينزه الله عنه

ثم لما خاضوا في القدر تنازعوا في معنى كونه عادلاً في الظلم الذي هو  
منزّه عنه .

مقالة الجبهية  
والأشاعرة

فقال طائفة : الظلم ليس بممكن الوجود ، بل كل ممكن إذا قُدِّر وجوده  
منه فإنه عدل ، والظلم هو الممتنع : مثل الجمع بين الضدين وكون الشيء موجوداً  
ممدوماً ؛ فإن الظلم : إما التصرف في ملك الغير - وكل ماسواه ملكه ، وإما مخالفة  
الأمر<sup>(٢)</sup> الذي يجب طاعته - وليس فوق الله تعالى أمر يجب عليه طاعته .

وهؤلاء يقولون : مهما نُصوّر وجوده وقُدِّر وجوده فهو عدل . وإذا قالوا :  
كل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل ، فهذا أمر أوه .

(١) فصل : زيادة في (ع) .

(٢) ع : الأمراء ، وهو تحريف .

وهذا قول الجبيرة ، مثل جهنم ومن اتبعه ، وهو قول الأشعري وأمثاله من أهل الكلام ، وقول من وافقهم من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية .

وقد روى عن بعض المتقدمين كلمات مطلقه تشبه هذا المذهب ، مثل قول إياس بن معاوية<sup>(١)</sup> : « ما ناظرت بمقل كلة إلا القدرية ، قلت لهم : ما الظلم ؟ قالوا : أن تأخذ ما ليس لك . قلت : فله كل شيء » . ومثل قول أبي الأسود لعمران ابن حصين لما سأله فقال عمران : « أرايت ما يكدح الناس اليوم ويعملون فيه ، شيء قضى عليهم ومضى من قدر قد سبق ، أوفيا يستقبلون فيما أتاهم به نبيهم فأنخذت به عليهم الحجة ؟ قال : قلت : بل شيء قد قضى عليهم ومضى عليهم . قال : فهل يكون ذلك ظلماً ؟ قال : ففرغت من ذلك فزعا شديداً ، وقلت له : إنه ليس شيء إلا وهو خلق الله وملك يده ، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون . فقال : سدّدك الله ، إني والله ما سألتك إلا لأحرز عقلك »<sup>(٢)</sup> .

وهذا قول كثير من أصحاب مالك والشافعي وأحمد ، كالقاضي أبي يعلى<sup>(٣)</sup>

(١) إياس بن معاوية بن قرة الزني ، أبو وائلة ، يضرب به المثل في الزكاء . قال ابن سعد : « كان ثقة ، وكان قاضياً على البصرة ، وله أحاديث ، وكان عاقلاً من الرجال فطناء . وقد توفي لإياس سنة ١٢٢ . انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧ / ٢٣٤ - ٢٣٥ ؛ وفيات الأعيان ١ / ٢٢٣ - ٢٢٦ ؛ تهذيب التهذيب ١ / ٣٩ ؛ الأعلام للزركلي ١ / ٣٧٦ - ٣٧٧ .

(٢) هذه المحاورة بين عمران بن حصين رضي الله عنه وبين أبي الأسود الدئلي رواها مسلم في صحيحه ٨ / ٤٨ - ٤٩ (كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي . . الخ) ، ويذكر عمران بعد هذا الكلام حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم . وبعض ألفاظ الخبر كما رواه ابن تيمية مخالف لما في مسلم .

(٣) أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء من كبار المناطقة وعالم عصره في الأصول والفروع . ولد سنة ٣٨٠ وتوفي سنة ٤٥٨ . انظر ترجمته في : طبقات المناطقة ( لابنه أبي الحسين محمد بن محمد ) ٢ / ١٩٣ - ٢٣٠ ؛ تاريخ بغداد ٢ / ٢٥٦ ؛ شذرات الذهب ٤ / ٣٠٦ - ٣٠٧ ؛ الواق بالوفيات ٣ / ٧ ؛ الأعلام ٦ / ٣٣١ .

وأتباعه ، وأبي المعالي الجويني <sup>(١)</sup> وأتباعه ، وأبي الوليد الباجي <sup>(٢)</sup> وأتباعه ، وغيرهم .

مقالة المعتزلة

والقول الثاني : أنه عدل لا يظلم لأنه لم يُرد وجود شيء من الذنوب : لا الكفر ولا الفسوق ولا العصيان ، بل العباد فعلوا ذلك بغير مشيئته كما فعلوه عاصين لأمره ، وهو لم يخلق شيئاً من أفعال العباد : لا خيراً ولا شراً ، بل هم أحدثوا أفعالهم ، فلما أحدثوا معاصيهم استحقوا العقوبة عليها ، فعاقبهم بأفعالهم ، لم يظلمهم .

/ هذا قول القدرية من المعتزلة وغيرهم . وهؤلاء عندهم لا يتم تنزيهه عن الظلم إن لم يجعل غير خالقٍ لشيء من أفعال العباد ، بل ولا قادر على ذلك ، وإن لم يجعل غير شاء لجميع الكائنات ، بل يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء ، إذ المشيئة عندهم بمعنى الأمر .

وهؤلاء والذين قبلهم يتناقضون تناقضاً عظيماً ، ولكل من الطائفتين مباحث ومصنفات في الرد على الأخرى ، وكل من الطائفتين تسمى الأخرى القدرية ، وقد رُوي عن طائفة من التابعين موافقة هؤلاء .

مقالة أهل السنة

والقول الثالث : أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، والعدل وضع كل شيء في موضعه ، وهو سبحانه حكّم عدلٌ يضع الأشياء مواضعها ، ولا

(١) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ويلقب بإمام الحرمين . ولد بَنيسابور سنة ٤١٩ وتوفي بها سنة ٤٧٨ . وهو من أعظم أئمة الأشاعرة وقد تلمذ عليه الفزالي . انظر ترجمته في : تبين كذب المفتري لابن عساكر ، ص ٢٧٨ - ٢٨٥ ؛ طبقات الشافعية ٤ / ٢٤٩ - ٢٨٢ ؛ شذرات الذهب ٣ / ٣٥٨ - ٣٦٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ٣٤١ - ٣٤٣ ؛ الأعلام ٤ / ٣٠٦ .

(٢) أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي ، من كبار علماء المالكية ، ولد بالأندلس سنة ٤٠٣ وتوفي سنة ٤٧٤ . انظر ترجمته في : الديباج المذهب لابن فرحون ، ص ١٢٠ - ١٢٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ١٤٢ - ١٤٣ ؛ تاريخ ابن الوردي ١ / ٣٦١ ؛ الأعلام ٣ / ١٨٦ .

يضع شيئاً إلا في موضعه الذى يناسبه وتقتضيه الحكمة والعدل ، ولا يفرّق بين متائلين ، ولا يسوّى بين مختلفين ، ولا يعاقب إلا من يستحق العقوبة فيضعها موضعها لما في ذلك من الحكمة والعدل .

وأما أهل البر والتقوى فلا يعاقبهم ألبتة . قال تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ \* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [سورة القلم : ٣٥ ، ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [سورة م : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ الآية [سورة المجانية : ٢١] .

قال أبو بكر بن الأنبارى : الظلم وضع الشيء فى غير موضعه . يقال <sup>(١)</sup> : ظلم الرجل سقاءه ، إذا سقا منه قبل أن يخرج زُبده . قال الشاعر :

وصاحبِ صدقٍ لم تَنَلْنِي شَكَاتُهُ      ظلمتُ ، وفى ظَلَمِي له عَمِداً أُجْرُ <sup>(٢)</sup>

أراد بالصاحب وطَبَّ اللبن <sup>(٣)</sup> ، وظَلَمُه إياه أن يسقيه قبل أن يخرج زُبده . والعرب تقول : هو أظلم من حَيَّةٍ لأنها تأتى الحفرة الذى لم تحفره فتسكنه . ويقال : قد ظلم الماء الوادى إذا وصل منه إلى مكان لم يكن يصل إليه فيما مضى ، ذكر ذلك أبو الفرج . وكذلك قال البغوى : أصل الظلم وضع

(١) يقال : رسمت فى الأصل فى النسختين « مقال » .

(٢) البيت فى اللسان مادة : ( ظلم ) : « لم تربى شكاته » . وفى مجالس نعلب ، ص ١٠٦ ؛ والأساس : ( ظلم ) : « لم تنلنى أذاته » ، وجاء البيت غير منسوب فى هذه المراجع . وفى اللسان ( ظلم ) : « والظلمية والظلم : اللبن يشرب منه قبل أن يروب ويخرج زبده .. قال ( فى شرح البيت ) : هذا سقاء سقى منه قبل أن يخرج زبده ، وظلم وطبه ظلماً ( بفتح الظاء ) إذا سقى منه قبل أن يروب ويخرج زبده » .

(٣) الوطب : سقاء اللبن .



الشيء في غير موضعه ، وكذلك ذكر غير واحد . قالوا : والعرب تقول : من أشبه أباه فإظلم ، أى ما وضع الشبه في غير موضعه .

وهذا الأصل ، وهو عدل الرب ، يتعلق بجميع أنواع العلم والدين ، فإن جميع أفعال الرب ومخلوقاته داخلة في ذلك ، وكذلك أقواله وشرائعه وكتبه المنزلة ، وما يدخل في ذلك من مسائل المبدأ والمعاد ، ومسائل النبوات وآياتهم ، والنواب والعقاب ، ومسائل التعديل والتجوير وغير ذلك ، وهذه الأمور مما خاض فيه جميع الأمم ، كما قد بسط في مواضع .

وأهل الملل كلهم يقرون بعدله ، لأن الكتب الإلهية نطقت بعدله ، وأنه قائم بالقسط ، وأنه لا يظلم الناس مثقال ذرة . / لكن كثير من الناس في نفسه ضغن من <sup>(١)</sup> ذلك ، وقد يقوله بلسانه ويرض به في نظمه ونثره ، وهؤلاء أكثر ما يكونون في المجرة الذين لا يجعلون العدل قسيماً لظلم ممكن لا يفعله ، بل يقولون : الظلم ممتنع ، ويجوزون تعذيب الأطفال وغير الأطفال بلا ذنب أصلاً ، وأن يخلق خلقاً يعذبهم بالنار أبداً لا لحكمة أصلاً ، ويرى أحدهم أنه خلق فيه الذنوب وعذب بالنار لا لحكمة ولا لرعاية عدل ، فتفيض نفوسهم إذا وقعت منهم الذنوب وأصيبوا بعقوباتها بأقوال يكونون فيها خصماء الله تعالى ، وقد وقع من هذا قطعة في كلام طائفة من الشيوخ وأهل الكلام ، ليس هذا موضع حكاية أعيانهم .

وما ذكرناه من الأقوال الثلاثة تضبط أصول الناس فيه ، ونبين أن القول الثالث هو الصواب ، وبه يبين أن كل ما يفعله الرب فهو عدل ، وأنه لا يضع

(١) في الأصل في النسختين رسمت العبارة « ظن من » وكتب في الهامش « ظن في » وفوقها « خ » إشارة إلى نسخة أخرى .

الأشياء في غير موضعها : فلا يظلم مثقال ذرة ، ولا يجزى أحداً إلا بذنبه ، ولا يخاف أحد ظملاً ولا هضمًا : لا يهضم من حسناته ، ولا يظلم فيزداد عليه في سيئاته ، لا من سيئات غيره ولا من غيرها ، بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى<sup>(١)</sup> ، أى لا يملك ذلك ولا يستحقه ، وإن كان قد يحصل له نفع بفضل الله ورحمته وبدعاء غيره وعمله ، فذاك قد عرف أن الله يرحم كثيراً من الناس من غير جهة عمله ، لكنه ليس له إلا ما سعى . قال الله تعالى :

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ \* وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ \* أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ \* وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ \* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ \* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ ﴾ [سورة النجم : ٣٦ - ٤١] .

وقوله : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ يقتضى أن النبأ بذلك يجب عليه تصديق ذلك والإيمان به ، فكان هذا مما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقاً لإبراهيم وموسى ، كما قال فى آخر «سَبَّح» : ﴿ إِنَّ هَذَا لَنِي الصُّعْفِ الْأُولَىٰ \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [سورة الأعلى : ١٨ ، ١٩] .

### ﴿فصل﴾

ومما يبين عدل الرب وإحسانه وأن الخير بيديه والشر ليس إليه ، كما كان عليه السلام يثنى على ربه بذلك فى مناجاته له فى دعاء الاستفتاح<sup>(٢)</sup> ،

(١) فى هامش (ع) فقط كلمات ظهر منها : .. .. على قوله تعالى ( وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ) .

(٢) روى مسلم فى صحيحه عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ١٨٥/٢ ( كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه ) : « عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال : « وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض » ..... =

وأنه سبحانه لا يظلم مثقال ذرة ، بل مع غاية عدله فهو أرحم الراحمين ، وهو أرحم من الوالدة بولدها ، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح <sup>(١)</sup> ، وهو سبحانه أحكم الحاكمين ، كما قال نوح في مناجاته : ﴿ وَأَنْتَ أَهْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٥] <sup>(٢)</sup> ، وأن الظلم قد ذكرنا في غير موضع أن للناس في تفسيره ثلاثة أقوال : قيل : هو التصرف في ملك الغير بغير إذنه ، أو مخالفة الأمر الذي يجب طاعته ؛ وكلاهما منتفٍ في حق الله تعالى . وهذا تفسير المجبرة القدرية من الجهمية وغيرهم / وكثير ممن ينتسب إلى السنة ، وهو تفسير الأشعرى وأصحابه ومن وافقهم ، كالقاضي أبي يعلى وأتباعه ، وأبي الفرج ابن الجوزى ، وغيرهم .

والثاني : أنه إضرار غير مستحق ؛ وهذا أيضاً منتفٍ عن الله تعالى . وهذا تفسير المعتزلة وغيرهم .

وهؤلاء يقولون : لو قَدَّر الذنوب وعَذَّب عليها لكان إضراراً غير مستحق ، والله منزّه عنه ؛ وأولئك يقولون : الظلم ممتنع لذاته غير ممكن ولا مقدور ، بل كل ما يمكن فهو عدل غير ظلم ، وإذا عَذَّب جميع الخلق بلا

---

= الحديث وفيه : « ليك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك » . وروى أحمد الحديث في مسنده ( ط : المعارف ) ٢ / ١٣٤ - ١٣٥ ( الأرقام ٨٠٣ - ٨٠٥ ) . وانظر مشكاة المصابيح للبزي ١ / ٢٥٥ - ٢٥٧ ( ط : دمشق ) ؛ الأذكار للنووي ، ص ٤٣ ، (١) روى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صحيحه ٨ / ٨ ( كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعارفته ) : « قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب نديها تقي ، وإذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته . فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم : أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا ، وهي تقدر على أن لا قطرحه . فقال : لله أرحم بعباده من هذه بولدها » . وانظر حديثنا آخر بهذا المعنى في سنن ابن ماجه ٢ / ١٤٣٦ .

(٢) تمام الآية : ( ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ) .

ذنب أصلاً لم يكن ظالماً عند هؤلاء ، وإذا فعل ما يشاء بمقتضى حكمته وقدرته كان ظالماً عند أولئك ، فإنهم يحملون ظلمه من جنس ظلم المباد ، وعدله من جنس عدلهم ، وهم مشبهة الأفعال .

والسيد إذا ترك ممالিকে يظلمون ويفسدون مع قدرته على منعمهم كان ظالماً ،<sup>(١)</sup> وإذا كان قد أمرهم ونهاهم وهو يعلم أنهم بمصونه وهو قادر على منعمهم كان ظالماً<sup>(٢)</sup> ، وإذا قال : مقصودى أن أعرضهم لثواب الطاعة ولذلك اقتنيتهم — وقد علم أنهم لا يطيعونه — كان سفيهاً ظالماً<sup>(٣)</sup> . وهم يقولون : إن الرب خلق الخلق وليس مراده إلا أن ينفعهم ، وأمرهم وليس مراده إلا نفعهم بالثواب ، مع علمه أنهم بمصونه ولا ينتفعون .

ولهذا طائفة منهم نفت علمه ، وآخرون قالوا : ما يمكنه أن يجعلهم مطيعين ، وهو قول جمهورهم ، فنفوا قدرته . وإن أثبتوه عالماً قادراً ولم يفعل ما أَراده من الخير جعلوه : غير حكيم ، ولا رحيم ، بل ولا عادل .

وأما الطائفة الأخرى فهم معطلة فى الأفعال ، كما أن أولئك مشبهة الأفعال ، فإنهم يمتطون فعل العبد ويقولون : ليس بفاعل ولا قادر على الفعل ولا له قدرة مؤثرة فى المقدور . وأما الرب فيقولون : خلق ما خلق لا لحكمة أصلاً ، فمطلوا حكمته ، وقال : إنه يجوز أن يعذب جميع الخلق بلا ذنب ، فمطلوا عدله . والعدل هو فعله ، وهو سبحانه قائم بالقسط ، فمن نفى عدله وحكمته فيما أن يفنى فعله وإما أن يصفه بضد ذلك من الظلم والسفه ؛ كما أن الكلام على الطائفتين فى غير هذا الموضع .

(١-١) : ساقط من (ع) .

(٢) هذه الفكرة التى يرمضها ابن تيمية هنا تشبه إلى حد كبير فكرة الأشعرى فى كتابه « الإبانة » ص ٤٨ ، باب الكلام فى الإرادة ، المطبعة النثرية ، بدون تاريخ .

والصواب القول الثالث : وهو أن الظلم وضع الأشياء في غير مواضعها ، وكذلك ذكره أبو بكر بن الأنباري وغيره من أهل اللغة ، وذكروا على ذلك عدة شواهد ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

وحيث أن فليس في الوجود ظلم من الله سبحانه ، بل قد رضع كل شيء موضعه مع قدرته على أن يفعل خلاف ذلك ، فهو سبحانه يفعل باختياره ومشيبته ، ويستحق الحمد والثناء على أن يعدل ولا يظلم ، خلاف قول المجبرة الذين يقولون : لا يقدر على الظلم ، وقد وافقهم بعض المعتزلة كالنظام ، لكن الظلم عنده غير الظلم عندهم ، فأولئك يقولون : الظلم هو الممتنع لذاته ، وهذا يقول : هو ممكن لكن لا يقدر عليه . والقدرية النفاة يقولون : ليس

ظ ٤١

في الوجود ظلم من الله لأنه عندهم / لم يخلق شيئاً من أفعال العباد ولا يقدر على ذلك ، فما نزّهوه عن الظلم إلا بسلبه القدرة وخلق كل شيء ، كما أن أولئك ما أثبتوا قدرته وخلق كل شيء حتى قالوا إنه لا ينزّه أن يفعل ما يمكن كتعذيب البرّاء بلا ذنب ، فأولئك أثبتوا له حداً بلا ملك ، وهؤلاء أثبتوا له ملكاً بلا حد ، وأهل السنة أثبتوا ما أثبتته لنفسه : له الملك والحمد ، فهو على كل شيء قدير ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو خالق كل شيء ، وهو عادل في كل ما خلقه ، واضح للأشياء مواضعها ، وهو قادر على أن يظلم ، لكنه سبحانه منزّه عن ذلك لا يفعله لأنه السلام القدّوس المستحق للتنزيه عن السوء ، وهو سبحانه شّوح قدّوس يسبح له ما في السماوات والأرض ، وسبحان الله كلمة . كما قال ميمون بن مهران <sup>(١)</sup> : هي كلمة يُعظّم بها الربُّ ويُحاشى بها من السوء .

(١) أبو عمرو ميمون بن مهران من ثقات التابعين ولد سنة ٤٠ وتوفي سنة ١١٧ .  
انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧ / ٤٧٧ - ٤٧٩ ؛ الجرح والتعديل ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

وكذلك قال ابن عباس وغير واحد من السلف : إنها تنزيه الله من سوء .  
وقال قتادة في اسمه « التكبر » : إنه الذي تكبر عن السوء ؛ وعنه أيضاً :  
إنه الذي تكبر عن السيئات .

فهو سبحانه منزّه عن فعل القبائح ، لا يفعل سوء ولا السيئات ، مع أنه  
سبحانه خالق كل شيء : أفعال العباد وغيرها . والعبد إذا فعل القبيح المنهى  
عنه كان قد فعل سوءاً وظلماً وقبيحاً وشرّاً ، والرب قد جعله فاعلاً لذلك ،  
وذلك منه سبحانه عدل وحكمة وصواب ووضع للأشياء مواضعها ، فخلقه سبحانه  
لما فيه نقص أو عيب للحكمة التي خلقه لها هو محمود عليه ، وهو منه عدل وحكمة  
وصواب وإن كان في المخلوق عيباً ، ومثل هذا مفعول في الفاعلين المخلوقين ،  
فإن الصانع إذا أخذ الخشب الموهجة والحجر الردي واللبنة الناقصة فوضعها في  
موضع يليق بها ويناسبها كان ذلك منه عدلاً واستقامة وصواباً وهو محمود ،  
وإن كان في تلك عوجٌ وعيب هي به مذمومة ، ومن أخذ الخبائث فجعلها  
في الحل الذي يليق بها كان ذلك حكمة وعدلاً ، وإنما السّفهُ والظلم أن يضعها  
في غير موضعها ، ومن وضع العمامة على الرأس والنملين في الرجلين فقد وضع  
كل شيء موضعه ، ولم يظلم النملين إذ هذا محلها المناسب لها ، فهو سبحانه  
لا يضع شيئاً إلا موضعه ، فلا يكون إلا عدلاً ، ولا يفعل إلا خيراً ، فلا يكون  
إلا محسناً جواداً رحماً ، وهو سبحانه له الخلق والأمر ، فكما أنه في أمره  
لا يأمر إلا بأرجح الأمرين ، ويأمر بتحصيل المصالح وتكليفها ، وبتمطيل  
المفاسد وتقليلها ، وإذا تعارض أمران رجّح أحسنهما ، وليس في الشريعة أمرٌ  
بفعل إلا ووجوده للأمر خير من عدمه ، ولا نهى عن فعل إلا وعدمه خير  
من وجوده ، وهو فيما يأمر به قد أَرَادَهُ إرادةً دينيةً شرعيةً وأحبه <sup>(١)</sup> / ورضيّه ،  
فلا يحب ويرضى شيئاً إلا ووجوده خير من عدمه ، ولهذا أمر عباده أن يأخذوا

ص ٤٢

(١) في النسختين : واجبه ، والصواب ما أثبتته وهو الذي يدل عليه السياق .

بأحسن ما أنزل إليهم من ربهم ، فإن الأحسن هو المأمور [به] <sup>(١)</sup> ، وهو خير من النهى عنه .

كذلك هو سبحانه في خلقه وفعله ، فما أراد أن يخلقه ويفعله كان أن يخلقه ويفعله خيراً من أن لا يخلقه ويفعله ، وما لم يرد أن يخلقه ويفعله كان أن لا يخلقه ويفعله خيراً من أن يخلقه ويفعله ، فهو لا يفعل إلا الخير ، وهو ما وجوده خير من عدمه ، فكل ما كان عدمه خيراً من وجوده ، فوجوده شر ، فهو لا يفعله ، بل هو منزّه عنه ، والشر ليس إليه ، فالشر - وهو ما كان وجوده شراً من عدمه - ليس إليه ، إذ كان هذا مستحقاً <sup>(٢)</sup> للمدم لا يشاؤه ولا يخلقه ، والمدموم لا يضاف إلى قاعل فليس إليه ، ولكن الخير بيديه - وهو ما كان وجوده خيراً من عدمه .

ومن الناس من يقول : الخير كله في الوجود ، والشر كله في المدم ، والوجود خير ، والشر المحض لا يكون إلا معدوماً . وهذا لفظ مجمل ، فإذا أريد بذلك أن كل ما خلقه الله وأوجده ففيه الخير ووجوده خير من عدمه فهذا صحيح ، وكذلك ما لم يخلقه ولم يشأه ، وهو المدموم الباقى على عدمه ، لا خير فيه ، إذ لو كان فيه خير لفعله سبحانه ، فإنه سبحانه بيده الخير ، فالشر المدمى هو عدم الخير ، لا أن في المدم شراً وجودياً <sup>(٣)</sup> . وأما إذا أريد أن كل ما يُقدّر وجوده فوجوده خير ، وكل ما يُقدّر عدمه فعدمه شر فليس بصحيح ، بل من الأشياء ما وجوده شر <sup>(٤)</sup> من عدمه ، ولكن هذا لا يخلقه الرب فيبقى معدوماً ، وعدمه خير ، فهذا خير من هذا المدم ، بمعنى أن عدمه خير من وجوده ، إذ كان وجوده فيه ضرر راجح ، وعدم الضرر الراجح خير ، فهو خير عدمي في المدم ،

(١) به : ساقطة من النسختين .

(٢) في النسختين : مستحق ، وهو خطأ .

(٣) في النسختين : شر وجودي ، وهو خطأ .

(٤) في النسختين : شراً ، وهو خطأ .

إذ الدم لا يكون فيه وجود ، فالشر ليس إليه ، وهو ما كان وجوده شراً من عدمه ، فإنه لا يخلق هذا ، وما لم يخلقه فإنه ليس إليه ، وكل ما خلقه فوجوده خير من عدمه ، وهو سبحانه بيده الخير ، وذلك الذي وجوده شر من عدمه فإنه سبحانه يدفعه ويمنعه أن يكون مع القيام المقتضى له ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [سورة الحج : ٣٨] <sup>(١)</sup> ، ﴿ وَاللَّهُ يَصْصِلُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [سورة المائدة : ٦٧] ، ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الرعد : ١١] ، ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ [سورة المؤمنون : ٨٨] .

فدفعه الشر الذي تريده النفوس الشريرة هو من الخير وهو بيده ، ولو مكن تلك النفوس لفعلة ، فهو سبحانه لا يمكنها بل يمنحها إذا أرادت ، مع أنها لو خلّيت لفعلة ، فهو تارة يمنع الشر بإزالة سببه ومقتضيه ، وتارة يخلق ما يصاده وينافيه : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِّعَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٥٣] .

وقول القائل : خير وشر ، أى هذا خير من هذا ، وهذا شر من هذا ، ولهذا غالب استعمال هذين الاسمين كذلك ، كقوله : / ﴿ ءَاللهُ خَيْرٌ أَمَّا بُشْرُكُونَ ﴾ [سورة النمل : ٥٩] ، ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [سورة الفرقان : ٢٤] ، ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [سورة الجمعة : ٩] .

ظ ٤٢

(١) في (ك) : (إن الله يدفع عن الذين آمنوا) و « يدفع » قراءه ابن كثير ونافع وأبو عمر - انظر « البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة » لعبد الفتاح القاضى ، ط. مصطفى الحلبي ، ١٣٧٥/١٩٥٥ .



وقالت السحرة : ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [سورة طه : ٧٣] . وقال :  
 ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ  
 عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا  
 وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٦٠] ، وقال يوسف : ﴿ أَتُمْ  
 شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ [سورة يوسف : ٧٧] .

وقال حسان :

فشر كما لخير كما الغداء (١)

الخير والشر  
درجات

فالخير ما كان خيراً من غيره ، والشر ما كان شراً من غيره ، والخير  
 والشر درجات . ولهذا قال تعالى لما ذكر أهل الجنة وأهل النار ، قال :  
 ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [سورة الأنعام : ١٣٢] ، وقال تعالى :  
 ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ  
 الْمَصِيرُ \* هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٢ ، ١٦٣]  
 وكذلك ذكر تعالى في الأنعام والأحقاف بعد ذكر الطائفتين (٢) .

ولهذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : درجات الجنة تذهب علوا ،  
 ودرجات النار تذهب سفولا ، فدرجات الجنة كلها فيها النعيم ، وبعضها  
 خير من بعض ، ودرجات النار كلها فيها العذاب ، وبعضها شر من بعض .

(١) صدره كما في الديوان ، ص ٨ ( ط . التجارية ، ١٣٤٧ / ١٩٢٩ ) :

\* أتجهوه ولست له بكفء \*

والبيت من قصيدة يرد فيها على أبي سفيان الخارث بن عبد المطلب بن هاشم ، وكان قد  
 هجا الرسول صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه . وانظر تفسير الطبري ١ / ٣٦٨ .

(٢) انظر : سورة الأنعام : ١٦٥ ؛ سورة الأحقاف : ١٩ .

وإذا قيل : إن الله سبحانه هو خالق الخير والشر ، فالمراد ماهو شر من غيره وفيه أذى لبعض الناس ، ولكن خلقه لحكمة ، وماخلق لحكمة مطلوبة محبوبة فوجوده خير من عدمه ، فلم يخلق شيئاً يكون شرّاً ، أى يكون وجوده شرّاً من عدمه ، لكن يخلق ماهو <sup>(١)</sup> شر من غيره وغيره خير منه للحكمة المطلوبة ، وما فيه أذى لبعض الناس للحكمة المطلوبة .

لا يعذب الله أحداً إلا بذنبه وهو سبحانه لا يعذب أحداً إلا بذنبه ، بمقتضى الحكمة والعدل ، وفى تعذيبه أنواع الحكمة والرحمة . وهذا ظاهر فيما يبطل به المؤمنين فى الدنيا من المصائب التى هى جزاء سيئاتهم ، فإن [ فى ] <sup>(٢)</sup> ذلك من الحكمة والرحمة والعدل ماهو بين لمن تأمله ، ولا يعاقب أحداً <sup>(٣)</sup> إلا بذنبه .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَنْفَعُ عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [سورة الشورى : ٣٠] ، و ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [سورة النساء : ٧٩] ، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة الأنفال : ٥٣] ، فلا يسلبهم إلا إذا غيروا ما فى أنفسهم بالمعاصى والذنوب ، فلا يجزى بالسيئات إلا من فعل السيئات ، ولا يوقع النقم ويسلب النعم إلا من أتى <sup>(٤)</sup> بالسيئات المقتضية لذلك ، كما فعل بمن خالف رسله من جميع الأمم ، كما قال فى العذاب : ﴿ كَذَابِ آلِ قِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ

(١) هو : ساقطة من (ع) .

(٢) فى : ليست فى النسخين وزدتها ليستقيم الكلام .

(٣) فى (ع) : ولا يعاقب (البناء للمجهول) أحد ...

(٤) ع : إلا لمن أتى .

يَذُنُونَهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ [سورة الأفعال : ٥٢] ثم قال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغْتِرًّا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ الآية وما بعدها إلى قوله : ﴿ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [سورة الأفعال : ٥٣ - ٥٤] فذكر تمثيلاً لزوال النعم عليهم لما كذبوا بآياته .

س ٤٣

ولهذا قال : ﴿ فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَذُنُونَهُمْ ﴾ [سورة الأفعال : ٥٤] / ، وذكر الأول تمثيلاً لعذابهم بعد الموت كما قال : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْءَابُهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ \* ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ . وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ \* كَذَّابِ آلِ قِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُنُونَهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ [سورة الأفعال : ٥٠ - ٥٢] ، فقال هنا : ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُنُونَهُمْ ﴾ فإن أخذه يتضمن أخذهم ليصلوا بعد الموت إلى العذاب . ولفظ « الهلاك » يقتضى هلاكهم في الدنيا وزوال النعمة عنهم ، فذكر هلاكهم بزوال النعم وذكر أخذهم بالنقم كما قال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [سورة مود : ١٠٢] .

ولفظ « المؤاخضة » من الأخذ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِي عَذَابٍ أَبَدٍ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] . وقوله : ﴿ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ كقوله : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [سورة البروج : ١٢] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ الآية [سورة الأنعام : ٤٢] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٧٦] فهذا تعذيب لهم في الدنيا ليتضرعوا إليه وليتوبوا . وذكر هنا أنه أخذهم

بالمذاب ولم يقل بالذنوب ، كانه - والله أعلم - ضمن ذلك معنى جذبناهم إلينا لِيُنِيبُوا وليتوبوا . وإذا قال : فأخذهم الله بذنوبهم ، يكون قد أهلكتهم فأخذهم إليه بالهلاك ، وبسط هذا له موضع آخر .

الله يفعل الخير  
والأحسن

والمقصود هنا أن كل ما يفعله الرب ويخلقه فوجوده خير من عدمه ، وهو أيضاً خير من غيره ، أى من موجود غيره يُقَدَّر موجوداً بدله ، فكما أن وجوده خير من عدمه فهو أيضاً خير من موجود آخر يُقَدَّر مخلوقاً بدله ، كما ذكرنا فيما يأمر به أن فعله خير من تركه وأنه خير من أفعال غيره يشتغل بها عنه كما في قوله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الجمعة : ٩] .

وقولنا : فعله خير من تركه ، سواء جعل الترك وجودياً أو عدمياً ، والرب تعالى له المثل الأعلى ، وهو أعلى من غيره ، وأحق بالمدح والثناء من كل ما سواه ، وأولى بصفات الكمال ، وأبعد عن صفات النقص ، فمن الممتنع أن يكون المخلوق متصفاً بكمال لا نقص فيه ، والرب لا يتصف إلا بالكمال الذى لا نقص فيه ، وإذا كان يأمر عبده أن يفعل الأحسن والخير فيمتنع أن لا يفعل هو إلا ما هو الأحسن والخير ، فإن فعل الأحسن والخير مدح وكال لا نقص فيه ، فهو أحق بالمدح والكمال الذى لا نقص فيه من غيره .

قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٥] . وقال : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ [سورة الزمر : ١٨] ، ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ

مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿ [سورة الزمر : ٥٥] ، وقال : ﴿ وَأَفْسَلُوا  
الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الحج : ٧٧] .

ط ٤٣

وقد قال تعالى في مدح نفسه : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾ إلى قوله :  
﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة آل عمران : ٢٦] .  
وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْخَبَرِ ﴾ [سورة الزمر : ٢٣] فكلامه  
أحسن الكلام . وقال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ الآية  
[سورة السجدة : ٧] فقد أحسن كل شيء خلقه ، وقال : ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي  
أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [سورة النمل : ٨٨] .

وهو سبحانه الرحمن الرحيم ، الغفور الودود ، الجواد الماجد ، وهو سبحانه  
الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، وهو أرحم الراحمين وخير  
الراحمين ، كما قال أيوب : ﴿ مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾  
[سورة الأنبياء : ٨٣] ، وقال لنبيه : ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ  
الرَّاحِمِينَ ﴾ [سورة المؤمنون : ١١٨] ، فهو أحق بالرحمة والجود والإحسان  
من كل أحد .

وقد قال سبحانه : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ ثم قال :  
﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ [سورة القصص : ٦٨] فأخبر أنه يخلق ما يشاء ويختار .

والاختيار في لغة القرآن<sup>(١)</sup> يراد به التفضيل والانتقاء والاصطفاء ، كما  
قال : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ  
فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ [سورة طه : ١١-١٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا

(١) ك : والاختيار في اللغة القرآن .

بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمَذَابِ الْمُهِينِ ﴿ [سورة الدخان : ٣٠] إِلَى قَوْلِهِ :  
 ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْمَالِكِينَ \* وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ  
 مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الدخان : ٣٢، ٣٣] . وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى :  
 ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ الْآيَةَ  
 [سورة الجاثية : ١٦] . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ  
 رَجُلًا مُّثِيقَاتِنَا﴾ [سورة الأعراف : ١٥٥] . وَمِنْهُ فِي الْحَدِيث : « إِنْ أَرَادَ اللَّهُ  
 اخْتَارَ مِنَ الْأَيَّامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَمِنَ الشُّهُورِ شَهْرَ رَمَضَانَ ، وَاخْتَارَ اللَّيَالِيَ فَاخْتَارَ  
 لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، وَاخْتَارَ السَّاعَاتِ فَاخْتَارَ سَاعَاتِ الصَّلَوَاتِ » رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي  
 كِتَابِ « تَشْرِيفِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَتَعْظِيمِهِ » <sup>(١)</sup> عَنْ كَتَبِ الْأَحْبَارِ .

### ﴿ فصل مختصر ﴾ <sup>(٢)</sup>

قال الشيخ رحمه الله في آخر هذا الفصل من هذه القاعدة :

فَإِذَا أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَخْلُقَ كَانَ الْخَلْقُ عَقِبَ الْإِرَادَةِ ، وَالْخَلْقُ عَقِبَ  
 التَّكْوِينِ وَالْخَلْقُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ  
 لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس : ٨٢] .

بيان حقيقة  
إرادة الله

والجهمية والمعتزلة لا يقولون بذلك في الفعل ، بل يقولون : يفعل مع جواز  
 أَنْ لَا يَفْعَلَ . إِلَى أَنْ قَالَ :

(١) أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ عَسَاكَرٍ ، الْمُحَدِّثُ الْفَقِيهُ الْمُؤَرِّخُ ، وَلَدَ  
 سَنَةَ ٤٩٩ هـ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٥٧١ هـ . انظر ترجمته في : وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٢ / ٤٧١ - ٤٧٣ ؛  
 تَذَكُّرَةُ الْمَحَافِظِ ٤ / ١٣٢٨ - ١٣٣٤ ( وَذَكَرَ مِنْ كُتُبِهِ : فَضْلُ الْجُمُعَةِ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ ) ؛  
 مَقْدَمَةُ تَبْيِينِ كَذِبِ الْفِرَقِ ؛ الْأَعْلَامُ ٥ / ٨٢ - ٨٣ .

(٢) فِي حَاشِيَةِ ( ع ) : « هَذَا الْفَصْلُ مُخْتَصَرٌ مِنْ فَصْلِ الْإِخْتِبَارِ مِنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ اخْتَصَرْتَهُ  
 لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ مَعَ الْمُتَرَدِّ وَالْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ » .

وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفوا [ذلك] <sup>(١)</sup> - ويُنَوِّه للناس - وعرفوا أن حدوث الحوادث اليومية المشهودة تدل على أن العالم مخلوق، وأن له رباً خلقه ويحدث فيه الحوادث . وقد ذكر ذلك الحسن البصري، كما رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب «المطر» <sup>(٢)</sup>، ورواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب «العظمة» <sup>(٣)</sup>، وذكره أبو الفرج بن الجوزي في «تفسيره» .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : «حدثني هارون، حدثني عفان، عن مبارك ابن فضالة قال : سمعت الحسن يقول : كانوا يقولون - يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - : الحمد لله الرفيق الذي لو جعل هذا الخلق خلقاً دائماً لا يتصرف لقال الشاك في الله : لو كان لهذا الخلق ربٌّ لحادثه، وإن الله قد حادثه بما ترون من الآيات : إنه جاء بضوء طبق ما بين الخافقين، وجعل فيها معاشاً وسراجاً وهأجاً، ثم إذا شاء ذهب بذلك الخلق وجاء بظلمة طبقت ما بين الخافقين / وجعل فيها <sup>(٤)</sup> سكناً ونجوماً وقرراً منيراً، وإذا شاء بنى بناء جعل فيه

س ٤٤

(١) ذلك : ليست في النسخين، وبها يستقيم الكلام .

(٢) أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا، الحافظ صاحب التصانيف . ولد سنة ٢٠٨ وتوفي سنة ٢٨١ . وذكر بروكلمان (٣ / ١٣١) من كتبه : «كتاب الطر والرد والبرق والريح» وقال إن منه نسخة خطية في كوبريل رقم ٣٨٨ . انظر : تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٧٧ - ٦٧٩ ؛ تاريخ بغداد ١٠ / ٨٩ - ٩١ ؛ طبقات الحابلة ١ / ١٩٢ - ١٩٥ ؛ فوات الوفيات ١ / ٤٩٤ - ٤٩٥ ؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣ / ١٢٩ - ١٣٣ ؛ الأعلام ٤ / ٢٦٠ .

(٣) أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، ويسرف بأبي الشيخ الأصبهاني . قال عنه الذهبي : «حافظ أصبهان ومُسند زمانه» . ولد سنة ٢٧٤ وتوفي سنة ٣٦٩ . ومن كتبه كتاب «العظمة» وقد أشار الزركلي إلى وجود نسخة خطية منه . انظر : تذكرة الحفاظ ٣ / ٩٤٥ - ٩٤٧ ؛ شذرات الذهب ٣ / ٦٩ ؛ الباب لابن الأثير ١ / ٥٥ ؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (ط . المعارف) ٣ / ٢٢٦ - ٢٢٧ ؛ الأعلام ٤ / ٢٦٤ .

(٤) في هامش النسخين «فيه» وعليها «خ» إشارة إلى نسخة أخرى .

من المطر والبرق والرعد والصواعق ما شاء ، وإذا شاء صرف ذلك ، وإذا شاء جاء ببرد يقرقف<sup>(١)</sup> الناس ، وإذا شاء ذهب بذلك وجاء بمحرٍ يأخذ بأنفاس الناس ، ليعلم الناس أن لهذا الخلق رباً يحادثه بما يرون من الآيات ، كذلك إذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة .

فقد ذكر الحسن عن الصحابة الاستدلال بهذه الحوادث المشهودة على وجود الرب سبحانه المحدث الفاعل بمشيئته وقدرته ، وبطلان أن يكون موجِباً يقارنه موجِبُهُ ، فإن ذلك يمتنع محادثته ، أى إحداث الحوادث فيه .

وقولهم : « لو كان هذا الخلق خلقاً دائماً لا يتصرف لقال الشاك في الله : لو كان لهذا الخلق رب لحادثه » يقتضى أن هذه الحوادث آيات الله ، وأنه رب هذا الخلق ، وأن هذا الخلق محدث لكون غيره يحادثه ، أى يحدث فيه الحوادث ، وما صرفه غيره وأحدث فيه الحوادث كان مقهوراً مديراً ، لم يكن واجباً بنفسه ممتنعاً عن غيره .

وقوله : « لو كان له رب لحادثه » ؛ قد يقال : إنهم أنكروا هذا القول لقولهم : « لقال الشاك في الله » . وقد يقال : بل هم مصدقون بهذه القضية الشرطية ؛ ولكن لو لم تكن الحوادث لكان الله يُعرف دون هذه الحوادث ، فإن معرفته حاصلة بالفطرة والضرورة ، ونفس وجود الإنسان مستلزم<sup>(٢)</sup> لوجود الرب ، فكان الصانع يُعلم من غير هذه الطريق ، فلهذا يعاب الشاك . ويمكن أنهم لم يقصدوا عيبه على هذا التقدير ، بل على هذا التقدير كان الشك موجوداً في الناس إذ لا دليل على وجوده ، فكانت هذه الآيات مزيلة للشك وموجبة لليقين .

(١) في اللسان : القرقة : الرعدة ، وقد قرقفه البرد . ويقال : إنى لأقرقف من البرد أى أرعد .

(٢) في النسختين : مستلزمة .



والأول أشبه بمرادهم وأولى بالحق ، فإنهم قالوا : « لقال الشاك في الله » ،  
فدل على أن هناك من ليس بشاك في الله ، ولم يقولوا : لشك الناس في الله .  
وبسط هذا القول في إثبات الصانع له موضع غير هذا .

والمقصود أنه سبحانه وتعالى يخلق بمشيئته واختياره ، وأنه يختار الأحسن ،  
وأن إرادته ترجح الراجح الأحسن ؛ وهذا حقيقة الإرادة ، ولا تعقل إرادة  
ترجح مثلاً على مثلاً ، ولو قُدِّر وجود مثل هذه الإرادة فلكل أكل وأفضل ،  
والخلق متصفون بها ، ويمتنع أن يكون الخلق<sup>(١)</sup> أكل من الخالق ،  
والحدث الممكن أكل من الواجب القديم ، فوجب أن يكون ما توصف به  
إرادته أكل مما توصف به إرادة غيره ، فيجب أن يُريد بها ما هو الأولى  
والأحسن والأفضل . وهو سبحانه يفعل بمشيئته وقدرته ، فالمتنع لا تتعلق به  
قدرة فلا يُراد ، والممكن لذي يمكن أن يفعل ويكون مقدوراً ترجح الإرادة  
الأفضل الأرجح منه .

وما يحكى عن الفزالي أنه قال : « ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم ، فإنه لو كان  
كذلك ولم يخلقه / لكان بخلاً يناقض الجود ، أو عجزاً يناقض القدرة »<sup>(٢)</sup> .

(١) في (ع) : أن يكون الخلق ، وقيالها في الهامش كتبت كلمة « المخلوق » . وأخطأ  
ناسخ (ك) فكتبت العبارة : « ويمتنع المخلوق أن يكون الخلق أكل من الخالق » .  
(٢) أنكر البعض أن تكون هذه العبارة من كلام الفزالي ، مع أن الفزالي نفسه  
أقر بها وحاول أن يبرر سبب قوله بها فقال في « الإملاء في إشكالات الإحياء » ( المطبوع  
مع الإحياء ، ط . لجنة نشر الثقافة الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٥٧ ) : « ومعنى بأن ليس في  
الإمكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكل صنفاً ، ولو كان ادخره مع  
القدرة كان ذلك بخلاً يناقض الكرم الإلهي وإن لم يكن قادراً عليه كان ذلك عجزاً .. الخ »  
( انظر ص ٤٩ - ٥١ ) . وانظر مثلاً ما يذكره في الإحياء ١٣ / ١٨١ حيث يقول :  
« ... بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي ، وكما ينبغي ، وبالقدر الذي ينبغي ،  
وليس في الإمكان أصلاً أحسن منه ولا آم ولا أكل ، ولو كان ، وادخره مع القدرة ، ولم  
يتفضل بفعله ، لكان بخلاً يناقض الجود ، وظلماً يناقض العدل ... الخ » . وانظر « الفزالي »  
للدكتور أحمد فريد رفاعي ٢ / ٧٧ - ٨٤ ( ط . عيسى الحلبي ، ١٣٥٦ / ١٩٣٧ ) ؛  
الأخلاق عند الفزالي للدكتور زكي مبارك ، ص ٧٩ ( ط . التجارية ، بدون تاريخ ) .

وقد أنكر عليه طائفة هذا الكلام ، وتفصيله : أن الممكن يُراد به القدور . ولا ريب أن الله سبحانه يقدر على غير هذا العالم ، وعلى إبداع غيره إلى ما لا يتناهى كثرة ، ويقدر على غير ما فعله ، كما قد بينّا ذلك في غير هذا الموضع ، وبيّن ذلك في غير موضع من القرآن .

وقد يُراد به : إنه ما يمكن أحسن منه ولا أكل منه ؛ فهذا ليس قدحاً في القدرة ، بل قد أثبت قدرته على غير ما فعله ، لكن قال : ما فعله أحسن وأكل مما لم يفعله . وهذا وصف له سبحانه بالكرم والجود والإحسان ، وهو سبحانه الأكرم فلا يتصور أكرم منه ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

آخره ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً .

# رِسَالَةٌ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ

هَلْ يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ بِعَمَلِهِ  
أَمْ يَنْقِضُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

سئل شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية عن قوله تعالى : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٤٣] ، هل يدخل أحد الجنة بعمله ، أم يتقضه قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل أحد الجنة بعمله ، قيل : ولا أنت ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته » .

### ﴿ الجواب ﴾

الحمد لله .

لا مناقضة بين ما جاء به القرآن وما جاءت به السنة ، إذ المثلث في القرآن ليس هو المنفى في السنة . والتناقض إنما يكون إذا كان المثلث هو المنفى ؛ وذلك أن الله تعالى قال : ﴿ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أُسْلِفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [سورة الحاقة : ٢٤] ، وقال : ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة السجدة : ١٩] ، وقال : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ \* كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ \* جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الواقعة : ٢٢-٢٤] . فبين بهذه النصوص أن العمل سببٌ للثواب . والباء للسبب ، كما في مثل قوله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٧] ، وقوله : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [سورة البقرة : ١٦٤] ، ونحو ذلك مما يبين به الأسباب .

المثلث في القرآن  
ليس هو المنفى  
في السنة

العمل سبب  
للثواب

ولا ريب أن العمل الصالح سبب لدخول الجنة ، والله قدّر لعبده المؤمن وجوب الجنة بما ييسره له من العمل الصالح ، كما قدّر دخول النار لمن يدخلها بعمله السيئ ، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتِبَ مقعده من الجنة ومقعده من النار . قالوا : يا رسول الله أفلا نتكل على الكتاب ونذع العمل ؟ قال : لا ، اعملوا فكلٌ مُمَيَّرٌ لما خُلِقَ له ؛ أما من كان من أهل السعادة فسييسره لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسره لعمل أهل الشقاوة » <sup>(١)</sup> ، وقال : « إن الله خلق للجنة أهلاً وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم ويعمل أهل الجنة يعملون ، وخلق للنار أهلاً وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم ويعمل أهل النار يعملون » <sup>(٢)</sup> .

السبب لا يستقل بالحكم

وإذا عُرِفَ أن « الباء » هنا للسبب فعلوم أن السبب لا يستقل بالحكم . فجرد نزول المطر ليس موجباً للنبات ، بل لا بد من أن يخلق الله أموراً أخرى ويدفع عنه الآفات المانعة ، فيريّبه بالتراب والشمس والريح ، ويدفع عنه ما يفسده ، فالنبات محتاج - مع هذا السبب - إلى فضل من الله أكبر منه .  
وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمة منه وفضل »

(١) سبق ورود هذا الحديث من قبل ، وتكلمت عنه هناك ( من ٩٣ ت ١ ) . وهو أيضاً في : البخارى ٢ / ٩٦ ( كتاب الجنائز ، باب موعظة المحدث عند القبر ) ، ٦ / ١٧٠ - ١٧١ ( كتاب التفسير ، باب سورة الليل إذا يفتى ) ؛ الترمذى ( بشرح ابن العربي ) ٨ / ٣٠٠ ( كتاب القدر ، باب ما جاء في الشقاء والسعادة ) ؛ سنن ابن ماجه ١ / ٣٠ - ٣١ ( المقدمة ، باب في القدر ) .

(٢) الحديث في : مسلم ٨ / ٥٥ ( كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ... إلخ ) ونصه : « عن عائشة أم المؤمنين : قالت : دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت : يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه . قال : أو غير ذلك : يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً ، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلاً ، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم » .

فإنه ذكره في سياق أمره لهم بالإقتصاد . قال : « سدّدوا وقاربوا ، واعلموا أن أحدا منكم لن يدخل الجنة بعمله »<sup>(١)</sup> .

وقال : « إن هذا الدين متين » ، وإنه لن يُشادَّ الدين أحدٌ إلا غلبه ، فسدّدوا وقاربوا ، واستمعينوا بالقدوة والروحة وشئ من الدلبة والقصد / تبلفوا »<sup>(٢)</sup> .

ظ ١٨٨

نفى بهذا الحديث ما قد تنوهمه النفوس من أن الجزاء من الله عز وجل ليس جزاء الله على سبيل المعاوضة والمقابلة ، كالمعاوضات التي تكون بين الناس في الدنيا ؛ سبيل المعاوضة

(١) جاء هذا الحديث عن طرق متعددة وبألفاظ مختلفة في كتب السنة ، والرواية التي أوردها ابن تيمية هنا تقرب من حديث عائشة رضى الله عنها المتفق عليه ، وهو مروي في البخارى مرتين : ٨ / ٩٨ ، ٩٨ - ٩٩ ( كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل ) ؛ مسلم ٨ / ١٤١ ( كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل رحمة الله تعالى ) ونصه - واللفظ لمسلم - « عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سدّدوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل الجنة أحداً عمله . قالوا ، ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل » .

والحديث متفق عليه أيضاً عن أبي هريرة رضى الله عنه في : البخارى ٨ / ٩٨ ( نفس الكتاب والباب ) ؛ مسلم ٨ / ١٣٩ ( نفس الكتاب والباب ) وأوله : « لن ينجي أحدٌ منكم عمله » . والخ . وجاء الحديث عن أبي هريرة من طرق متعددة وبألفاظ مختلفة في : البخارى ٧ / ١٢١ ( كتاب الطب ، باب تبنى المريض ) ؛ مسلم ٨ / ١٣٩ - ١٤١ ( نفس الكتاب والباب ) ؛ سنن ابن ماجه ٢ / ١٤٠٥ ( كتاب الزهد ، باب التوقى على العمل ) ؛ مسند أحمد ( ط . المطارف ) الأرقام : ٧٢٠٢ ، ٧٤٧٣ ، ٧٥٧٧ . وروى الداريمى الحديث في سننه ٢ / ٣٠٥ - ٣٠٦ ( كتاب الرقائق ، باب لا ينجي أحدكم عمله ) عن جابر رضى الله عنه . والحديث في المسند ( ط . الحلبي ) في أكثر من عشرين موضعاً . وانظر مفتاح كنوز السنة « الأعمال » .

(٢) في صحيح البخارى ١ / ١٢ ( كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ) عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ، « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسدّدوا وقاربوا وأبشروا ، واستمعينوا بالهدوء والروحة وشئ من الدلبة » . وروى السيوطى في الجامع الصغير حديثاً عن أنس رضى الله عنه : « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » . قال السيوطى إن هذا الحديث في المسند وصححه . وروى حديثاً آخر عن جابر : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن الثبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى » . قال السيوطى أنه في مسند البزار وضعفه .

فإن الأجير يعمل لمن استأجره فيعطيه أجره بقدر عمله على طريق المعاوضة ، إن زاد زاد أجرته ، وإن نقص نقص أجرته ، وله عليه أجره يستحقها كما يستحق البائع الثمن . فنفى صلى الله عليه وسلم أن يكون جزاء الله وثوابه على سبيل المعاوضة والمقابلة والمعادلة .

والباء هنا كالباء الداخلة في المعاوضات ، كما يقال : استأجرت هذا بكذا ، وأخذت أجرتي بعملى .

وكثير من الناس قد يتوهم ما يشبه هذا ، وهذا غلط من وجوه :  
أحدها : أن الله تعالى ليس محتاجاً إلى عمل العباد كما يحتاج الخلق إلى عمل من يستأجره ، بل هو سبحانه كما قال في الحديث الصحيح : « إنكم لن تبغوا نفعى فتغنوني ، ولن تبغوا ضرئى فتضرؤنى » (١)

غلط من توهم ذلك من وجوه الأول

والعباد إنما يعملون لأنفسهم ، كما قال تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] ، وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [سورة فصلت : ٤٦] ، وقال : ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [سورة الزمر : ٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [سورة النمل : ٤٠] ،

(١) هذا جزء من الحديث القدسي في تحريم الظلم ، وأوله : « يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » . وفيه « يا عبادى إنكم لن تبغوا ضرئى فتضرؤنى ولن تبغوا نفعى فتغنوني » . وقد روى الحديث عن أبى ذر رضى الله عنه : مسلم ١٦/٨ - ١٨ (كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم) ؛ سنن ابن ماجه ٢ / ١٤٢٢ (كتاب الزهد ، باب ذكر التوبة) .

ولابن تيمية رسالة في شرح هذا الحديث نشرت في مجموعة الرسائل المنيرية ٣/ ٢٠٥ - ٢٤٦ ط . المطبعة المنيرية ، ١٣٤٦ .



وقال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٧] .

وأما العباد فإنهم محتاجون إلى من يستعملون لجلب منفعة أو دفع مضرة ، ويمطونه أجره نفعه لهم .

الثاني

الثاني : أن الله هو الذي مَنَّ على المامل : بأن خلقه أولاً وأحياه ورزقه ، ثم بأن أرسل إليه الرسل وأنزل إليه الكتب ، ثم بأن يسَّر له العمل وحبَّب إليه الإيمان وزَيَّنَه في قلبه ، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان .

والخلق إذا عمل لغيره لم يكن المستعمل هو الخالق لعمل أجيره ، فكيف يُتصور أن يكون للعبد على الله عوض وهو خلقه وأحدثه وأنعم على العبد به ؟ وهل تكون إحدى نعمتيه عوضاً <sup>(١)</sup> عن نعمته الأخرى وهو ينعم بكلتيهما ؟ <sup>(٢)</sup> .

الثالث

الوجه الثالث : أن عمل العبد لو بلغ ما بلغ ليس هو مما يكون ثواب الله مقابلاً له ومعادلاً حتى يكون عوضاً ، بل أقل أجزاء الثواب يستوجب أضعاف ذلك العمل .

الرابع

الرابع : أن العبد قد يُنعم ويُمتَّع في الدنيا بما أنعم الله به عليه ، مما يستحق بإزائه <sup>(٣)</sup> أضعاف ذلك العمل إذا طلبت المعادلة والمقابلة . وإذا كان كذلك لم يبالوا في الاجتهاد بمبالغة من يضره الاجتهاد ، كالتنبت الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ، وزال عنهم العجب ، وشهدوا إحسان الله بالعمل .

(١) في الأصل : عوض .

(٢) في الأصل : بكلتيهما .

(٣) في الأصل : بإزائها .

الخامس : أن العباد لا بدّ لهم من سيئات ، ولا بد في حياتهم من تقصير .  
فلولا عفو الله لهم عن السيئات ، وتقبله أحسن ما عملوا - لما استحقوا نواباً .  
/ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « من نُوقِشَ الحسابُ عُدِبَ . قالت عائشة :  
يا رسول الله ، أليس الله يقول : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ فَسَوْفَ  
يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [ سورة الانشقاق : ٧ ، ٨ ] ؟ قال : ذلك العرض ،  
ومن نُوقِشَ الحسابُ عُدِبَ » (١) .

ص ١٨٩

ولهذا جاء في حديث الشفاعة الصحيح إذا طُلبت الشفاعة من أفضل الخلق :  
آدم ونوح وإبراهيم وموسى ، واعتذر كل منهم بما فعل - قال لم عيسى :  
« اذهبوا إلى محمد ، عبدِ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » (٢) .

ولهذا قال في الحديث لما قيل له : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا  
أنا إلا أن يتغمدني الله بعفوه » . فتبين بهذا الحديث أنه لا بد من عفو الله  
وتجاوزه عن العبد ، وإلا فلو ناقشه على عمله لما استحق به الجزاء . قال الله  
تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ  
سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ﴾ [ سورة الأحقاف : ١٦ ] ، وقال تعالى :  
﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ إلى قوله :  
﴿ لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي  
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [ سورة الزمر : ٣٣-٣٥ ] .

(١) الحديث مع اختلاف في الألفاظ في : البخارى ١ / ٢٨ ( كتاب العلم ، باب من  
سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ) ؛ مسلم ٨ / ١٦٤ ( كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب  
إثبات الحساب ) .

(٢) حديث الشفاعة مروى من وجوه عدة عن عدد من الصحابة بألفاظ متقاربة . انظر  
البخارى ٦ / ٨٤ - ٨٥ ( كتاب التفسير ، سورة بنى إسرائيل : باب ذرية من جلتهم نوح ) ؟  
مسلم ١ / ١٢٣ - ١٣٠ ( كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ) ؛ المسند ( ط . المعارف )  
١ / ١٦١ - ١٦٣ ( رقم ١٥ ) . وانظر أيضا : الترغيب والترهيب ٥ / ٣٩٨ - ٤٠٦  
تيسير الوصول ٤ / ١٠٣ - ١٠٥ .

وإذا تبين ذلك أفاد هذا الحديث ألا يُعَجَّب العبد بعمله، بل يشهد نعم الله عليه، وإحسانه إليه في العمل، وأنه لا يستكثر العمل، فإن عمله لو بلغ ما بلغ، إن لم يرحمه الله ويعف عنه ويتفضل عليه، لم يستحق به شيئاً، وأنه لا يكلف من العمل ما لا يطيق ظاناً أنه يزداد بذلك أجره، كما يزداد أجر الأجير الذي يعمل فوق طاقته فإن ذلك يضره، إذ المُنْبَت لا أرضاً<sup>(١)</sup> قطع ولا ظهراً أبقي.

وأحب العمل ما داوم عليه صاحبه، فإن الأعمال بالخواتيم، بخلاف عمل الأجرَاء في الدنيا، فإن الأجرة تنقسط على المنفعة، فإذا عمل بعض العمل استحق من الأجرة بقدر ما عمل ولو لم يعمل إلا قليلاً. فمن خُتم له بخير استحق الثواب، وكفر الله بتوبته سيئاته، ومن خُتم له بكفر أحبطت رِدَّته حسناته. فلهذا كان العمل الذي [داوم]<sup>(٢)</sup> عليه صاحبه إلى الموت خيراً ممن أعطى قليلاً ثم أكْدَى، وكلف نفسه ما لا يطيق، كما يفعله كثير من العمال.

فقوله صلى الله عليه وسلم: «سَدُّوا وقاربوا، واعلموا أن أحداً منكم لن يدخل الجنة بعمله» ينفي المعاوضة والمقابلة التي يولّد اعتقادها هذه المفاصد. وقوله: ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يثبت السبب الموجب لأن يفعله العبد. ولهذا قال بعضهم: «اعمل، وقَدَّر أنك لم تعمل». وقال آخر: «لا بد منك، وبك وحدك لا يبيء شيء».

فلا بد من العمل بالمأمور به، ولا بد من رجاء رحمة الله وغفوه وفضله، لا بد من العمل وشهود العبد لتقصيره، ول فقره إلى فضل ربه، وإحسان ربه إليه.

وقد قال سفيان بن عيينة: «كانوا يقولون: ينجون من النار بالمغو، ويدخلون الجنة بالرحمة، ويتقاسمون المنازل بالأعمال».

(١) في الأصل: لا أرض.

(٢) داوم: ليست في الأصل، وزدتها ليتضح المعنى.

فنبه على أن مقادير الدرجات في الجنة تكون بالأعمال ، وأن نفس الدخول هو بالرحمة . فإن الله قد يدخل الجنة من يُنْشِئُهَا في الدار الآخرة بخلاف النار ، فإنه أقسم أن يملأها من إبليس وأتباعه .

/ لكن مع هذا فالعمل الصالح في الدنيا سبب للدخول والدرجة ، وإن كان الله يدخل الجنة بدون هذا السبب ، كما يدخل الأبناء تبعاً لأبائهم . وليس كل ما يحصل بسبب لا يحصل بدونه ، كاللوت الذي يكون بالقتل ويكون بدون القتل ، ومن فهم أن السبب لا يوجب السبب ، بل لا بد أن يضم الله إليه أموراً أخرى ، وأن يدفع عنه آفات كثيرة ، وأنه قد يخلق السبب بدون السبب - انفتح له حقيقة الأمر من هذا وغيره . والله تعالى أعلم .  
آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليم كثيراً .

ظ ١٨٩  
الله يدخل الجنة  
بالعمل وبغيره  
من الأسباب

رِسَالَةٍ فِي الْجَوَابِ عَمَّنْ يَقُولُ إِنَّ صِفَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى نَسَبٌ وَإِضَافَاتٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ



س ٤٥ "سؤال عمن يقول : إن صفات الرب نسب وإضافات وغير ذلك

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما .  
أما بعد ، فهذا<sup>(١)</sup> فصل مختصر من سؤال سُئل عنه شيخ الإسلام أبو العباس  
أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى .

ما يقول السادة العلماء أئمة الدين - رضى الله عنهم أجمعين - فيمن قال :  
إن صفات الرب لا تعدد ولا يفصل بعضها عن بعض إلا في مراتب المرات  
وموارد الإشارات ، فإذا أضيف علمه إلى الاطلاع على ضمير الصغير والكبير  
يُقال : بصير ، وإذا ابتدر منه الرزق يُقال : رزاق ، وإذا أفاض من مكنونات  
علمه على قلب أحد من الناس بأسرار إلهيته ودقائق جبروت ربوبيته يقال :  
متكلم ، وليس بعضه آلة السمع وبعضه آلة البصر وبعضه آلة الكلام ، بل  
كله بكلية ذاته ، لا يشغله شيء عن شيء .  
فهل هذا القول صواب أم لا ؟ أفتونا مأجورين .

### ﴿ الجواب ﴾

هذه مقالة  
المتفلسفة  
والقراطة  
والاتحادية

الحمد لله رب العالمين . ليس هذا القول صواباً ، وإن كان بعضه صواباً ،  
بل هذا القول قرع باب الإلحاد ، وتوطئة سبيل الاتحاد ، فإن هذا القول هو  
قول غلاة نفاة الصفات الجهمية من متفلسفٍ وقرمطى واتحادى ونحوهم ، وليس

هو قول المعتزلة والنجارية<sup>(١)</sup> والضرارية<sup>(٢)</sup> والشيعة ونحوهم ممن يقول : القرآن مخلوق ، بل هو شر من قول هؤلاء ، فإن هؤلاء متفقون على أنه خلق في غيره كلاماً ، وأنه متكلم بذلك الذى خلقه في غيره ، وأن موسى والملائكة يسمعون ذلك الكلام المخلوق الذى هو كلام الله عند هؤلاء المبتدعة .

قالوا : إنه لا يكون متكلماً إلا بكلام يقوم به ، وإن الكلام إذا قام بمحل كان صفة لذلك المحل لاغيره ، كسائر الصفات من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر ونحوه ، فيقال : عالم وقادر وسميع وبصير ونحو ذلك .

ولهذا قال من قال من السلف : من قال : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ [سورة طه : ١٤] مخلوق ، فهو بمنزلة من صدق فرعون في قوله : رد السلف عليهم

(١) النجارية هم أتباع أبي عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ، ولنا نعرف تاريخ مولده ووفاته ، ولكن ابن النديم يذكر في الفهرست ( ص ٢٥٤ ) أنه مات بسبب العلة التي أصابته عندما أحفه النظام في جدال جرى بينهما ، فيكون بذلك معاصراً للنظام الذى توفى حوالى سنة ٢٣١ على الأرجح . وعلى الرغم من أن الشهرستانى يعمده من الحجة إلا أنه يقول إنه يوافق الصفاتية في خلق الأعمال ، بل يذكر أنه قال بالكسب على حسب مايقبته الأشعرى من بعده . والنجارية يوافقون المعتزلة في نفي الصفات وفي القول بأن المعرفة واجبة بالعقل قبل ورود السمع ، وبعدم الأشعرى من الرجعة ، وينقل الشهرستانى عن الكشي قوله إن النجار كان يقول إن الباري تعالى بكل مكان وجوداً لا على معنى العلم والقدرة . انظر : مقالات الإسلاميين ١/ ١٩٩ - ٢٠٠ ، ٣١٥ - ٣١٦ ؛ الملل والنحل ١/ ٨١ - ٨٢ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ؛ المحور العين للحميرى ، ص ٢٥٧ ، ٢٦٤ ؛ أصول الدين لابن طاهر ، ص ٣٣٤ ؛ التبصير في الدين ، ص ٦١ - ٦٢ ؛ الفهرست لابن النديم ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ؛ الباب لابن الأنير ٣ / ٢١٥ ؛ الأعلام للزركلى ٧ / ٢٧٦ .

(٢) الضرارية هم أتباع ضرار بن عمرو ( انظر لسان الميزان ٣ / ٢٠٣ ) وحض الفرد ( انظر لسان الميزان ٧ / ٣٣٠ - ٣٣١ ؛ الفهرست لابن النديم ، ص ٢٥٥ ) وهم يشبهون النجارية في الكثير من أقوالهم ، فهم ينفون الصفات ، ويقولون بخلق الله لأنمال العباد ، ويطلقون القول بالتولد ، ولكنهم يشكرون القول بوجود المعرفة قبل ورود السمع . انظر : الملل والنحل ١ / ٨٢ - ٨٣ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٢٩ - ١٣٠ ؛ أصول الدين لابن طاهر ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ؛ التبصير في الدين ، ص ٦٢ - ٦٣ ؛ مقالات الإسلاميين ١ / ٣١٣ - ٣١٤ ؛ التنبيه والرد للملطى ، ص ٤٣ ؛ المحور العين للحميرى ، ص ١٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ؛ البدء والتاريخ ٥ / ١٤٦ - ١٤٧ ؛ الفصل لابن حزم ٣ / ١٧٣ - ١٧٤ .



﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ [سورة النازعات : ٢٤] ، لأنه لو كان قوله : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ مخلوقاً لكان كلاماً للمحل الذي خلق فيه : إما الشجرة وإما الهواء ، فيكون الشجرة أو الهواء هو القائل : « إِنِّي أَنَا اللَّهُ » . ومن جعل هذا ربّاً فهو بمنزلة من جعل فرعون ربّاً ، وإن كان الله خالق ذلك الكلام في الشجرة والهواء ، فقد ثبت بالحجة أنه خالق أفعال العباد ، وأنه أنطق كل شيء ، فكل ناطق في الوجود هو أنطقه وخلق نطقه ، فيجب أن يكون كل نطق في الوجود كلامه ، حتى قول فرعون : « أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى » .  
وحيثُ فلا فرق بين قوله : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾ وبين خلقه على لسان فرعون : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ .

وهذا اللازم تفر منه المعتزلة وغيرهم ، إذ هم لا يقرون بأن الله خالق أفعال العباد ، لكن يلزمهم بالحجة ما يخلق الله من الكلام ، مثل : إنطاق الجلود ، وتسبيح الحصى ، وتسليم الحجر عليه عليه السلام ، وشهادة الألسنة / والأيدي والأرجل ، فإن هذا ليس من أفعال العباد ، بل ذلك خلق الله . فيلزمهم أن يقولوا : ذلك كله كلام الله ، وهو باطل ، وهم لا يلتزمون .

وإنما التزم مثل هذا الاتحادية والحلولية الذين يقولون : إنه وجود المخلوقات ، أو : هو سائر في جميع المخلوقات . كما قال قائلهم :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه<sup>(١)</sup>

(١) البيت لابن عربي وقد ذكره في الفتوحات المكية ٤ / ١٤١ ونصه هناك :

ألا كل قول في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه  
والبيت الذي يتلوه :

يعم به أسمع كل مكون . فنه . إليه بدؤه وختانه

ومن هؤلاء من يفرّق بين قول الحلاج وأمثاله : « أنا الحق »<sup>(١)</sup> ، وبين قول فرعون : « أنا ربكم الأعلى » بأن الحلاج وأمثاله قالوا ذلك وهم فانون ، فالحق نطق على ألسنتهم لغيتهم عن شهود أنفسهم ، وأما فرعون وأمثاله ممن هم في شهود أنفسهم فقالوه مع رؤيتهم أنفسهم ، وحاصله أن الله تعالى هو الذى نطق على لسان الحلاج وأمثاله .

وهذا شر من قول من يقول : القرآن مخلوق خلقه الله فى الهواء ونحوه ، لأن الجحد ليس له نطق يُضاف ، فوجود الكلام فيه شبهه توجب جعله كلاماً لغيره ، أما الإنسان الحى إذا وجد منه مثل هذا الكلام مضافاً إلى نفسه ، وجعل المتكلم به هو الله ، فهذا صريح بحلول الحق فيه واتحاده به كما تقوله<sup>(٢)</sup> النصارى فى المسيح .

ومعلوم أن النصارى أ كفر من المعتزلة ، ومعلوم بالاضطرار من العقل والدين أن الله لم يتكلم على لسان بشر ، كما يتكلم<sup>(٣)</sup> الجنى على لسان المصروع ، ولكن يبعث الرسل فيبلغون كلامه ، والمرسل يقول لرسوله : قل على لسانى كذا ، ويقول : كلامى على لسان رسولى فلان ، أى كلامى الذى بلغه عنى .

ومن هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم : إن الله قال على لسان نبيه : سمع الله لمن حمده ، أى هذا من الكلام الذى بلغه الرسول عن الله ، كما قال تعالى :

(١) فى كتاب « أخبار الحلاج » ، ص ١٠٨ ( تحقيق ماسينيون وكراوس ، باريس ، ١٩٣٦ ) : « وقال أحمد بن فائق : سمعت الحلاج يقول :

أنا الحق والحق للحق حق لا يس ذاته فاثم فرق

(٢) ك : فهذا صريح بحلول الحق فيه وإيجاده كما تقوله .. إلخ ؛ ع : .. وإيجاده به .. إلخ .  
(٣) ك : تكلم .

﴿ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [سورة الدخان : ٥٧] ، كما يقول المرسل : قد قلت لكم على لسان رسولي فلان كذا وكذا .

وهذا كما أن القول يضاف إلى الرسول لأنه بلغه وأدّاه ، فيضاف إلى جبريل تارة وإلى محمد صلى الله عليهما وسلم<sup>(١)</sup> أخرى ، كما قال في آية : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ \* وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الحاقة : ٤٠ - ٤٢] ، فهذا محمد . وقال في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ \* مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [سورة التكاوير : ١٩ - ٢١] ، فهذا جبريل .

وأما جمهور العلماء من أهل الفقه والحديث والتصوف والكلام فطردوا الدليل وأثبتوا لله صفات فعلية تقوم بذاته ، وهذا هو المعلوم الذي دلّ عليه العقل واللغة والشرع .

فالناس ثلاث مراتب : منهم من نفى قيام الصفات والأفعال به كالمعتزلة ؛ والناس في مسألة الصفات ثلاث مراتب  
ومنهم من أثبت قيام الصفات به دون الأفعال كالكلابية<sup>(٢)</sup> ؛ ومنهم من أقرّ بقيام الصفات والأفعال وهم جمهور الأمة ، كما ذكرته الحنفية في كتبهم ، وكما ذكره

(١) ك : صلى الله عليه وسلم .

(٢) أنبأ أبو محمد عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب ( يضم الكاف وتشديد اللام ) القطان التوفيق بعد سنة ٢٤٠ بقليل . قال عنه ابن حزم إنه شيخ قديم للأشعرية . انظر عنه وعن مذهبه : لسان الميزان ٣ / ٢٩٠ - ٢٩١ ؛ طبقات الشافعية ٢ / ٥١ ؛ الفهرست لابن النديم ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ؛ مقالات الإسلاميين ١ / ٣٢٥ ، ٢ / ٥٢ ، ٥٤ ، ١١٨ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٤٥ ؛ الخطط للمقرئ ٢ / ٣٥٨ ، ٣٥٩ ؛ نهاية الإقدام ١٨١ ، ٣٠٣ ؛ الملل والنحل ١ / ٨٥ ؛ أصول الدين ، ص ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ٢٢٢ ، ٢٥٤ ؛ الفصل لابن حزم ٢ / ١٢٣ ، ٤ / ٢٠٨ ؛ البدء والتاريخ ٥ / ١٥٠ .

س ٤٦ البغوى<sup>(١)</sup> وغيره من أصحاب الشافعى عن أهل السنة ، وكما ذكره أبو إسحاق ابن شاقلا<sup>(٢)</sup> ، وأبو عبد الله بن حامد<sup>(٣)</sup> ، والقاضى أبو يعلى فى آخره قوليه / وابنه أبو الحسين<sup>(٤)</sup> ، وغيرهم<sup>(٥)</sup> من أصحاب أحمد ، وذكره أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذى عن الصوفية فى كتاب « التعرف فى مذاهب التصوف »<sup>(٦)</sup> ، وذكره من ذكره من أئمة المالكية ، وذهب إليه طوائف من أهل الكلام من المرجئة<sup>(٧)</sup> ،

(١) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوى المعروف بالفراء ، الفقيه الشافعى المحدث المفسر توفى سنة ٥١٠ . انظر ترجمته فى : طبقات الشافعية ٤ / ٢١٤ - ٢١٧ ؛ وفيات الأعيان ١ / ٤٠٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٥٧ ؛ الأعلام للزركلى ٢ / ٢٨٤ .  
(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا البزار من فقهاء الحنابلة ومن المحدثين ، توفى سنة ٣٦٩ عن أربع وخمسين سنة . انظر ترجمته فى : طبقات الحنابلة ٢ / ١٢٨ - ١٣٩ ؛ البر للذهبي ٢ / ٣٥١ .  
(٣) أبو عبد الله الحسن بن حامد بن على بن مروان البغدادى ، إمام الحنابلة فى زمانه ، من مصنفاته « الجامع » فى مذهب الحنابلة ، و « شرح الحرق » ، توفى سنة ٤٠٣ . انظر ترجمته فى : طبقات الحنابلة ٢ / ١٧١ - ١٧٧ ؛ المنتظم لابن الجوزى ٧ / ٢٦٣ - ٢٦٤ ؛ مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ، ص ٥١٩ ؛ التجوم الزاهرة ٤ / ٢٣٢ ؛ الأعلام ٢ / ٢٠١ .  
(٤) أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن محمد المعروف بابن أبي يعلى وبابن الفراء ، صاحب كتاب « طبقات الحنابلة » ومن فقهاء الحنابلة وعلمائهم . ولد سنة ٤٥١ وتوفى سنة ٥٢٦ . انظر ترجمته فى : الذيل لابن رجب ١ / ١٧٦ - ١٧٨ ؛ الوافى بالوفيات ١ / ١٥٩ ؛ مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ، ص ٥٢٩ ؛ شذرات الذهب ٤ / ٧٩ ؛ الأعلام ٧ / ٢٤٩ .  
(٥) ك ، ع : وغيرها .

(٦) انظر ما ذكره أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذى ( المتوفى سنة ٣٨٠ ) فى « التعرف لمذهب أهل التصوف » ، ص ٣٥ - ٣٧ ط . عيسى الحلي ، ١٣٨٠ / ١٩٦٠ .  
(٧) المرجئة هم الذين كانوا يؤخرون العمل عن الإيمان ، بمعنى أنهم كانوا يجملون مدار الإيمان على المعرفة بالله والمحبة له والإقرار بوحدايته ، ولا يجملون هذا الإيمان مرتبطاً بالعمل . وأكثر المرجئة يرون أن الإيمان لا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص ، وبعضهم يقول إن أهل القبلة لن يدخلوا النار مهما ارتكبوا من المعاصي . انظر ما سبق أن ذكرته فى شرح معنى « الإرجاء » ص ١١٢ ؛ وإنظر : مقالات الإسلاميين ١ / ١٩٧ - ٢١٥ ؛ اللئى والنحل ١ / ١٢٥ - ١٣٠ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٢٢ - ١٢٥ ؛ الفصل لابن حزم ٤ / ٢٠٤ - ٢٠٥ ؛ التبصير فى الدين ، ص ٥٩ - ٦١ ؛ الحور العين ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ؛ البدء والتاريخ ٥ / ١٤٤ - ١٤٦ ؛ الخطط للمقريزى ٢ / ٣٤٩ - ٣٥٠ .

والشيعة والكرامية ، <sup>(١)</sup> وذهب إليه جمهور أهل الحديث .

والمقصود هنا أن الجهمية من المعتزلة ونحوهم الذين قالوا : القرآن مخلوق - مقالة أهل السنة في كلام الله  
وقد عُرف مقالات السلف في تكفيرهم وتضليلهم - هم خيرٌ قولاً من أصحاب  
هذا القول المذكور في السؤال القائلين : « إذا فاض من مكنونات علمه على قلب  
أحد من الناس بأسرار إلهيته ، ودقائق جبروت ربوبيته يُقال : متكلم » ، فإن  
هذا قول من لا يجعل لله كلاماً قائماً به <sup>(٢)</sup> ، كما يقوله الذين يقولون : إنه خلق  
كلاماً بائناً منه ، وقد قال الإمام أحمد : « كلام الله من الله ، ليس بائناً منه » <sup>(٣)</sup>  
والقرآن الذي أنزله هو كلامه لا كلام غيره ، إذ الكلام كلام من قاله <sup>(٤)</sup> مبتدئاً  
لا كلام من قاله <sup>(٥)</sup> مبلّغاً مؤدياً .

(١) الكرامية هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام بن عراق بن حزبه الجستانی المتوفى  
سنة ٢٥٥ ، وهم يوافقون السلف في إثبات الصفات ، ولكنهم يبالغون في ذلك إلى حد التشبيه  
والتجسيم ، وكذلك هم يوافقون السلف في إثبات القدر والقول بالحكمة ، ولكنهم يوافقون  
المعتزلة في وجوب معرفة الله تعالى بالعقل وفي الحسن والقبح العقليين ، وهم يعدون من المرجئة  
لقولهم بأن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب . انظر عن ابن كرام والكرامية :  
لسان اليزان ٥ / ٣٥٣ - ٣٥٦ ؛ ميزان الاعتدال ٤ / ٢١ - ٢٢ ؛ شذرات الذهب  
٢ / ١٢١ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٥٣٦ تاريخ بغداد ٤ / ١١٨ ؛ الباب لابن الأثير  
٣ / ٣٢ ؛ الأعلام ٧ / ٢٣٦ ؛ مقالات الإسلاميين ١ / ٢٠٥ ؛ الفصل لابن حزم ٤ / ٤٥ ،  
٢٠٤ ، ٢٠٥ ؛ الملل والنحل ١ / ٩٩ - ١٠٤ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٣٠ - ١٣٧ ؛  
التبصير في الدين ، ص ٦٥ - ٧٠ ؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ، ص ٦٧ ؛  
البدء والتاريخ ٥ / ١٤١ ؛ الخطط للمقرئ ٢ / ٣٤٩ ، ٣٥٧ ؛ Tritton (A. S.)  
Muslim Theology, pp. 108 - 112, London, 1947.

(٢) في النسختين : كلاماً لا قائماً به ... ، ورجحت أن يكون الصواب ما أثبتته ، أو  
تكون العبارة : فإن هذا قول من يجعل لله كلاماً لا قائماً به .

(٣) في ترجمة الإمام أحمد في « تاريخ الإسلام للذهبي » (مقدمة المسند ، ط . المعارف،  
ص ٧٩) : « وقال الخلال : أخبرني محمد بن سليمان الجوهري حدثنا عبدوس بن مالك  
الطمار سمعت أحمد بن حنبل يقول : ... والقرآن كلام الله غير مخلوق ، وإنه من الله ليس  
ببائن منه ... » .

(٤ - ٥) : ساقط من (ك) .

ولهذا قال السلف والأئمة : « القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود » . فقولهم : « منه بدأ » نهبوا به على مخالفة الجهمية الذين قالوا : إنه خلقه في غيره منفصلاً عنه ، فقال أهل السنة : « منه بدأ » : لم يبتدى من غيره من الموجودات ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [سورة النمل : ٦] ، وقال : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [سورة السجدة : ١٣] ، وقال : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [سورة مود : ١] ، ولا نجعل لله كلاماً مخلوقاً في غيره منفصلاً عنه ، كما قالته <sup>(١)</sup> المعتزلة ونحوهم من الجهمية .

فإن هؤلاء وإن كان قولهم من أعظم القول فريّةً وضلالاً ، فهو أقل كفرًا وضلالاً من قول أهل القول المستول عنه القائلين : « إذا فاض من مكنون علمه على قلب أحد من الناس » ، فإن هؤلاء لم يحملوه متكلماً إلا بما جعله في القلوب من العلم .

وهذا في الأصل قول المتفلسفة والصابئة ونحوهم ، الذين لا يجعلون لله كلاماً إلا ما أفاضه على قلوب العباد من العلوم والمعارف ، ويجعلون تكليمه للعباد نوع تعريف يعرفهم به الأمور ، ويقولون : إنه تتشكل في نفس الشيء أشكال نورانية - هي ملائكة الله عندهم - وأصوات قائمة بنفسه ، هي كلام الله عندهم ، ويزعمون أن تكليم الله لموسى هو من هذا الباب ، إنما هو فيض فاض عليه من العقل الفعّال أو من غيره ، وقد يجعلون العقل الفعّال هو جبريل ، وليس التكليم عندهم مختصاً <sup>(٢)</sup> بأحد ، ولكنه يفيض بحسب استعداد النفوس <sup>(٣)</sup> .

مقالة الفلاسفة  
في كلام الله

(١) ك : كما قالت .

(٢) في النسختين : مختص ، وهو خطأ .

(٣) انظر مصداق كلام ابن تيمية عن الفلاسفة في مؤلفات ابن سينا : رسالة في القوى الإنسانية ، ص ٦٦ - ٧٠ ؛ الإشارات والتنبيهات ٤ / ٨٦١ - ٨٩٠ ؛ الشفاء ( النفس ) ١ / ١٦٣ - ١٧٧ ؛ الرسالة العرشية ، ص ١٥ - ١٦ ؛ النجاة ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

وعلى قولهم : فجميع الخلق يكلمهم تكليماً كما كلم موسى ، وكل كلام صادق تكلم به ذو نفس صافية فهو كلام الله كما أن القرآن كلام الله ، فيلزمهم أن كل ما تكلم به الأنبياء فمن دونهم من الخبر الصادق والأمر بالخير هو كلام الله ، وأن ذلك كله من نوع القرآن ، وأن يكون القرآن كلام البشر ، ولا فرق عندهم بين قول البشر وقول الله ، بل يلزمهم أن جميع ما يتكلم به البشر كلام الله ، من أجل أن ذلك يفيض على قلوب البشر ، حتى الكذب والكفر ، فإن جهة الإفاضة واحدة في الجميع ، / وكل ما يلزم القائلين بأن القرآن مخلوق يلزم هؤلاء وزيادة ، فإن أولئك يجعلونه مخلوقاً خارجاً عن نفس النبي ، وهؤلاء لا <sup>(١)</sup> يجعلون له محلاً إلا نفس النبي .

ظ ٤٦

متابعة الغزالي  
للفلاسفة

وهذا القول هو قول المتفلسفة ، ووقع فيه طوائف من المنتسبين إلى الملل من اليهود والنصارى ، ومن المنتسبين إلى المسلمين ممن خلط الفلسفة بالتصوف ، مثل أهل الكلام المستول عنه وأمثاله ، ومثل ما وقع لأبي حامد في كتاب «المنظون به على غير أهله» الأول والثاني ، ونحو ذلك من المصنفات مثل «مشكاة الأنوار» و «مسائل النفخ والتسوية» و «كيمياء السعادة» و «جواهر القرآن» <sup>(٢)</sup> ،

(١) لا : ساقطة من (ع) .

(٢) يشير ابن تيمية هنا إلى رسائل عدة للغزالي منها «المنظون به على غير أهله» والمنظون الثاني ويسمى «المنظون الصغير» أو «الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية» وطبعا ضمن مجموعة بالمطبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣٠٩ . وطبعا أخيراً ضمن مجموعة «التصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي» ، مكتبة الجندى ، القاهرة ، بدون تاريخ . وأما مشكاة الأنوار فطبع مراراً وآخر الطباعات هي طبعة الدار القومية ، ١٣٨٣ / ١٩٦٤ بتحقيق الدكتور أبي العلا عفيف . وطبع «كيمياء السعادة» أيضاً ضمن مجموعة ، ط . مكتبة الجندى ، بدون تاريخ . وأما «جواهر القرآن» فطبع بالمكتبة التجارية أكثر من مرة ، منها ط . سنة ١٣٥٢ / ١٩٣٣ . وأما «مسائل النفخ والتسوية» فهي نفس رسالة «المنظون الصغير» (انظر : مؤلفات الغزالي للدكتور عبد الرحمن بدوي ، ص ٣١٨-٣١٩ ، ط . المجلس الأعلى للفنون والآداب ، ١٩٦٠) .

وانظر ما سيذكره ابن تيمية بعد صفحات ، ص ١٦٨ - ١٧٠ . وانظر مثلاً : رسالة المنظون به على غير أهله ، ص ٣٢٠ ، وانظر أيضاً رسالة «السبعينية» لابن تيمية ، ضمن المجلد الخامس من مجموعة فتاوى ابن تيمية ، ط . الكردي ، القاهرة ، ١٣٢٩ .

وما يشير إليه أحياناً في « الإحياء » وغيره ، فإنه كثيراً ما يقع في كلامه ما هو مأخوذ من كلام الفلاسفة ويخلطه بكلام الصوفية أو عباراتهم ، فيقع فيه كثير من المتصوفة الذين لا يميزون بين حقيقة دين الإسلام وبين ما يخالفه من الفلسفة الفاسدة وغيرها ، لا سيما إذا بُني على ذلك وأتبعَت لوازمه ، فإنه يفضي إلى قول ابن سبعين وابن عربي صاحب « الفصوص » وأمثالهما ممن يقول بمثل هذا الكلام ، وحقيقة مذهبهم يؤول إلى التمثيل المحض ، وأنه ليس للمالم ربّ مباين له ، بل الخالق هو المخلوق ، والمخلوق هو الخالق .

مقالة ابن عربي في الفصوص  
كما قال صاحب « الفصوص » <sup>(١)</sup> : « ومن أسمائه الحسنى : العلى ؛ عَلَى مَنْ وما تَمَّ إلا هو <sup>(٢)</sup> ؟ أو عن ماذا وما هو إلا هو ؟ ! فملّوه لنفسه ، وهو من حيث الوجود عين الموجودات ، فالسَّيِّ محدثات هي العَلِيَّة لذاتها وليست إلا هو » .

إلى أن قال <sup>(٣)</sup> : « فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، فهو عين ما ظهر ، وهو عين ما بطن في حال ظهوره ، وما تَمَّ من يراه غيره ، وما تَمَّ يَبْطُنُ عنه سواه <sup>(٤)</sup> ، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه ، وهو المسَّي أبو سعيد الخراز <sup>(٥)</sup> وغير ذلك من أسماء المحدثات » .

إلى أن قال <sup>(٦)</sup> : « ومن عرف ما قررناه في الأعداد ، وأن نفيا عين

(١) في فصوص الحكم ٧٦/١ ، وسنقابل ما ذكره ابن تيمية هنا عليه .

(٢) في الفصوص بعد هذا الكلام توجد عبارة ليست في النسختين وهي : « فهو الملى

لذاته » .

(٣) في الفصوص ٧٧/١ . وسبق أن نقلت نص الفصوص فيما تقدم ( ص ١٠٥ ) .

(٤) كلمة « سواه » ليست في الفصوص .

(٥) في الفصوص : أبو سعيد الخراز . وأشار الدكتور أبو الملا عفيفي إلى أنها في نسخة

أخرى : « أبو سعيد الخراز » .

(٦) في الفصوص ٧٨/١ .



إثباتها<sup>(١)</sup> ، علم أن الأمر الخالق المخلوق ، وأن الأمر المخلوق الخالق ، كل ذلك من عين واحدة ، لا بل هو العين الواحدة ، وهو العيون الكثيرة : ﴿ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا آيَاتُ أَقْبَلْ مَا تُمَرُّ ﴾ [سورة الصافات: ١٠٢] قالولد<sup>(٢)</sup> عين أبيه ، فما رأى يذبح سوى نفسه ، وفداه بذبح عظيم<sup>(٣)</sup> ، فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة إنسان ، وظهر بصورة ولد<sup>(٤)</sup> من هو عين الوالد ، ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [سورة النساء: ١] ، فما نكح سوى نفسه .

إلى أن قال<sup>(٥)</sup> : « فالعلو لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية<sup>(٦)</sup> سواء كانت محمودة عُرفاً وعقلاً وشرعاً ، أو مذمومة عُرفاً وعقلاً وشرعاً ، وليس ذلك لأحد إلا لسمى الله خاصة<sup>(٧)</sup> » .

وقال<sup>(٨)</sup> : « ألا ترى الحق<sup>(٩)</sup> يظهر بصفات المحدثات ، وأخبر بذلك عن نفسه ، وبصفات النقص والذم<sup>(١٠)</sup> ؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها/ إلى آخرها ، فكلها<sup>(١١)</sup> حق له ، كما هي صفات المحدثات حق للحق » .

(١) في الفصوص بعد ذلك : « علم أن الحق المتزه هو الخلق المشبه ، وإن كان قد تميز الخلق من الخالق . فالأمر الخالق المخلوق ... الخ » .

(٢) في الفصوص : والولد .

(٣) الإشارة هنا إلى قوله تعالى : ﴿ وَقَدَّيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة الصافات: ١٠٧]

(٤) في الفصوص هذه الزيادة : « بل بحكم ولد » .

(٥) في الفصوص ١ / ٧٩ .

(٦) في الفصوص بعد ذلك : « بحيث لا يمكن أن يغوته نمت منها ، وسواء كانت الخ » .

(٧) في الفصوص : « وليس ذلك إلا لسمى الله تعالى خاصة » .

(٨) في الفصوص ١ / ٨٠ - ٨١ .

(٩) في ( ك ) ، ( ع ) : لا يرى الحق ، والمثبت من « الفصوص » ١ / ٨٠ .

(١٠) والذم : كذا في النسختين ، وفي الفصوص : وبصفات الذم .

(١١) في الفصوص : وكلها .

وقال أيضاً <sup>(١)</sup> : ﴿ وَمَكْرُوهًا كَبِيرًا ﴾ ، [ سورة نوح : ٢٢ ]  
 لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو ، لأنه ما عَدِمَ إلى <sup>(٢)</sup> البداية فيُدعى إلى النهاية ،  
 ادعوا إلى الله <sup>(٣)</sup> ، فهذا عين المكر .

إلى أن قال <sup>(٤)</sup> : « فقالوا في مكروهم : ﴿ لَا تَذَرُنْ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنْ  
 وَدًّا ﴾ » [ سورة نوح : ٢٣ ] ، فإنهم لو تركوهم تركوا من الحق على قدر  
 ما تركوا من صفات هؤلاء <sup>(٥)</sup> ، فإن للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من عرفه  
 ويجهله من جهله <sup>(٦)</sup> ، كما قال في الحمدين <sup>(٧)</sup> : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا  
 إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [ سورة الإسراء : ٢٣ ] ، أى حَكَمَ ، فالعالم يعلم من عُبِدَ ، وفى أى  
 صورة ظهر حتى عبد ، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء فى الصورة المحسوسة ،  
 وكالقوى المعنوية فى الصورة الروحانية ، فما عُبِدَ غير الله فى كل معبود .

وقال أيضاً <sup>(٨)</sup> : « فكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده  
 أصحاب المجل ، لعلمه بأن الله قد قضى أَلَّا يُعْبَدَ <sup>(٩)</sup> إِلَّا إِيَّاه ، وما حكم الله  
 بشيء إلا وقع . فكان عيب <sup>(١٠)</sup> موسى أخاه هارون لِمَا وقع من إنكاره <sup>(١١)</sup> »

(١) فى الفصوص ١ / ٧١ - ٧٢ .

(٢) إلى : كذا فى النسختين ، وفى الفصوص : من

(٣) فى الفصوص : ادعوا الله .

(٤) فى الفصوص : ١ / ٧٢ .

(٥) فى الفصوص : ذكرت الآية إلى آخرها .

(٦) فى الفصوص : « فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء » .

(٧) فى الفصوص : « يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله » .

(٨) فى الفصوص : « الحمدين » .

(٩) فى الفصوص ١ / ١٩٢ .

(١٠) ك : أَلَّا تَعْبُدُوا . والثبت فى ( ع ) وفى الفصوص .

(١١) الفصوص : عتب .

(١٢) الفصوص : لما وقع الأمر فى إنكاره .

وعدم اتساعه ، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء . »

وقال أيضاً <sup>(١)</sup> : « ولما كان فرعون في مرتبة التحكم <sup>(٢)</sup> ، وأنه الخليفة بالسيف - وإن جار في العرف الناموسى - لذلك <sup>(٣)</sup> قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ [ سورة التازمات : ٢٤ ] ، أى وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما ، فأنا الأعلى منهم بما أُعْطِيَتْهُ في الظاهر من الحكم <sup>(٤)</sup> فيكم . ولما علمت السحرة صدقه فيما قال <sup>(٥)</sup> لم ينكروه وأقروا له بذلك ، وقالوا له <sup>(٦)</sup> : إنما تقضى هذه الحياة الدنيا فاقض ما أنت قاض <sup>(٧)</sup> ، فالدولة لك . فصيح قوله : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ . »

إلى أمثال ذلك من هذا الكلام الذى يسميه أصحابه مذهب الوحدة ويقولون : إن الوجود واحد ، كما يقوله ابن عربى صاحب « الفتوحات » وابن سبعين وابن الفارض والتلمسانى وأمثالهم - عليهم من الله ما يستحقونه - فإنهم لا يحملون للخالق سبحانه وجوداً مباحيناً لوجود المخلوق ، وهو جامع كل شرف فى العالم . ومبدأ ضلالهم من حيث لم يثبتوا للخالق وجوداً مباحيناً لوجود المخلوق ، وهم يأخذون من كلام الفلاسفة شيئاً ، ومن الكلام الفاسد من كلام المتصوفة والمتكلمين شيئاً ، ومن كلام القرامطة والباطنية شيئاً ، فيطوفون على أبواب المذاهب ، ويفوزون بأخس المطالب ، ويننون على ما يذكر من

(١) فى الفصوص ١/ ٢١٠ - ٢١١ .

(٢) الفصوص : « فى منصب التحكم صاحب الوقت » .

(٣) ع ( فقط ) : كذلك .

(٤) الفصوص : التحكم .

(٥) الفصوص : فى مقاله .

(٦) الفصوص : فقالوا له .

(٧) إشارة إلى آية ٧٢ من سورة طه .

تأثر النزالي  
بإخوان الصفا  
وأمثالهم

التصوف المخلوط بالفلسفة ، كما يوجد في كلام أبي حامد ونحوه مما هو مأخوذ من رسائل إخوان الصفا وأمثالهم ، ممن يريد أن يجمع بين ما جاءت به الكتب الإلهية والرسل المبلفون عن الله عز وجل وما تقوله الصابئة المتفلسفون في العلم الإلهي ، فيذكرون أحاديث موضوعة ، وربما حرقفوا لفظها ، كما يذكرون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ، فأقبل ، فقال له : أدبر ، فأدبر ، فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً / أكرم على منك ، فيك آخذ وبك أعطى ، وبك الثواب وبك العقاب .

ط ٤٧

وهذا الحديث موضوع على النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، ولنظة : أول ما خلق الله العقل قال له : أقبل ، فأقبل . وروى : لما خلق الله العقل قال له : أقبل ، فأقبل<sup>(١)</sup> . فعنه أنه خاطبه في أول أوقات خلقه ، فغيروا لفظه وقالوا : أول ما خلق الله العقل ، ليوافق ذلك<sup>(٢)</sup> مذهب المشائين من المتفلسفة أتباع أرسطو القائلين : أول الصادرات عنه العقل .

(١) ذكر السيوطي في « الآلية المصنوعة » ١ / ١٢٩ - ١٣٠ عدة روايات لهذا الحديث وبين اتفاق العلماء على أنها موضوعة . وكذلك اتفق أكثر العلماء على أن الأحاديث الواردة في فضل العقل كلها موضوعة أو ضعيفة وأن داود بن الحبر أخرجها في كتاب العقل ونقلها عنه غيره ، وداود هذا كذاب . انظر المقاصد الحسنة للسخاوي ، ص ١١٨ ، ١٣٤ ، الموضوعات لعلي القاري ، ص ٢٧ ، ٣٠ ؛ تذكرة الموضوعات للفتني ، ص ٢٩ - ٣٠ ؛ تنزيه الشريعة لابن عراق ١ / ٢١٣ ؛ كشف الحفاء للعلواني ١ / ٢٣٦ - ٢٣٧ ، ٢٦٣ ، الفوائد المجموعة للشوكاني ، ص ٤٤٧٦ ؛ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ١ / ١١ ( ط . دمشق ، ١٣٧٩ / ١٩٥٩ ) .

وتكلم الذهبي في ميزان الاعتدال ٢ / ٢٠ عن داود بن الحبر فقال : « داود بن الحبر ابن قحزم ، أبو سليمان البصري ، صاحب « العقل » ولبته لم يصنفه .. قال أحمد : لا يدرى ما الحديث ؟ وقال ابن المديني : ذهب حديثه ، وقال أبو زرعة وغيره : ضعيف ، وقال أبو حاتم : ذاهب الحديث غير ثقة ، وقال الدارقطني : متروك .

(٢) ذلك : ساقطة من (ك) .

وقد بسطنا الكلام في بيان فساد ذلك شرعاً وعقلاً ، وبيننا أن بين هؤلاء وبين الرسل من البينة أعظم مما بين اليهود والنصارى وبين المسلمين ، وأن اليهود والنصارى إذا لم يتفلسفوا كانوا أقرب إلى الحق من هؤلاء ، فإن تفلسف اليهودى والنصرانى كان كفره من جهتين .

وهذه الكتب المضافة إلى أبى حامد ، مثل الكتابين المضمون بهما على غير أهلها وأمثالهما ، مازال أئمة الدين ينكرون ما فيها من الباطل المخالف للكتاب والسنة . ثم من الناس من يكذب نسبة هذه الكتب إليه ، ومنهم من يقول — وهو أشبه — رجع عن ذلك ، كما ذكر في كتب أخرى ذم الفلاسفة وتكفيرهم . وذكر عبد الغافر الفارسى في « تاريخ نيسابور »<sup>(١)</sup> أنه استقر أمره على مطالعة البخارى ومسلم ، فكان آخر أمره الرجوع إلى الحديث والسنة<sup>(٢)</sup> ، والله أعلم .

كلام الفزالي في كتاب المضمون

فهذا الكلام المذكور في السؤال يوجد نحوه في مثل هذه الكتب التي يحطها أهلها من كتب الحقائق والأسرار ، كما قال صاحب كتاب « المضمون »<sup>(٣)</sup> : « (فصل) : يتخيل بعض الناس كثرة في ذات الله تعالى من طريق تعدد الصفات ، وقد صح قول من قال في الصفات : لا هي هو ولا غيره<sup>(٤)</sup> »

(١) أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسى ، فارسى الأصل من أهل نيسابور ، ولد سنة ٤٥١ هـ وتوفى سنة ٥٢٩ هـ . قال الذهبي : صاحب « تاريخ نيسابور » ... وكان إماماً في الحديث والفتنة والأدب والبلاغة ، عاش ثمانية وسبعين سنة وأكثر الأسفار . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٢ / ٣٩١ - ٣٩٢ ؛ المعجم للذهبي ٤ / ٧٩ ؛ الأعلام ٤ / ١٥٧ .

(٢) يقول عبد الغافر « وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ومجالسة أهله ، ومطالعة الصحيحين البخارى ومسلم » . ونقل كلامه السيوطى في طبعاته ٤ / ١٠٩ .  
(٣) في كتاب « المضمون به على غير أهلها » ، ص ٣١١ ، ط . الجنيدى (مجموعة القصص العوالى) .

(٤) في « المضمون » : لا هو ولا غيره .

وهذا التخيل يقع من توهم التغاير، ولا تغاير في الصفات . مثال ذلك : أن إنساناً تعلم صورة الكتابة ، وله علم بصورة « بسم الله » التي تظهر تلك الصورة على القرطاس ، وهذه صفة واحدة ، وكما لها أن يكون المعلوم تبعاً لها ، فإنه إذا حصل العلم بتلك الكتابة ظهرت الصورة على القرطاس بلا حركة يد وواسطة قلم ومداد .

فهذه الصفة من حيث إن المعلوم انكشف بها يقال له : علم ، ومن حيث إن الألفاظ تدل عليها يقال لها : كلام<sup>(١)</sup> ، فإن الكلام عبارة عن مدلول العبارات ، ومن حيث إن وجود المعلوم تبع لها يقال لها : القدرة ، ولا تغاير ههنا بين العلم والقدرة والكلام ، فإن هذه صفة واحدة في نفسها ، ولا تكون هذه الاعتبارات الثلاث واحدة .

وكل من كان أعور لا ينظر إلا بالمعين الموراء ولا يرى إلا مطلق الصفة فيقول : هو هو ، وإذا التفت إلى الاعتبارات الثلاث يقال<sup>(٢)</sup> : هي غيره ، ومن اعتبر مطلق الصفة مع الاعتبارات فقد نظر بعينين صحيحتين : / اعتقد أنها لاهو ولا غيره .

ص ٤٨

والكلام في صفات الله تعالى ، وإن كان مناسباً لهذا المثال ، فإنه مبين له بوجه آخر . وتفهم هذه المعاني بالكتابة غير يسير<sup>(٣)</sup> .

فهذا الكلام من جنس الكلام المذكور في السؤال ، وكلاهما يرجع إلى ما تزعمه المتفلسفة من أن الصفات ترجع إلى العلم إذا أثبتوه .

وقد يقرب من هؤلاء ابن حزم حيث رد الكلام والسمع والبصر وغير

مقالة ابن حزم

(١) ك : يقال لها الكلام ؛ المضمون : يقال لها القدرة كلام ؛ والثبت عن ( ع ) .

(٢) المضمون : فقال .

(٣) المضمون : عسير غير يسير .

ذلك إلى العلم<sup>(١)</sup> مع أنه لا يثبت صفة لله هي العلم ، ويجعل أسماء الحسنى إنما هي أعلام محضة ، فالحي والمالم والقادر والسميع والبصير ونحوه كلها أسماء أعلام لاتدل على الحياة والعلم والقدرة<sup>(٢)</sup> .

وهذا يؤول إلى قول القرامطة الباطنية ونحوهم نفاة أسماء الله تعالى الذين الرد على النفاة يقولون : لا يقال : حي ولا عالم ولا قادر ؛ وهذا كله من الإلحاد في أسماء الله وآياته . قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [ سورة الأعراف : ١٨٠ ] .

وإذا كان من الإلحاد إنكار اسمه « الرحمن » كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ [ سورة الفرقان : ٦٠ ] ، وقال : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [ سورة الإسراء : ١١٠ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [ سورة الرعد : ٣٠ ] إلى غير ذلك .

(١) يقول ابن حزم في « الفصل » ٢ / ١٢٤ : « ونحن نقول أنه تعالى لم يزل سميماً للمسموعات بصيراً بالبصرات يرى المراتب ويسمع المسموعات ، ومعنى هذا كله أنه عالم بكل ذلك ، كما قال تعالى : ( لاني ممكنا أسمع وأرى ) ، وهذا كله معنى العلم الذي لا يقتضى وجوداً لمعلومات لم يزل ... إلخ » .

(٢) يقول ابن حزم في « الفصل » ٢ / ١٢٨ : « إننا لانفهم من قولنا : قدير وعالم إذا أردنا بذلك الله تعالى ، إلا ما نفهم من قولنا الله فقط ، لأن كل ذلك أسماء أعلام لامشتقة من صفة أصلاً . لكن إذا قلنا : الله تعالى بكل شيء عليم ويعلم الغيب ، فإنما نفهم من كل ذلك أن هاهنا له تعالى معلومات ، وأنه لا يخفى عليه شيء ، ولا يفهم منه ألبتة أن له علماً هو غيره . وهكذا نقول في : يقدر ، وفي ذلك كله » .

وانظر : منهاج السنة ٢ / ٤٦٨ ( ط . دار المروبة ) .

فإذا كان اسمه « الرحمن » قد أنزل فيه ما أنزل فكيف إنكار سائر الأسماء ، ومعلوم أن اللفظ إذا كان علماً محضاً لم ينكره أحد ، ولو كانت أعلاماً لم يفرق بين الرحمن والعليم والقدير .

الرد على النزالي وما ذكره صاحب كتاب « المضمون » مع المتفلسفة من أن العلم بالممكنات هو المقتضى لوجودها معلوم البطلان بأدنى تأمل . فإن العلم نوعان : علم نظري وعلم عملي ، فأما النظري - وهو العلم بما لا يفعله العالم ، كعلم الله بنفسه ، وكعلمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر - فهذا ليس مقتضياً لوجود المعلوم بالضرورة واتفاق العقلاء ، وإن كان قد يكون سبباً لبعض الأعمال .

وأما العلم العملي كعلم الله بمخلوقاته ، وكعلمنا بمفعولاتنا ، فهذا العلم وحده ليس موجباً لوجود المعلوم بلا قدرة ولا إرادة وعمل ، فإننا إذا تصورنا ما نريد فعله لم يكن مجرد تصورنا ما نريده ولم نقدر عليه لم يكن ، وإذا كنا قادرين على ما نتصوره ولا نريده لم يكن ، بل لا بد : علمنا به ، وإرادتنا له ، وقدرتنا عليه .

فلو قال قائل : علم الله ليس كعلمنا .

قيل له : وذات الله ليست كذاتنا ، ولا قدرته وإرادته كقدرتنا وإرادتنا .

وهذا السؤال قد بسط الشيخ الكلام عليه وقد اختصر منه . وقال في وسط الكلام على هذا السؤال :

اثبات ابن تيمية وأهل السنة والجماعة : بل لكل موجود حقيقة تخصه يتميز بها عما سواه ويبين بها غيره . وهذه الحقيقة هي حقيقة الربوبية ، وبنيها<sup>(١)</sup> ضل الجهمية من المعتزلة والفلاسفة

(١) في النسختين : وبفسها ، والصواب ما أثبتته . وانظر قوله : وهي الماهية التي أثبتها .. الخ ، وقوله بعد قليل : وعلى إنباتها أئمة السنة والجماعة .. الخ .



والقراطة والاتحادية وأمثالهم ، وهى الماهية التى أئبتها ضرار وأبو حنيفة وغيرهما من الكوفيين<sup>(١)</sup> ، وخالفهم فى ذلك معتزلة البصرة<sup>(٢)</sup> ، وعلى إثباتها أئمة السنة<sup>(٣)</sup> والجماعة من السلف والخلف ، ولهذا ينفون العلم بماهية الله وكيفيته فيقولون : لا تجرى ماهيته فى مقال ، ولا تخطر كيفيته ببال ؛ ومن نفاها من المنتسبين إلى السنة وغيرهم قال : ليس له ماهية فتجرى فى مقال ، ولا له كيفيه فتخطر ببال .

والأول هو الماثور عن السلف والأئمة ، كما قد بسط الكلام عليه فى غير هذا الموضع ، ويدل عليه صريح العقول وصحيح النقل ، والله سبحانه أعلم .

---

(١) يقول ابن طاهر فى أصول الدين ( ص ٣٣٩ ) عن ضرار بن عمرو : « وافرد بأشياء منها قوله : إن الله يرى بحاسة زائدة يرى بها المؤمنون ماهية الإله ، ووصف الله بالماهية كما قال أبو حنيفة وحفص الفرد » . وانظر أيضاً : الملل والنحل ١/ ٨٢ ؛ مقالات الإسلاميين ٣١٤/ ١ ؛ التبصير فى الدين ، ص ٦٣ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٣٠ ؛ الحور العين ، ص ١٤٨ . وانظر الفصل لابن حزم ١٧٣/ ٢ - ١٧٥ حيث عقد فصلاً بعنوان : الكلام فى المائىة ، قال فى أوله : « ذهب طوائف من المعتزلة إلى أن الله تعالى لا مائىة له ، وذهب أهل السنة وضرار بن عمرو إلى أن الله تعالى مائىة . قال ضرار : لا يعلمها غيره . قال أبو محمد : والذى نقول به - وبالله تعالى التوفيق - أن له مائىة هى لائىته نفسها . الخ » .

(٢) فى « البدء والتاريخ » لطهر بن طاهر المقدسى ١٤٣/ ٥ : « وأما البصريون فإنهم الذين أصلوا هذا المذهب مثل واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وأبى الهذيل بن العلاف وأبى إسحاق النظام » . وانظر « فلسفة المعتزلة » للدكتور ألبير نصرى نادر ١/ ٧ - ١٢ ، ط . الإسكندرية ، ١٩٥٠ .

(٣) فى (ك) : أئمة السلف ؛ وفى (ع) لم يظهر من الكلمة ما بعد حرف السين ، ورجحت أن يكون الصواب ما أئته .



رِسَالَةٌ فِي تَحْقِيقِ مَسْأَلَةِ عِلْمِ اللَّهِ



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله

## ﴿ فصل في مسألة العلم ﴾

الناس المنتسبون إلى الإسلام في علم الله باعتبار تعلقه بالمستقبل على ثلاثة أقوال : في هذه المسألة ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه يعلم المستقبلات بعلم قديم لازم لذاته ، ولا يتجدد له عند وجود المعلومات نعت ولا صفة ، وإنما يتجدد مجرد التعلق بين العلم والمعلوم . وهذا قول طائفة من الصفاتية من الكلّائيين والأشعرية ومن وافقهم من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة ، وهو قول طوائف من المعتزلة وغيرهم من نفاة الصفات ، لكن هؤلاء يقولون : يعلم المستقبلات ، ويتجدد التعلق بين العالم والمعلوم ، لابين العلم والمعلوم .

وقد تنازع الأولون : هل له علم واحد أو علوم متعددة ؟ على قولين . والأول قول الأشعرى وأكثر أصحابه ، والقاضى أبى يعلى وأتباعه ، ونحو هؤلاء . والثاني قول أبى [ سهل ] الصمّلوكي <sup>(١)</sup> .

والقول الثاني : أنه لا يعلم المحدثات إلا بعد حدوثها . وهذا أصل قول الثاني القدرية الذين يقولون : لم يعلم أفعال المباد إلا بعد وجودها ، وأن الأمر أنف :

---

(١) في الأصل : أبى الصمّلوكي . واشتهر من الأشاعرة أبو سهل محمد بن سليمان الصمّلوكي وابنه أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصمّلوكي ، ورجعت أن يكون المقصود هو الأول . ولد سنة ٢٩٦ وتوفى سنة ٣٦٩ ، وكان من فقهاء الشافعية ، عالماً أدبياً مفسراً . انظر ترجمته في : طبقات الشافعية ٢ / ١٦١ - ١٦٤ ؛ وفيات الأعيان ٣ / ٣٤٢ - ٣٤٣ ؛ تبين كذب المفتى ، ص ١٨٣ - ١٨٨ ؛ الواقي بالوفيات ٣ / ١٢٤ ؛ الأعلام ٧ / ٢٠ .

لم يسبق القدر بشقاوة ولا سعادة ، وهم غلاة القدرية الذين حدثوا في زمان ابن عمرو وتبرأ منهم <sup>(١)</sup> . وقد نص الأئمة كمالك والشافعي وأحمد على تكفير قائل هذه المقالة .

لكن القدرية صرّحوا بنفي العلم السابق والقدر الماضي في أفعال العباد المأمور بها والنهي عنها ، وما يتعلق بذلك من الشقاوة والسعادة . ثم منهم من اقتصر على نفي العلم بذلك خاصة ، وقال : إنه قدر الحوادث وعلمها إلا هذا ، لأن الأمر والنهي مع هذا العلم يتناقض عنده ، بخلاف مالا أمر فيه ولا نهى .

ومنهم من قال ذلك في عموم المقدرات ، وقد حكي نحوه هذا القول عن عمرو بن عبيد <sup>(٢)</sup> وأمثاله . وقد قيل : إنه رجع عن ذلك قبل إنكاره لأن تكون ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [سورة السد : ١] ، و ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ ﴾

(١) يشير ابن تيمية إلى مقدمة حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه مسلم في أول كتاب الإيمان من صحيحه ٢٨ / ١ ولفظه : « عن يحيى بن يمر قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهنى ، فانطلقت أنا وحيد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتفته أنا وصاحبي ، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ؟ فظننت أن صاحبي سيكلم الكلام لي ، فقلت : أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتفقرون العلم - وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف . قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني برىء منهم وأنهم براء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر » .

قال ابن الأثير في « جامع الأصول » ١ / ١٢٨ أن الحديث رواه مسلم والنسائي والترمذي وأبو داود وذكر رواياته المختلفة ١ / ١٢٨ - ١٣٦ .

(٢) أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب مولى آل عرادة بن يربوع بن مالك ، وكان من سبي كابل . ولد سنة ٨٠ وعاش في البصرة وصاحب واصل بن عطاء وتزوج أخته وصار من أئمة المعتزلة ، وكانت وفاته سنة ١٤٤ . انظر ترجمته ومقالته في : وفيات الأعيان ٣ / ١٣٠ - ١٣٣ ؛ النية والأمل لابن المرتضى ، ص ٢٢ - ٢٤ ؛ شذرات الذهب ١ / ٢١٠ - ٢١١ ؛ تاريخ بغداد ١٢ / ١٦٦ - ١٨٨ ؛ مروج الذهب للمسعودي ٣ / ٣١٤ ؛ المحور العين ، ص ١١١ - ١١٢ ؛ ميزان الاعتدال ٣ / ٢٧٣ - ٢٨٠ ؛ الأعلام ٥ / ٢٥٢ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ٧٢ - ٧٣ ؛ التبصير في الدين ، ص ٤٢ .

وَحِيداً» [سورة المدثر: ١١] ، ونحو ذلك في اللوح المحفوظ ، وأمثال ذلك .

الثالث

والقول الثالث : أنه يعلمها قبل حدوثها ، ويعلمها بعلم آخر حين وجودها . وهذا قد حكاه المتكلمون كآبي المعالي عن جهم ، فقالوا : إنه ذهب إلى إثبات علوم حادثة لله تعالى ، وقال : الباريء عالم لنفسه ، وقد كان في الأزل عالماً بنفسه وبما سيكون ، فإذا خلق العالم ، وتجددت المعلومات - أحدث لنفسه علوماً بها يعلم المعلومات الحادثة ، ثم العلوم تتعاقب حسب تعاقب المعلومات في وقوعها متقدمة عليها ، أي العلوم متقدمة على الحوادث . وذكروا أنه قال : إنها في غير محل ، نظير ما قالت المعتزلة / البصرية في الإرادة<sup>(١)</sup> .

ص ٢٤٣

وهذا القول ، وإن كان قد احتجَّ عليه بما في القرآن من قوله : ﴿ لَيَعْلَمَ ﴾ فتلك النصوص لا تدل على هذا القول .

فإن هذا القول مضمونه تجدد علم قبل الحدوث ، والذي في القرآن إنما ذكروا دلالاته على ما بعد الوجود ، وهذان قولان متغايران . وإنما يحتج عليه بمثل قوله في حديث : أبرص وأقرع وأعمى : « بدا لله أن يبتليهم »<sup>(٢)</sup> . وليس

(١) قال أبو المعالي الجويني في كتابه « الإرشاد » ص ٩٦ ( ط . الخانجي ١٣٦٩ / ١٩٥٠ ) : « ذهب جهم إلى إثبات علوم حادثة للرب ، تعالى عن قول البطلين ، وزعم أن المعلومات إذا تجددت أحدث الباري سبحانه وتعالى علوماً متجددة بها يعلم المعلومات الحادثة ، ثم العلوم تتعاقب حسب تعاقب المعلومات في وقوعها متقدمة عليها . . . وسبيل الرد عليه في مدارك العقل يداني سبيل الرد على البصريين في اعتقادهم الإرادات الحادثة الثابتة - على زعمهم - لله تعالى في غير محال » .

وانظر : نهاية الإقدام للشهرستاني ، ص ٢١٥ .

(٢) الحديث متفق عليه عن أبي هريرة رضي عنه ، وهو في البخاري ٤ / ١٧١ - ١٧٢ ( كتاب الأنبياء ، حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل ) وأوله : « . . . أخبرني عبد الرحمن بن أبي عمرة أن أبا هريرة رضي الله عنه حدثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله أن يبتليهم فبعت إليهم ملكاً . . . الحديث » . وهو في مسلم ٨ / ٢١٣ - ٢١٤ ( أول كتاب الزهد والرقائق ) وفيه : « . . . فأراد أن يبتليهم . . . » .

هذا بدءاً<sup>(١)</sup> يخالف العلم القديم ، كما قاله بعض غلاة الرافضة<sup>(٢)</sup> . وكذلك أبو الحسين البصري<sup>(٣)</sup> قال بإثبات علوم متجددة في ذات الله بحسب تجديد المعلومات<sup>(٤)</sup> ، وكذلك أبو البركات صاحب «المعتبر» ، الإمام في الفلسفة<sup>(٥)</sup> ،

(١) في الأصل : بدا (وعلى الباء فتحة وعلى الدال سكون ) ، ولعله خطأ من الناسخ .  
(٢) قال الشهرستاني في الملل والنحل ١ / ١٣٢ - ١٣٣ عن مذهب المختارية الشيعة الكيسانية وهم أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي : « فن مذهب المختار أنه يجوز البداء على الله تعالى . والبداء له معان : البداء في العلم ، وهو أن يظهر له خلاف ما علم ، ولا أظن عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد ؛ والبداء في الإرادة ، وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ؛ والبداء في الأمر ، وهو أن يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك . ومن لم يجوز النسخ ظن أن الأوامر المختلفة في الأوقات المختلفة متناسخة . وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء لأنه كان يدعى علم ما يحدث له من الأحوال : إما يوحى إليه ، ولما برسالة من قبل الإمام ، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدث حادثة ، فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال : قد بدا لربكم . وكان لا يفرق بين النسخ والبداء ؛ قال : إذا جاز النسخ في الأحكام جاز البداء في الأخبار » ( انظر أيضاً عن قول المختار بالبداء : الفرق بين الفرق ، ص ٢٦ ) .

وتابع المختار في هذا القول كل الكيسانية وكثير من الإمامية الاثني عشرية ، وقد عقد الكليني في كتابه « أصول الكافي » ١ / ١٤٦ - ١٤٩ ( ط . طهران ، ١٣٨١ ) فصلاً عن « البداء » أورد فيه آثار الشيعة وأدلتهم على هذا الاعتقاد .

وانظر عن البداء عند الشيعة أيضاً : فرق الشيعة للتوبختي ، ص ٨٥ - ٨٦ ؛ التبصير في الدين ، ص ١٨ ، ٢٠ ؛ دائرة المعارف الإسلامية مقالة « البداء » لجولده تسيهر .

(٣) أبو الحسين محمد بن علي الطيب البصري ، من متأخري المعتزلة ومن أئمتهم ، توفي سنة ٤٣٦ . انظر ترجمته ومذهبه في : وفيات الأعيان ٣ / ٤٠١ - ٤٠٢ ؛ شذرات الذهب ٣ / ٢٥٩ ؛ تاريخ بغداد ٣ / ١٠٠ ؛ لسان الميزان ٥ / ٥٩٨ ؛ الملل والنحل ١ / ٧٨ ؛ نهاية الإقدام ، ص ١٥١ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٢١ ، ٢٥٧ ؛ منهاج السنة (ط دارالعروبة) ١ / ٢٧٩ - ٢٨٠ ، ٩١ / ٢١٣ .

(٤) قال الشهرستاني في نهاية الإقدام ، ص ٢٢١ : « وقد مال أبو الحسين البصري إلى مذهب هشام بعض الميل حتى قضى بتجدد أحوال الباري تعالى عند تجديد الكائنات مع أنه من نفاة الأحوال غير أنه جعل وجوه التعلقات أحوالاً إضافية للذات العالمية » .

(٥) أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا ، طبيب وفيلسوف ، كان يهودياً وأسلم ، يعرف بأوحد الزمان وبفيلسوف المراقين ، من أهم كتبه «المعتبر في الحكمة» طبع بمجيد آباد سنة ١٣٥٧ ، وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته ، فقيل سنة ٤٥٧ وقيل غير ذلك . انظر ترجمته في : أخبار الحكماء لابن القفطي ٣٤٣ - ٣٤٦ ؛ طبقات الأطباء =



قال بتجدد علوم وإرادات له ، وذكر أن إلهيته لهذا العالم لاتصح إلا مع هذا القول<sup>(١)</sup> . وكذلك أبو عبد الله الرازي يميل إلى هذا القول في « الطالب المالية »<sup>(٢)</sup> وغيرها .

وأما السمع والبصر والكلام فقد ذكر الحارث المحاسبي<sup>(٣)</sup> عن أهل السنة في تجديد ذلك عند وجود السموع المرئي قولين .

والقول بسمع وبصر قديم يتعلق به عند وجودها قول ابن كلاب وأتباعه والأشعري ، والقول بتجدد الإدراك مع قدم الصفة قول طوائف كثيرة كالكرامية وطوائف سوام ، والقول بثبوت الإدراك قبل حدوثها وبعد وجودها قول السالمية كأبي الحسن بن سالم وأبي طالب المكي<sup>(٤)</sup> .

= لابن أبي أصيبعة ٣ / ٢٩٦ - ٣٠٠ ؛ تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي ، ص ١٥٢ - ١٥٤ ؛ نكت الهميان للصفدي ، ص ٤٣٠٤ الأعلام ٩ / ٦٣ . وانظر مقالة السيد سليمان الندوي عنه وعن كتاب المعتزلي آخر الجزء الثالث من المعتز ، ص ٢٣٠ - ٢٥٢ .

(١) تكلم ابن ملكا عن الآراء المختلفة في مسألة علم الله وناتشها بالفصل في المعتز ٢٩٣ - ٩٩ وذكر رأيه في أثناء ذلك . وانظر مثلاً قوله ٣ / ٧٦ : « فأما القول بإيجاب الثبوتية فيه يادراك الأغيار والكثرة بكثرة المدركات فجوابه المحقق أنه لا يتكرر بذلك تكراراً إضافته ومناسباته وتلك مما لا تعيد الكثرة على هويته وذاته » .

(٢) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، غر الدين الرازي ، ويعرف بابن خطيب الري ، ولد سنة ٥٤٤ وتوفي سنة ٦٠٦ . من أئمة الأشاعرة الذين مزجوا المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال ، ومن كتبه « الطالب المالية » وهو ما زال مخطوطاً . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٣ / ٣٨١ - ٣٨٥ ؛ شذرات الذهب ٥ / ٧١ ؛ طبقات الشافعية ٥ / ٢٣ - ٤٠ ؛ لسان الميزان ٤ / ٤٢٦ - ٤٢٩ ؛ الأعلام ٧ / ٢٠٣ .

(٣) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، من شيوخ الصوفية ، توفي ببغداد سنة ٢٤٣ . انظر ترجمته في : طبقات الصوفية للسلي ، ص ٥٦ - ٦٠ ؛ الطبقات الكبرى للشمراني ١ / ٦٤ ؛ طبقات الشافعية ٢ / ٣٧ - ٤٢ ؛ شذرات الذهب ٢ / ١٠٣ ؛ ميزان الاعتدال ١ / ٤٣٠ - ٤٣١ ؛ الخلاصة للخرزجى ، ص ٥٧ ؛ الأعلام ٢ / ١٥٣ - ١٥٤ .

(٤) السالمية هم أتباع أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم ( المتوفى سنة ٢٩٧ ) وابنه الحسن أحمد بن محمد بن سالم ( المتوفى سنة ٣٥٠ ) . وقد تلمذ سالم بن محمد على سهل بن عبد الله =

والطوائف الثلاثة تنتسب إلى أئمة السنة كالإمام أحمد ، وفي أصحابه من قال بالأول ، ومنهم من قال بالثاني ، والسالية تنتسب إليه .

وكذلك الإرادة والمشيئة فيها للصفاتية ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها ليست إلا قديمة<sup>(١)</sup> ، وهو قول ابن كلاب والأشعري وأتباعهما .

الثاني : أنها ليست إلا حادثة ؛ والفرق بين هذا وبين قول المعتزلة البصرية أن المعتزلة يقولون بحدوثها لافي محل ، لامتناع كونه<sup>(٢)</sup> محلاً للحوادث عندهم ، وهؤلاء يقولون تقوم بذاته كما يقوم الكلام بذاته .

والثالث : أنها قديمة وحادثة ، وهو قول طوائف من الكرامية وأهل الحديث والصوفية وغيرهم ، وكذلك يقول هؤلاء إنه يوصف بأنه متكلم في الأزل ، وأنه يتكلم إذا شاء ، كما صرح بذلك الأئمة كالإمام أحمد وغيره .

لكن في تحقيق ذلك نزاع بين المتأخرين . فقول : القديم هو القدرة على الكلام كما قالت الكرامية . وقيل : بل القولان متضادان ، كما ذكر أبو بكر عبد العزيز<sup>(٣)</sup> وعبد الله بن حامد عن أصحاب أحمد .

---

== النسري . ومن أشهر رجال السالية أبو طالب المكي صاحب كتاب « قوت القلوب » المتوفى سنة ٣٨٦ . ويجمع السالية في مذهبهم بين كلام أهل السنة وكلام المعتزلة مع ميل إلى التشبيه ونزعة صوفية اتحادية . انظر : شذرات الذهب ٣/٣٦ ؛ اللمع السراج ، ص ٤٧٢-٤٧٦ ، القاهرة ١٩٦٠ ؛ طبقات الصوفية ، ص ٤١٤-٤١٦ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ، ص ٩٩ - ١٠٠ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٥٨ ، ٢٠٢ ؛ مقالة « السالية » في دائرة المعارف الإسلامية للمسيون .

(١) في الأصل : أنها ليست الإرادة إلا قديمة .

(٢) في الأصل : لامتناع قوله ، وهو تحريف .

(٣) أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزيد ، المعروف بفلان الحلال ، من أئمة المناطقة ، توفي سنة ٣٥٣ من أئم مصنفاته « الشافي » و « المفتح » انظر ترجمته في : طبقات المناطقة ٢ / ١١٩ - ١٢٧ .

فأما إثبات علمه وتقديره للحوادث قبل كونها ، ففي القرآن والحديث والآثار مالا يكاد يُحصَر ، بل كل ما أخبر الله به قبل كونه فقد علمه قبل كونه ، وهو سبحانه يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وقد أخبر بذلك ، والنزاع في هذا مع غلاة القدرية ونحوهم .

وأما المستقبل فنقل قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٢] ، وقوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ الآية [ سورة البقرة : ٢١٤ ، آل عمران : ١٤٢ ] ، وقوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾ الآية [ سورة التوبة : ١٦ ] ، وقوله : ﴿ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [ سورة النكبت : ٣ ] ، وقوله : ﴿ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ [ سورة النكبت : ١١ ] ، وقوله : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [ سورة محمد : ٣١ ] .  
آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .



رِسَالَتُنِي الْجَوَابَ عَنْ سُؤَالٍ عَنِ الْحَلَّاجِ هَلْ كَانَ صَدِيقًا أَوْ زَنْدِيقًا



ما يقول السادة العلماء رضى الله عنهم فى الخلاج الحسين بن منصور : هل  
كان صديقاً أو زنديقاً ؟ وهل كان ولياً لله متقياً له ، أم كان له حال رحاى ،  
أو من أهل السحر والخزعبلات ؟ وهل قتل على الزندقة بمحضر من علماء  
المسلمين ، أو قتل مظلوماً ؟ أفتونا مأجورين .

الجواب فأجاب شيخ الإسلام أبو المباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام  
ابن تيمية ، قدس الله روحه .  
الحمد لله رب العالمين .

الخلاج كان  
زنديقاً  
الخلاج قتل على الزندقة<sup>(١)</sup> التى ثبتت عليه بإقراره وبغير إقراره ،  
والأمر الذى ثبت عليه مما يوجب القتل باتفاق المسلمين ، ومن قال : إنه قُتل بغير  
حق فهو إما منافق ملحد ، وإما جاهل ضال .

والذى قُتل به ما استفاض عنه من أنواع الكفر ، وبعضه يوجب قتله ،  
فضلاً عن جميعه ، ولم يكن من أولياء الله المتقين ، بل كان له عبادات ورياضات  
ومجاهدات بعضها شيطانى ، وبعضها نفسانى ، وبعضها موافق<sup>(٢)</sup> للشرىعة من  
وجه دون وجه ، قلبس الحق بالباطل .

وكان قد ذهب إلى بلاد الهند وتعلم أنواعاً من السحر<sup>(٣)</sup> ، وصنّف كتاباً  
بعض أخبار الخلاج

(١) وكان قتله سنة ٣٠٩ .

(٢) فى الأصل : موافقاً ، وهو خطأ .

(٣) قال ابن الجوزى فى ترجمة الخلاج فى كتابه « المنتظم » ٦ / ١٦٠ - ١٦١ :  
« وطاق البلاد وقصد الهند وخراسان وما وراء النهر وتركستان » . ثم قال (٦ / ١٦١) : « ...  
سمعت على بن أحمد الحاسب يقول : سمعت والذى يقول : وجهى المتضد إلى الهند ، وكان مسمى  
فى السفينة رجل يعرف بالحسين بن منصور ، فلما خرجنا من المركب قلت له : فى أى شىء جئت  
إلى هاهنا ؟ قال : جئت لأتلم السحر وأدعو الملقى إلى الله » . وانظر : روضات الجنات ،  
ص ٢٢٥ .

في السحر معروفا ، وهو موجود إلى اليوم ، وكانت له أقوال شيطانية ومخاريق بهتانية .

وقد جمع العلماء أخباره في كتب كثيرة أرّخوها الذين كانوا في زمنه ، والذين نقلوا عنهم مثل ابن علي الخطّبي<sup>(١)</sup> ذكره في تاريخ بغداد ، والحافظ أبو بكر الخطيب ذكر له ترجمة كبيرة في « تاريخ بغداد »<sup>(٢)</sup> ، وأبو يوسف القزويني صنّف مجلداً في أخباره<sup>(٣)</sup> ، وأبو الفرج بن الجوزي له فيه مصنف سماه « رفع اللجاج في أخبار الخلاّج »<sup>(٤)</sup> ، وبسط ذكره في تاريخه<sup>(٥)</sup> .

وذكر أبو عبد الرحمن السلمي في « طبقات الصوفية » أن كثيراً من المشايخ ذمّوه وأنكروا عليه ولم يمدّوه من مشايخ الطريق وأكثرهم حط عليه<sup>(٦)</sup> ،

(١) في الأصل : أبي علي الخطّبي . وجاء في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ( ط . الرياض ) ٣ / ٤٨٣ : « وكما ذكر إسماعيل بن علي الخطّبي في « تاريخ بغداد » وقد شهد قتله » . وهو أبو محمد إسماعيل بن علي بن إسماعيل الخطّبي ( نسبة إلى الخطب وإنشأها ) مؤرخ أديب صنّف تاريخاً كبيراً ، ولد سنة ٢٦٩ وتوفى سنة ٣٥٠ . انظر ترجمته في : طبقات الحنابلة ٢ / ١١٨ - ١١٩ ؛ العبر ٢ / ٢٨٦ ؛ الباب ١ / ٣٧٩ ؛ الأعلام ١ / ٣١٦ .

(٢) في الجزء الثامن ، ص ١١٢ - ١٤١ .

(٣) أبو يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزويني ، شيخ المعرّلة في عصره وكان زديداً ، ولد سنة ٣٩٣ وتوفى ٨٨ : له تفسير يبلغ ثلاثمائة مجلد ، ولم أجد فيها بين يدي من المراجع ذكراً لكتابه عن الخلاّج . انظر ترجمته في : النجوم الزاهرة ٥ / ١٦٥ ؛ دول الإسلام للذهبي ٢ / ١٣ ؛ لسان الميزان ٤ / ١١ - ١٢ ؛ طبقات المفسرين للسيوطي ، ص ١٩ ؛ العبر للذهبي ٣ / ٣٢١ ؛ الأعلام ٤ / ١٣١ .

(٤) ذكر ابن الجوزي في « المنتظم » ٦ / ١٦٢ : « وقد جمعت أخباره في كتاب سمّيته القاطع لحال اللجاج القاطع بحال اللجاج » . وقال ابن رجب في « الدليل على طبقات الحنابلة » ١ / ٤١٨ أن من مصنفات ابن الجوزي : « القاطع لحال اللجاج بحال اللجاج ، جزء » .

(٥) في « المنتظم » ٦ / ١٦٠ - ١٦٤ .

(٦) ترجم السلمي للخلاّج في كتابه « طبقات الصوفية » ، ص ٣٠٧ - ٣١١ ، وقال عنه : « وللشايخ في أمره مختلفون . رده أكثر المشايخ وقوه وأبوا أن يكون له قدم في التصوف ، وقبله من جلتهم ... إلخ » . وانظر روضات الجنّات . ص ٢٣٦ .



ومن ذمّه وحطّ عليه أبو القاسم الجنيد<sup>(١)</sup> ، ولم يقتل في حياة الجنيد ، بل قتل بعد موت الجنيد ، فإن الجنيد توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين<sup>(٢)</sup> / والحلاج قتل سنة بضع وثلاثمائة .

ط ١٢٤

وقدموا به إلى بغداد راكباً على جمل يُنادى عليه : هذا داعي القرامطة ، وأقام في الحبس مدة حتى وُجد من كلامه الكفر والزندقة واعترف به ، مثل أنه ذكر في كتاب له : من فاته الحج فإنه يبني في داره بيتاً يطوف به كما يُتطوف بالبيت ، ويتصدق على ثلاثين بيتاً بصدقة ذكرها ، وقد أجزأه ذلك عن الحج . فقالوا له : أنت قلت هذا ؟ قال : نعم . فقالوا له : ومن أين لك هذا ؟ قال : ذكره الحسن البصري في كتاب « الصلاة » . فقال له القاضي أبو عمر : تكذب يا زنديق ، أنا قرأت هذا الكتاب وليس هذا فيه . فطلب منهم الوزير أن يشهدوا بما سمعوه ، ويفتوا بما يجب عليه ، فاتفقوا على وجوب قتله<sup>(٣)</sup> .

(١) في كتاب « أخبار الحلاج » لعمى بن أنجب السامى ( ط . باريس ، ١٩٣٦ ) ص ٣٨ : « عن أبي محمد الجسرى قال : رأيت الجنيد ينسكرك على الحلاج ، وكذلك عمرو ابن عثمان المكي وأبو يعقوب النهرجورى وعلى بن سهل الأصبهاني ومحمد بن داود الأصبهاني .. الخ » . وفي نفس الكتاب ، ص ٩٢ : « وقال أحمد بن يونس : كنا في ضيافة ببغداد فأطال الجنيد اللسان في الحلاج ونسب إلى السحر والشعوذة والتبرج ... الخ » . وفي روضات الجنات ص ٢٢٥ أن الحلاج صحب في شبابه الجنيد في بغداد ثم سافر مدة من الزمن ولما رجع إلى بغداد قصد إلى الجنيد وسأله عن مسألة فلم يجبه ، وقال له : أنت مدع في سؤالك ، فتكدر منه الحلاج . وانظر أيضاً ، ص ٢٣٤ . وذكر الياقنى كلاماً مشابهاً في « مرآة الجنان » ٢/٢٥٩ . وانظر أيضاً : الفرق بين الفرق ، ص ١٥٨ .

(٢) أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز ، ويقال له أحياناً القواريرى ، من شيوخ الصوفية ، توفي سنة ٢٩٧ و قبل سنة ٢٩٨ . انظر ترجمته في : طبقات الصوفية للسلى ، ص ١٥٥ - ١٦٣ ؛ الطبقات الكبرى للشمراني ١/ ٧٢ - ٧٤ ؛ المنتظم لابن الجوزى ٦/١٠٥ - ١٠٦ ؛ تاريخ بغداد ٧/ ٢٤١ - ٢٤٩ ؛ الأعلام ٢/ ١٣٧ - ١٣٨ . وانظر ما ذكره الخوانسارى في « روضات الجنات » حيث يقول : « وعن بعض كتب التواريخ أن شيخه الجنيد أيضاً كتب في الاستشهاد عليه أن الرجل في ظاهر حاله يستحق القتل . وعن بعضها التنظر في ذلك لكون وفاة الجنيد قبل وقت قتله بكثير ، وفيه نظر لاحتفال كون صدور ذلك منه أيام تفرجه عليه كما عرفته من قبل » .

(٣) انظر خير مقتله هذا في : المنتظم ٦/ ١٦٢ ؛ الكامل لابن الأثير ٨/ ٤٠ ؛ تاريخ بغداد ٨/ ١٣٨ - ١٣٩ ؛ البداية والنهاية ١١/ ١٤١ ؛ روضات الجنات ، ص ٢٣٥ ؛ الطبقات الكبرى للشمراني ١/ ١٤ - ١٥ .

لكن العلماء لم قولان في الزنديق إذا أظهر التوبة ، هل تُقبل توبته فلا يُقتل ، أم يقتل لأنه لا يُعلم صدقه ، فإنه مازال يظهر ذلك ؟ فأفتى طائفة بأنه يُستتاب فلا يُقتل ، وأفتى الأَكثَرُونَ بأنه يقتل وإن أظهر التوبة ، فإنه إن كان صادقاً في توبته نفعه ذلك عند الله وقُتل في الدنيا ، وكان الحد تطهيراً له ، كما لو تاب الزاني والسارق ونحوهما بعد أن يُرفعوا إلى الأمام ، فإنه لا بد من إقامة الحد عليهم ، فإتهم إن كانوا صادقين كان قتلهم كفارة لهم ، ومن كان كاذباً في التوبة كان قتله عقوبة له .

فإن كان الحلاج وقت قتله تاب في الباطن فإن الله ينفعه بذلك التوبة ، وإن كان كاذباً فإنه قُتل كافراً ، ولما قُتل لم يظهر له وقت القتل شيء من الكرامات ، وكل من ذكر أن دمه كتب على الأرض اسم الله (١) ، أو أن دجلة انقطع ماؤها ، أو غير ذلك (٢) فإنه كاذب ، وهذه الأمور لا يحكيها إلا جاهل أو منافق ، وإنما وضعها الزنادقة وأعداء الإسلام ، حتى يقول قائلهم : إن شرع محمد بن عبد الله يقتل أولياء الله حين يسمعون (٣) أمثال هذه الهذيان ، وإلا فقد قُتل أنبياء كثيرون وقُتل من أصحابهم وأصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم والتابعين وغيرهم من الصالحين من لا يحصى عددهم إلا الله ، قُتلوا بسيف الفجَّار والكفار والظلمة وغيرهم ولم يكتب دم أحدهم اسم الله ، والدم أيضاً نجس فلا يجوز أن يكتب اسم الله تعالى ؛ فهل الحلاج خير من هؤلاء ، ودمه أطهر من دمائهم ؟ ..

(١) ذكر هذا الخبر : النواوي في « الكواكب الدراري » ٢ / ٢٥ ؛ الحوائس في روضات الجنات ، ص ٢٣٥ . وانظر : الحلاج شهيد التصوف الإسلامي لطف عبد الباقي سرور ، ص ١٩٠ ، القاهرة ، ١٩٦١ .

(٢) الذي في « وفيات الأعيان » ١ / ٤٠٧ : « وافق أن دجلة زادت في تلك السنة زيادة وافرة ، فادعى أصحابه أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها » . وانظر : البداية والنهاية ١١ / ١٤٣ ؛ روضات الجنات ، ص ٢٣٥ .  
(٣) في الأصل : يسمعون ، وهو خطأ .

وقد جزع وقت القتل وأظهر التوبة والسنة فلم يُقبل ذلك منه (١) ، ولو عاش افتتن به كثير من الجهّال ، لأنه كان صاحب خزعبلات بُهتانية وأحوال شيطانية ، ولهذا إنما يعظمه من يعظم الأحوال الشيطانية والنفسانية والبهتانية .

وأما أولياء الله العالمون بحال الحلاج فليس منهم واحد يعظمه ، ولهذا لم يذكره القشيري في مشايخ رسالته ، وإن كان قد ذكر من كلامه كلمات استحسناها (٢) .

وكان الشيخ أبو يعقوب النهرجوري قد زوّجه بابنته فلما اطلع على زندقته رُعِيَا منه (٣) . وكان عمرو بن عثمان يذكر أنه كافر ، ويقول : كنت معه فسمع قارئاً يقرأ القرآن يقال : أقدر أن أصنّف مثل هذا القرآن ، أو نحو هذا الكلام (٤) .

(١) في : وفيات الأعيان ٤٠٧/١ ؛ تاريخ بغداد ٤١٣٩/٨ ؛ مرآة الجنان للياقضي ٢٥٩/٢ ؛ روضات الجنات ، ص ٢٣٥ : أن الحلاج قال للعلماء الذين أفتوا بقتله : « ظهري حبي ، ودي حرام ، وما يحمل لكم أن تنقولوا علي بما يبيحه ، وأنا اعتقادي الإسلام ، ومذهبي السنة ... » ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين ، فآله الله في دمي .. الخ » .  
(٢) قال الصمراني في ترجمة الحلاج ( الطبقات الكبرى ١ / ٩٢ ) : « وقد أشار القشيري إلى تركيته حيث ذكر عقيدته مع عقائد أهل السنة أول الكتاب فتحالباب حسن الظن به ، ثم ذكره في أواخر الرجال لأجل ما قيل فيه » . ويذكر القشيري في رسالته ، ص ٦ : « وقال الحسين بن منصور : من عرف الحقيقة في التوحيد سقط عنه لم وكيف » .

(٣) في : المنتظم ١٦٢/٦ ؛ تاريخ بغداد ١٢١/٨ ؛ البداية والنهاية ١٣٥/١١ ؛ العبر للذهبي ١٤٠/٢ : « قال أبو زرعة : وسمعت أبا يعقوب الأقطع يقول : زوجت ابني من الحسين بن منصور الحلاج لما رأيت من حسن طريقته ، فبان لي بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال خبيث كافر » . ولم أجد من يسمى بأبي يعقوب الأقطع ولكنني وجدت أبا يعقوب النهرجوري وأبا الخير الأقطع . وانظر طبقات الصوفية ص ٣٧٠ ، ٣٧٨ .

(٤) يذكر ابن حجر في « لسان الميزان » ٣١٤/٢ : « قال محمد بن يحيى الرازي ، سمعت عمرو بن يحيى المكي يلعن الحلاج ويقول : لو قدرت عليه أقتله بيدي . قلت : لا يش الذي وجد الشيخ عليه ؟ قال : قرأت آية من كتاب الله فقال : يمكن أن أولف مثله أو أتكلّم به . حكاهما القشيري في الرسالة » . وذكرت القصة منسوبة إلى عمرو بن عثمان المكي في : المنتظم ١٦٢/٦ ؛ تاريخ بغداد ١٢١/٨ ؛ البداية والنهاية ١٣٥/١١ ؛ الفرق بين الفرق . ص ١٥٨ ؛ العبر للذهبي ١٤٠/٢ .

وكان يظهر عند كل قوم ما يستجلبهم به إلى تعظيمه ، فيظهر عند أهل السنة أنه سنيّ ، وعند أهل الشيعة أنه شيعيّ ، ويلبس لباس الزهاد تارة ، ولباس الأجناد تارة (١) .

وكان من مخاريفه أنه يبعث بعض أصحابه إلى مكان في البرية ينحى فيه شيئاً من الفاكهة والحلوى ، ثم يحى جماعة من أهل الدنيا إلى قريب من ذلك المكان فيقول لهم : ما تشتهون أن آتيكم به من هذه البرية ؟ فيشتهى أحدهم فاكهة أو حلوة فيقول : / امكثوا . ثم يذهب إلى ذلك المكان ويأتي بما خفيّ أو ببعضه ، فيظن الحاضرون أن هذه كرامة له (٢) .

ص ١٢٥

وكان صاحب سيمياء وشياطين تخدمه أحياناً ، كانوا معه على جبل أبي قبيس فطلبوا منه حلوة ، فذهب إلى مكان قريب منهم وجاء بصحن حلوى ، فكشفوا الأمر فوجدوا ذلك قد سرق من دكان حلوى باليمن ، حمله شيطان من تلك البقعة (٣) .

ومثل هذا يحدث كثيراً لفير الحلاج ممن له حال شيطاني ، ونحن نعرف كثيراً من هؤلاء في زماننا وغير زماننا ، مثل شخص هو الآن بدمشق كان الشيطان يحمله من جبل الصالحية إلى قرية حول دمشق ، فيجىء من الهواء إلى طاقة البيت الذي فيه الناس فيدخل وهم يرونه ، ويجىء بالليل إلى باب الصغير (٤) فيعبر منه هو ورفيقه وهو من أجرة الناس .

أخبار أخرى  
من بعض  
أصحاب الأحوال  
الشرطانية

(١) انظر : المنتظم ١٦١/٦ ؛ البداية والنهاية ١١/١٣٧ .

(٢) انظر : المنتظم ١٦١/٦ وانظر قصة مماثلة في البداية والنهاية ١١/١٣٧ . وانظر من مخاريفه أيضاً ما رواه الباقلاني في كتابه « البيان عن الفرق بين المجزات والكرامات والحبل والكهانة والمحر والطارنجات » ( ط . بيروت ، ١٩٥٨ ) ص ٧٦ .

(٣) روى هذه القصة الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٨/١٢٥ - ١٢٦ . ورواها ابن أنجب الساعى في « أخبار الحلاج » ص ٤٠ - ٤١ عن أبي يعقوب النهرجوري ولكنه زاد بأن الحلاج أرسل إلى الحلواني ثمن الحلوى بعد أن فقدت من دكانه .

(٤) « لمدينة دمشق ستة أبواب : باب الجابية وباب الصغير ... الخ » ( مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ، ص ١٠٦ ، ط . لندن ، ١٣٠٢ )

وآخر كان بالشَّوْبَك<sup>(١)</sup> من قرية يقال لها الشاهدة يطير في الهواء إلى رأس الجبل والناس يرونه ، وكان شيطانه يحمله ، وكان يقطع الطريق ؛ وأكثرهم شيوخ الشر ، يُقال لأحدم البوشي<sup>(٢)</sup> أبي الحبيب<sup>(٣)</sup> ينصبون له خركاه في ليلة مظلمة ويصنعون خبزا على سبيل القربات ، فلا يذكرون الله ولا يكون عندهم من يذكر الله ولا كتاب فيه ذكر الله ، ثم يصعد ذلك البوشي في الهواء وهم يرونه ويسمعون خطابه للشيطان وخطاب الشيطان له ، ومن ضحك أو سرق من الخبز ضربه اللف ولا يرون من يضرب به . ثم إن الشيطان يخبرهم ببعض ما يسألونه عنه ، ويأمرهم بأن يقرؤوا له قرأ وخيلا وغير ذلك<sup>(٤)</sup> ، وأن يخنقوها خنقا ولا يذكرون اسم الله عليها ، فإذا فعلوا قضى حاجتهم . وشيخ آخر أخبرني نفسه أنه كان يزني بالنساء ويتلوط بالصبيان الذين يُقال لهم « الحوارات » ، وكان يقول : يأتيني كلب أسود بين عينيه نكتتان يضاوان فيقول لي : فلان ابن فلان نذر لك نذرا وغدا تأتيك به ، وأنا قضيت حاجته لأجلك ، فيصبح ذلك الشخص يأتيه بذلك النذر ، ويكاشفه هذا الشيخ الكافر .

قال : وكنت إذا طُلب مني تغيير مثل اللأذن<sup>(٥)</sup> أقول حتى أغيب عن عقلى وإذا باللأذن في يدي أو في فمي ، وأنا لا أدري من وضعه . قال : وكنت أمشي وبين يدي عمود أسود عليه نور .

(١) في معجم البلدان : « الشوبك قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلم قرب الكرك » .

(٢) في « القاموس » مادة « بوش » : « البوشي ( بفتح شكون ) الفقير المبل وهو من خان الناس ودعاهم ، ويضم » .

(٣) في الأصل : أبي الحب ، غير منقوطة .

(٤) في الأصل : وخيلا وغيرهم وغير ذلك .

(٥) في المعجم الوسيط : « اللأذن جنس جنية من الفصيلة اللاذنية يستخرج منه صغ

رائينجي يملك ويمتثل عطرا ودواء » . وانظر : القاموس المحيط .

فلما تاب هذا الشيخ وصار يصليّ ويصوم ويحْتَنِبُ الحارم ذهب الكلب الأسود وذهب التغيير فلا يأتي بلاذن ولا غيره .

وشيوخ آخر كان له شياطين يرسلهم بصرعون بعض الناس ، فيأتي أهل ذلك المصروع إلى الشيخ يطلبون منه إبراءه ، فيرسل إلى أتباعه فيفارقون ذلك المصروع ، ويمطون ذلك الشيخ دراهم كثيرة . وكان أحياناً تأتيه الجن بدراهم وطعام تسرقه من الناس ، حتى أن بعض الناس كان له تين في كؤارة فيطلب الشيخ من شياطينه تيناً فيحضرونه له ، فيطلب أصحاب الكؤارة التين فوجدوه قد ذهب .

وآخر كان مشتغلاً بالعلم والقراءة فجاءته الشياطين أغوته وقالوا له : نحن نُسْقِطُ عَنْكَ الصلوة ونحضر لك ما تريد . فكانوا يأتونه بالحلوى أو الفاكهة ، حتى حضر عند بعض الشيوخ العارفين بالسنة فاستتابه ، وأعطى أهل الخلاوة ثمن حلاوتهم التي أكلها ذلك المفتون بالشیطان .

فكل من خرج عن الكتاب والسنة وكان له حال من مكاشفة أو تأثير فإنه صاحب حال نفساني أو شيطاني ، وإن لم يكن له حال بل هو يتشبه بأصحاب الأحوال فهو صاحب حال <sup>(١)</sup> بهتاني . وعامة أصحاب الأحوال الشيطانية يجمعون بين الحال الشيطاني والحال البهتاني ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۖ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [سورة الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢] .

ظ ١٢٥

والحلاج كان من أئمة هؤلاء ، أهل الحال الشيطاني والحال البهتاني ، وهؤلاء طوائف كثيرة . فائمة هؤلاء هم شيوخ المشركين الذين يعبدون الأصنام ، مثل الكهّان والسحرة الذين كانوا للعرب المشركين ، ومثل الكهان والسحرة الذين هم بأرض الهند والترك وغيرهم . ومن هؤلاء من إذا مات لهم ميت يعتقدون أنه يحيى بعد الموت يكلمهم ويقضى ديونه ويرد ودائمه ويوصيهم بوصايا ، فإنهم

(١) في الأصل : محال ، ولها وجه . وما أثبتته موافق للسياق .

تأتيهم تلك الصورة التي كانت في الحياة ، وهو شيطان تمثّل في صورته فيظنون به إياه .

وكثير ممن يستغيث بالمشايخ فيقول : يا سيدي فلان ، أو : يا شيخ فلان أقض حاجتي ، فيرى صورة ذلك الشيخ يخاطبه ويقول : أنا أقضى حاجتك ، أو طيّب قلبك ، فيقضى حاجته أو يدفع عنه عدوه ، ويكون ذلك شيطانا قد تمثّل في صورته لما أشرك بالله فدعا غيره .

وأنا أعرف من هذا وقائع متعددة ، حتى أن طائفة من أصحابي ذكروا أنهم استغاثوا بي في شدائد أصابتهم ، أحدهم كان خائفاً من الأرمن ، والآخر كان خائفاً من التتر ، فذكر كل منهم أنه لما استغاث بي رأي في الهواء وقد دفعت عنه عدوه ، فأخبرتهم أنني لم أشعر بهذا ، ولا دفعت عنكم شيئاً ، وإنما هذا شيطان تمثّل لأحدهم فأغواه لما أشرك بالله تعالى .

وهكذا جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ مع أصحابهم ، يستغيث أحدهم بالشيخ فيرى الشيخ قد جاء وقضى حاجته ، ويقول ذلك الشيخ : إني لم أعلم بهذا ، فيبين أن ذلك كان شيطانا .

وقد قلت لبعض أصحابنا لما ذكر لي أنه استغاث بثنين كان يعتقداهما وأنهما أتياه في الهواء وقالاه : طيّب قلبك نحن ندفع عنك هؤلاء ونفعل ونصنع . قلت له : فهل كان من ذلك شيء (١) ؟ فقال : لا . فكان هذا بما دلّه على أنهما شيطانان ، فإن الشياطين وإن كانوا يخبرون الإنسان بقضية أو قصة فيها صدق فإنهم يكذبون أضعاف ذلك ، كما كانت الجن يخبرون الكهان .

ولهذا من اعتمد على مكاشفته التي هي من أخبار الجن كان كذبه أكثر من صدقه . كشيخ كان يُقال له الشياح توبّناه وجدّدنا إسلامه ، كان له قرين

(١) في الأصل : شيئاً ، وهو خطأ .

من الجن يقال له « عنتر » يخبره بأشياء فيصدق تارة ويكذب تارة ، فلما ذكرت له : إنك تعبد شيطاناً من دون الله ، اعترف بأنه يقول له : يا عنتر لا سبحانك إنك إله قدر ، وتاب من ذلك في قصة مشهورة .

وقد قتل سيف الشرع من قتل من هؤلاء ، مثل الشخص الذي قتلناه سنة خمس عشرة ، وكان له قرين يأتيه ويكاشفه فيصدق تارة ويكذب تارة ، وكان قد انقاد له طائفة من المنسوين إلى أهل العلم والرئاسة فيكاشفهم حتى كشف الله أمره ، وذلك أن القرين كان تارة يقول : أنا رسول الله ، ويذكر أشياء تنافي حال الرسول ، فشهد عليه أنه قال : إن الرسول يأتيني ويقول لي كذا وكذا ، من الأمور التي يكفر من أضافها إلى الرسول . فذكرت لولاة الأمور أن هذا من جنس الكهان ، وأن الذي يراه شيطان<sup>(١)</sup> ، ولهذا لا يأتيه في الصورة المعروفة للنبي صلى الله عليه وسلم بل يأتيه في صورة منكرة ، ويذكر عنه أنه يخضع له ويبيح له أن يتناول المنكر وأمواراً أخرى ، وكان كثير من الناس يظنون أنه كاذب فيما يخبر به من الرؤية ، ولم يكن كاذباً في أنه رأى تلك الصورة ، لكن كان كافراً في اعتقاده أن ذلك رسول الله ، ومثل هذا كثير .

ولهذا تحصل لهم تنزلات شيطانية بحسب ما فعلوه من مراد الشيطان ، فكلما / بعدوا عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وطريق المؤمنين قربوا من الشيطان ، فيطيطون في الهواء والشيطان طار بهم ، ومنهم من يصرع الحاضرين وشياطينه صرعتهم ، ومنهم من يحضر طعاماً وإداماً ويملاً<sup>(٢)</sup> الإبريق ماءً من الهواء ، والشياطين فعلت ذلك ، فيحسب الجاهلون أن هذه كرامات أولياء الله المتقين ، وإنا هي من جنس أحوال السحرة والكهنة وأمثالهم .

(١) في الأصل : شيطاناً ، وهو خطأ .

(٢) في الأصل : وملاً .



ومن لم يميز بين الأحوال الرحمانية والنفسانية اشتبه عليه الحق بالباطل ،  
ومن لم ينور الله قلبه بمحاثق الإيمان واتباع القرآن لم يعرف طريق الحق من  
المبطل ، والتبس عليه الأمر والحال ، كما التبس على الناس حال مسيلمة صاحب  
اليمامة وغيره من الكذابين في زعمهم أنهم أنبياء وإنما هم كذابون .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يكون فيكم ثلاثون  
دجالون كذابون كلهم يزعم أنه رسول الله » <sup>(١)</sup> .

إخبار النبي صلى  
الله عليه وسلم  
عن الدجالين  
والدجال الكبير

وأعظم الدجاجة فتنة الدجال الكبير الذي يقتله عيسى بن مريم <sup>(٢)</sup> ،  
فإنه ما خلق الله من لدن آدم إلى قيام الساعة أعظم من فتنته ، وأمر المسلمين  
أن يستميزوا من فتنته في صلاتهم <sup>(٣)</sup> . وقد ثبت أنه يقول للسماء : أمطري ،

(١) روى مسلم في صحيحه ١٨٩/٨ ( كتاب الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل  
بقبر الرجل .. الخ ) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله » .  
رواه أحمد في مستنده ( ط . المعارف ) ٢١٨/١٢ ( رقم ٧٢٢٧ ) . وهو جزء من حديث  
رواه البخاري في صحيحه ٢٠٠/٤ ( كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ) ، ومن  
حديث آخر طويل ٥٩/٩ ( كتاب الفتن ، باب حدثنا مسدد .. الخ ) ( وقال النبهاني في الفتح  
الكبير ٣٣٥/٣ أنه في سنن أبي داود وسنن الترمذي ) . وروى ابن عمر رضي الله عنه  
حديثاً بنفس المعنى في المسند ( ط . المعارف ) الأرقام : ٥٦٩٤ ، ٥٦٩٥ ، ٥٨٠٨ ،  
٥٩٨٥ .

وذكر النبهاني ( في نفس الصفحة السابقة ) حديثاً آخر عن ثوبان بنفس المعنى قال إنه في  
سنن الترمذي وفي مستدرك الحاكم .

(٢) خبر قتل المسيح صلى الله عليه وسلم للدجال رواه مسلم في صحيحه في ثلاثة مواضع  
من كتاب الفتن ١٧٤/٨ - ١٧٥ ( باب في فتح القسطنطينية .. الخ ) ، ١٩٨/٨ ( باب  
ذكر الدجال وصفته ومأمه ) ، ٢٠١/٨ ( باب في خروج الدجال ) . والخبر في سنن  
أبي داود والترمذي وابن ماجة والمسند .

(٣) اتخوذ من شر فتنة المسيح الدجال بعد التشهد الأخير ثابت عن النبي صلى الله عليه  
وسلم ، جاء في أحاديث عن عدد من الصحابة في صحيح البخاري ومسلم وأبي داود  
والنسائي . انظر الأذكار للحنووي ، ص ٦٤ ؛ المسند ( ط . المعارف ) ٢٥٤/١٤ - ٢٥٥  
( رقم ٧٨٥٧ ) ١١٣/١٥ - ١١٤ ( رقم ٧٩٥١ ) .

فتمطر ، وللأرض : أنبتى فنتبت<sup>(١)</sup> ، وأنه يقتل رجلاً مؤمناً ثم يقول : قم ، فيقوم ، فيقول : أنا ربك ، فيقول له : كذبت بل أنت الأعور الكذاب الذى أخبرنا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما ازددت فيك إلا بصيرة . فيقتله مرتين ويريد أن يقتله فى الثالثة فلا يُسلط عليه ، وهو يدعى الإلهية<sup>(٢)</sup> .

وقد بين له النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث علامات تنافى ما يدعى ، أحدها : أنه أعور وإن ربكم ليس بأعور . والثانية : أنه مكتوب بين عينيه « كافر » يقرأ كل مؤمن قارئ وغير قارئ<sup>(٣)</sup> . والثالثة : قوله : « واعلموا أن أحدم لا يرى ربه حتى يموت »<sup>(٤)</sup> .

فهذا هو الدجال الكبير ، ودونه دجاجلة : منهم من يدعى النبوة ، ومنهم من يكذب بغير ادعاء النبوة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « يكون فى آخر الزمان

(١) فى حديث النواس بن سميان رضى الله عنه الذى رواه مسلم فى صحيحه ١٩٧/٨ ( كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الدجال : « . . . فيأمر السماء فتمطر والأرض فنتبت . . الخ » .

(٢) هذا الخبر جزء من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وهو فى : البخارى ٢٢/٣ ( كتاب فضائل المدينة ، باب لا يدخل الدجال المدينة ) ؛ مسلم ١٩٩/٨ ( كتاب الفتن ، باب فى صفة الدجال وتحريم المدينة عليه . . الخ ) .

(٣) وردت أحاديث كثيرة فى صفة الدجال وفى أنه أعور وأنه مكتوب بين عينيه كافر . انظر مثلاً حديث أنس رضى الله عنه فى : البخارى ٦٠/٩ ( كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال ) ؛ مسلم ١٩٥/٨ ( كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ) .

(٤) هذه العبارة جزء من حديث رواه مسلم فى صحيحه ١٩٣/٨ ( كتاب الفتن ، باب ذكر ابن صياد ) ورواه الداريمى فى كتاب « الرد على الجهمية » ص ٥١ . ووردت هذه العبارة فى حديث آخر طويل عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه فى سنن ابن ماجه ٣٦/٢ ( كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال ) . وهى جزء من حديث رواه أحمد عن عبادة بن الصامت فى المسند ( ط . الحلبي ) ٣٢٤/٥ وفى كتاب « السنة » ، ص ١٢٨ ( ط . السلفية ، مكة ، ١٣٤٩ ) . وأورد فى نفس الكتاب ( ص ١٣٨ - ١٣٩ ) حديث أبى أمامة ، كما أورده ابن خزيمة فى كتاب التوحيد ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

دجالون كذابون يحدثونكم بما لم تسمعوا أتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم» <sup>(١)</sup> .

فالحلاج كان من الدجاجلة بلا ريب ، ولكن إذا قيل : هل تاب قبل الموت أم لا ؟ قال <sup>(٢)</sup> : الله أعلم ، فلا يقول ما ليس له به علم ؛ ولكن ظهر عنه من الأقوال والأعمال ما أوجب كفره وقتله باتفاق المسلمين ، والله أعلم .

---

(١) الحديث مع اختلاف في اللفظ عن أبي هريرة رضى الله عنه في : مسلم ٩/١ ( المقدمة باب في الضعفاء والكنائين ) .

(٢) قال : كنا بالأصل ، وسبق الكلام يدل على أن المقصود : قال الحبيب .



رِسَالَةُ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ عَرَبِي فِي دَعْوَى إِيْمَانِ فِرْعَوْنَ



هذا سؤال أجاب عنه الشيخ الإمام الملامّة الأوحّد ، شيخ الإسلام ، تقيّ الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد بن تيمية الحرّاني .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه التوفيق

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

نس السؤال

ما تقول السادة العلماء رضى الله عنهم في قول فرعون عند الفرق : ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس : ٩٠] هل فيه دليل على إيمانه وإسلامه ؟ وما يجب على من يقول : إنه مات مؤمناً والحالة هذه ؟

الجواب

### ﴿ الجواب ﴾

الحمد لله .

كفر فرعون ، وموته كافراً ، وكونه من أهل النار هو مما علم بالاضطرار من دين المسلمين ، بل ومن دين اليهود والنصارى ، فإن أهل الملل الثلاثة متفقون على أنه من أعظم الخلق كافراً ، ولهذا لم يذكر الله تعالى في القرآن قصة كافر فرعون من أعظم الخلق كافراً ، كما ذكر قصته في بسطها وتثنيها ، ولا ذكر عن كافر من الكفر أعظم مما ذكر من كفره واجترائه وكونه <sup>(١)</sup> أشد الناس عذاباً يوم القيامة . ولهذا كان المسلمون متفقين <sup>(٢)</sup> على أن من توقّف في كفره ، وكونه من

(١) في الأصل : وقومه ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : متفقون . وهو خطأ .

أهل النار فإنه يجب أن يُستتاب ، فإن تاب وإلا قُتل كافراً مرتدّاً ، فضلاً عن  
يقول إنه مات مؤمناً .

والشك في كفره أو نفيه أعظم منه في كفر أبي لهب ونحوه ، وأعظم  
من ذلك في أبي جهل وعقبة بن أبي مُعَيْط والنضر بن الحارث ونحوهم ممن  
تواتر كفرهم ولم يذكر باسمه في القرآن ، وإنما ذكر ما ذكر من أعمالهم ، ولهذا  
لم يظهر عن أحد بالتصريح بأنه مات مؤمناً إلا عن فيه من النفاق والزندقة  
أو التقليد للزندقة والمناقين ما هو أعظم من ذلك ، كالاتحادية الذين يقولون :  
إن وجود الخالق [ هو ] وجود الخلق<sup>(١)</sup> ، حتى يصريحون بأن يَبُوثَ وَيُوقَ  
ونَسراً وغيرها من الأصنام هي وجودها وجود الله ، وأنها عُبِدَت بِحَقِّ<sup>(٢)</sup> ،  
وكذلك المجل عبد بحق ، وأن موسى أنكر على هارون من نهيه عن عبادة  
المجل<sup>(٣)</sup> ، وأن فرعون كان صادقاً في قوله : أنا ربكم الأعلى ، وأنه عين الحق<sup>(٤)</sup>  
وأن المبد إذا دعا الله تعالى فعين الداعي عين المجيب ، وأن العالم هويته ، ليس  
وراء العالم وجود أصلاً<sup>(٥)</sup> .

لا يصح بموته  
مؤمناً إلا من فيه  
نفاق وزندقة  
كالأحادية

ومعلوم أن هذا بعينه هو / حقيقة قول فرعون الذي قال : ﴿ يَا هَامَانُ

ص ١٣٨

(١) في الأصل : إن وجود الخالق ووجود المخلوق . وانظر مقدمة فصوص الحكم  
للدكتور أبي الملا عيني ، ص ٢٤ - ٢٨ . وانظر قول ابن عربي في الفصوص ١ / ٧٩ :  
فالخلق خلق بهذا الوجه فاعتبروا وليس خلقا بذاك الوجه فاذكروا  
من يدر ما قلت لم تخذل بصيرته وليس يدره إلا من له بصر  
جمع وفرق فإن الصين واحدة وهي الكثيرة لا تبق ولا تنز  
(٢) في الأصل : وأنها عبد بحق . وانظر ما سبق ص ١٦٦ حيث ذكر ابن تيمية نص  
الفصوص ١ / ٧٢ .

(٣) انظر ما سبق ، ص ١٦٦ - ١٦٧ ، وانظر الفصوص ١ / ١٩٢ .

(٤) انظر ما سبق ، ص ١٦٧ ، والفصوص ١ / ٢١٠ - ٢١١ .

(٥) انظر ما سبق ص ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٦٤ - ١٦٦ .



ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْتَبَابَ \* أَسْتَبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ  
مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴿ [سورة غافر : ٣٦، ٣٥] .

ولقد خاطبت بعض الفضلاء مرة بحقيقة مذهبهم ، وأنه حقيقة قول فرعون  
فذكر لي رئيس من رؤسائهم أنه لما دعاه إلى هذا القول وبينته قال : قلت له :  
هذا قول فرعون . فقال له : ونحن على قول فرعون ؛ وما كنت أظن أنهم  
يُقرُّون أو يعترفون بأنهم على قول فرعون . قال : إنما قلت ذلك استدلالاً ،  
فلما قال ذلك ، قلت له : مع إقرار الخصم لا يحتاج إلى بيّنة .

وهم مع هذا الكفر والتعطيل الذي هو شرٌّ من قول اليهود والنصارى ،  
يدَّعون أن هذا العلم ليس إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء الذي يدَّعونه ، وأن  
خاتم الأنبياء إنما يرى هذا العلم من مشكاة خاتم الأولياء ، وأن خاتم الأولياء  
يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى خاتم الأنبياء ، وهو  
في الشرع مع موافقته له في الظاهر مشكاة [ له ] في الباطن <sup>(١)</sup> ، ولا يحتاج أن  
يكون متبعاً للرسول لا في الظاهر ولا في الباطن <sup>(٢)</sup> .

وهذا - مع أنه من أقبح الكفر وأخبثه - فهو من أفسد الأشياء في  
العقل ، كما يُقال لمن قال : « نخرَّ عليهم السقف من تحتهم » : لا عقل ولا قرآن ؛

(١) في الأصل : مرآة في الباطن ، ورجعت أن يكون الصواب ما أنبته .

(٢) انظر الفصوص ١ / ٦١ - ٦٤ ، وانظر قول ابن عربي ١ / ٦٢ : « . . . وهذا  
هو أعلى عالم بالله ، وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء ، وما يراه أحد من  
الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة  
الولي الخاتم ، حتى أن الرسل لا يرونه - متى رأوه - إلا من مشكاة خاتم الأولياء » . ثم  
انظر ما ذكره بعد ذلك ١ / ٦٣ : « . . . فيكون خاتم الأولياء تينك اللبتين فيكمل الحائظ .  
والسبب الموجب لكونه رآها لبتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر - وهو موضع  
الجنة النضة ، وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام . . . وهو موضع اللبنة الذهبية في  
في الباطن ، فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول » .

لأن التحرور لا يكون من أسفل ، وكذلك الاستفادة ، إنما يستفيد المتأخر من المتقدم .

ثم خاتم الأولياء الذين يدعونهم ، ضلالهم فيه من وجوه ، حيث ظنوا أن للأولياء خاتماً ، وأن يكون أفضلهم قياساً على خاتم الأنبياء ، ولم يعلموا أن أفضل الأولياء من هذه الأمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وهم السالفون من الأولياء لا الآخرون ، إذ فضل الأولياء على قدر اتباعهم للأنبياء واستفادتهم منهم علماً وعملاً .

وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الولي يأخذ من الله بلا واسطة ، والنبى يأخذ بواسطة ، وهذا جهل منهم ، فإن الولي عليه أن يتبع النبى ، ويمرض كل ما له من محادثة وإلهام على ما جاء به النبى ، فإن واقفه وإلارده ، إذ ليس هو بمصوم فيما يقضى له .

وقد يلبسون على بعض الناس بدعواهم أن ولاية النبى أفضل من نبوته<sup>(١)</sup> ، وهذا مع أنه ضلال فليس هو مقصودهم ، فهم مع ضلالهم فيما ظنوه من خاتم الأولياء ومرتبته يختلفون في عيئه بحسب الظن وما تهوى الأنفس<sup>(٢)</sup> ،

(١) انظر فصوص الحكم ١ / ١٣٤ - ١٣٧ وانظر قول ابن عربى ١ / ١٣٥ : « فإذا رأيت النبى يتكلم بكلام خارج عن التشريع فن حيث هو ولى وعارف ، ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتم وأكل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع . فإذا سمعت أحداً من أهل الله يقول أو ينقل إليك عنه أنه قال : الولاية أعلى من النبوة فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه . أو يقول : إن الولي فوق النبى والرسول فإنه يعنى بذلك لى شخص واحد : وهو أن الرسول عليه السلام - من حيث هو ولى - أتم من حيث هو نبى ورسول ، لا أن الولي التابع له أعلى منه . . . » .

(٢) يزعم ابن عربى أنه هو خاتم الأولياء - وخاتم الأولياء عنده أفضل من خاتم الرسل - فيقول :

أنا ختم الولاية دون شك لورث الهاشمى مع المسيح وانظر « التصوف الثيرة الروحية فى الإسلام » للدكتور أبى العلا غنقى ( ط . المعارف ١٦٦٣ ) ص ٣١٢ - ٣١٤ . وانظر الفتوحات ٢ / ٤٩ ( ط . الحلبي ) .

لتنازعهم في تعيين القطب الفرد الفوث الجامع<sup>(١)</sup>، ونحو ذلك من المراتب التي يدعونها، وهي / مطومة البطلان بالشرع والعقل . ثم يتنازعون في عين الموصوف بها، وهذا باب واسع .

والمقصود هنا أن هؤلاء الاتحادية من أتباع صاحب « فصوص الحكم » وصاحب « الفتوحات المكية » ونحوهم، هم الذين يعظمون فرعون، ويدعون أنه مات مؤمناً، وأن تعريقه كان بمنزلة غسل الكافر إذا أسلم، ويقولون: ليس في القرآن ما يدل على كفره، ويحتجون على إيمانه بقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس: ٩٠] .

بطلان حجتهم  
على إيمان فرعون

وتمام القصة تبين ضلالهم، فإنه قال سبحانه: ﴿ آلَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة يونس: ٩١]، وهذا استفهام إنكار وذم، ولو كان إيمانه صحيحاً مقبولاً لما قيل له ذلك .

وقد قال موسى عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [سورة يونس: ٨٨] .

(١) في رسالة اصطلاحات الصوفية لابن عربي ( طبع مع التعريفات للجرجاني، ط . مصطفى الحلبي، ومع رسائل ابن عربي، ط . حيدرآباد، وهي واردة في الفتوحات ) : « القطب - وهو الفوث - عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان، وهو على قلب إسرائيل عليه السلام ». وزاد الجرجاني في التعريفات: « أعطاه ( الله ) الطلمس ». وأما الفوث فعرفه ابن عربي: « هو واحد في كل الزمان بعينه إلا أنه إذا كان الوقت يعطى الالتجاء إلى عنايته ». وقال الجرجاني: « هو القطب حينما ينتجاً إليه ولا يسمى في غير ذلك الوقت غوثاً » .

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَجِيبْتَ دَعْوَتُكُنَا ﴾ [سورة يونس : ٨٩] ،  
فاستجاب الله دعوة موسى وهارون ، فإن موسى كان يدعو ، وهارون يؤمن أن  
فرعون وملأه لا يؤمنون حتى يروا المذابح الأليم .

وقد قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا  
أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا  
عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ \* فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا  
قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ \* فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ  
إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَاكَ  
الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة غافر : ٨٢ - ٨٥] ، فأخبر سبحانه وتعالى أن الكفار  
لم يك ينفعهم إيمانهم حين رأوا البأس ، وأخبر أن هذه سنته التي قد خلت في  
عباده ، ليبين أن هذه عادته سبحانه في المتقدمين والمتأخرين ، كما قال  
سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ  
أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾  
[سورة النساء : ١٨]

ثم إنه سبحانه وتعالى قال بعد قوله : ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ  
مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴾  
[سورة يونس : ٩١ - ٩٢] ، فجعله الله تعالى عبرة وعلامة لمن يكون بعده من  
الأمم لينظروا عاقبة من كفر بالله تعالى ، ولهذا ذكر الله تعالى الاعتبار بقصة  
فرعون وقومه في غير موضع .

وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ  
وَقَوْمُ \* وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ \* وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ

تُبْعِ كُلُّ كَذَبِ الرُّسُلِ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿ [سورة ق: ١٢ - ١٤] ، فأخبر سبحانه أن كل واحد من هؤلاء المذكورين ، فرعون وغيره ، كَذَبَ الرسل كلهم ، إذ لم يؤمنوا ببعضٍ ويكفروا ببعض كاليهود والنصارى ، بل كذبوا الجميع ، وهذا أعظم أنواع الكفر ، فكل من كذب رسولاً فقد كفر ، ومن لم يصدقه ولم يكذبه فقد كفر ؛ فكل مكذب للرسول كافرٌ به ، وليس كل كافر مكذباً به ، إذ قد يكون شاكاً في رسالته ، أو عالماً بصدقه لكنه يحمله الحسد أو الكبر على ألا يصدق ، وقد يكون مشتغلاً بهواه عن استماع رسالته والإصغاء إليه ؛ فمن وصف بالكفر الخاص الأشد ، كيف لا يدخل في الكفر ؟

ولكن ضلالهم في هذا نظير ضلالهم في قوله :

مقام النبوة في برزخ قُوتِ الرسول ودون الولى<sup>(١)</sup>

وقد علم أن كل رسول نبي ، وكل نبي ولى ، ولا ينمكس .

وقال سبحانه تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ \* وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ \* إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبِ الرُّسُلِ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ [سورة م: ١٢ - ١٤] . وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخِلَاطَةِ \* فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴾ [سورة الحاقة : ٩ ، ١٠] .

(١) لم أعر على هذا البيت ولكن وجدت بيتاً بمضاه في كتاب « لطائف الأسرار » لابن عربى ( تحقيق أحمد زكى عطية وطه عبد الباقي سرور ، دار الفكر العربى ، ١٣٨٠ / ١٩٦ ) ص ٤٩ ونصه :

سما النبوة في برزخ  
دوين الولى وفوق الرسول  
وفي الفتوحات المكية ٢ / ٢٥٢ يقول :  
بين الولاية والرسالة برزخ  
فيه النبوة حكمها لا يجبل  
وانظر الفتوحات ٢ / ٥٢ - ٥٣ .

ثم إن الله تعالى أخبر عن فرعون بأعظم أنواع الكفر : من جحود الخالق ، ودعواه الإلهية ، وتكذيب من يقرّ بالخالق سبحانه ، ومن تكذيب الرسول ووصفه بالجنون والسحر وغير ذلك . ومن المعلوم بالاضطرار أن الكفار العرب الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم - مثل أبي جهل وذريته - لم يكونوا يمجّدون الصانع ، ولا يدعون لأنفسهم الإلهية ، بل كانوا يشركون بالله ويكذّبون رسوله .

وفرعون كان أعظم كفرا من هؤلاء ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ \* فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ \* وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ \* وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ \* وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة غافر : ٢٣ - ٢٨] ، إلى قوله : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ \* أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [سورة غافر : ٣٦ ، ٣٧] .

ظ ١٣٩

أخبر الله سبحانه وتعالى أن فرعون ومن ذكر معه قال إن موسى ساحر كذاب ، وهذا من أعظم أنواع الكفر .

ثم أخبر الله [ أنه ] <sup>(١)</sup> أمر بقتل أولاد الذين آمنوا معه لينفروا عن

(١) أنه : زيادة يستقيم بها السياق .

الإيمان معه كيداً لموسى . قال تعالى : ﴿ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [سورة غافر : ٣٧] ، فدلّ على أنهم من الكافرين الذين كيدهم في تباب ، فوصفهم بالتكذيب والكفر جميعاً ، وإن كان التكذيب مشتملاً مستلزماً للكفر ، كما أن الرسالة مستلزمة للنبوة ، والنبوة مستلزمة للولاية .

ثم أخبر عن فرعون أنه طلب قتل موسى وقال : ﴿ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾ ، وهذا تنبيه على أنه لم يكن مقرّاً بربه ، ولهذا قال في تمام الكلام : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾ [سورة القصص : ٣٨] ، وهذا جعد صريح لإله العالمين ، وهي الكلمة الأولى .

ثم قال بعد ذلك لما ذكره <sup>(١)</sup> الله تعالى بقوله : ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴾ \* ثم أذَّبرَ يَسْعَى \* فَحَشَرَ فَنَادَى \* فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [سورة النازعات : ٢١ - ٢٤] ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ \* إنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾ [سورة النازعات : ٢٥ - ٢٦] . قال كثير من العلماء : أى نكال الكلمة الآخرة ، ونكال الكلمة الأولى ، فنكّل الله تعالى [ به ] <sup>(٢)</sup> على الكلمتين باعترافه ، وجعل ذلك عبرة لمن يخشى . ولو كان هذا ممن لم يعاقب على ما تقدم من كفره ، ولم يكن عقابه عبرة ، بل من آمن غفر الله له ماسلف ، ولم يذكره بكفر ولا بدم أصلاً ، بل يمدحه على إيمانه ، وينبئ عليه كما أنبئ على من آمن بالرسول ، وأخبر أنه نَجَّاهم .

وفرعون هو أكثر الكفار ذكراً في القرآن ، وهو لا يذكره سبحانه إلا

(١) الكلمة في الأصل مطبوسة وكذا استظهرتها .

(٢) في الأصل : فنكلمه الله تعالى ، وهو تحريف .

بالدم والتقييح واللعن ، ولم يذكره بخير قط .

وهؤلاء الملاحدة المنافقون يزعمون أنه مات طاهراً مطهراً ليس فيه شيء من الخبث ، بل يزعمون أن السحرة صدقوه في قوله : ما علمت لكم من إله غيري ، وأنه صح قوله : أنا ربكم الأعلى ، وأنه كان عين الحق .

وقد أخبر سبحانه وتعالى عن جحوده رب العالمين . قال لما قال له موسى عليه السلام : ﴿ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ \* حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٠٤ ، ١٠٥] ، ﴿ قَالَ قِرْعُونُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ \* قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ \* قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ \* قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ \* قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ \* قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ \* قَالَ لَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ٢٣-٢٩] <sup>(١)</sup> ، فتوعد موسى بالسجن إن اتخذ إلهاً غيره .

وهؤلاء مع تنظيمهم لفرعون يشاركون في حقيقة كفره ، وإن كانوا مفارقين له من جهة أخرى ، فإن عندهم : ما ثمَّ موجودٌ غير الله أصلاً ، ولا يمكن أحد <sup>(٢)</sup> أن يتخذ إلهاً غيره ، لأنه أي شيء عبد العابد من الأوثان والأصنام والشياطين ، فليست عندهم غير الله أصلاً . وهل يُقال هي الله ؟ لهم في ذلك قولان .

(١) في الأصل لم تذكر الآيات كاملة .

(٢) في الأصل : أحداً .



وإخباره سبحانه وتعالى عن تكذيب فرعون وغير ذلك من أنواع كفره كثير في القرآن ، وكذلك إخباره عن عذابه في الآخرة . فإن هؤلاء الملاحدة يزعمون أنه ليس في القرآن آية تدل على عذابه ، ويقولون إنما قال سبحانه : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [سورة هود : ٩٨] ، قالوا : فأخبر أنه يوردهم ، ولم يذكر أنه دخل معهم . قالوا : وقد قال : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [سورة غافر : ٤٦] ، فإنما يدخل النار آل فرعون لا فرعون .

وهذا من أعظم جهلهم وضلالهم ، فإنه حيث ذكر في الكتاب والسنة آل فلان كان فلان داخلاً فيهم ، كقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٣٣] ، وقوله : ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ [سورة القمر : ٣٤] ، وقوله : ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة الصافات : ١٣٠] . وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم صل على آل أبي أوفى »<sup>(١)</sup> ، وقوله : « لقد أوتى هذا مزماراً من مزامير آل داود »<sup>(٢)</sup> .

(١) الحديث متفق عليه عن عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنه في : البخارى ١٢٩/٢ ( كتاب الزكاة ، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة ) ونصه فيه : « عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقهم قال : اللهم صل على آل فلان ، فأتاه أبو صدقة ، فقال : اللهم صل على آل أبي أوفى . » والحديث في : مسلم ١٢١/٣ ( كتاب الزكاة ، باب الدعاء لمن أتى بصدقة ) ؛ التاريخ الكبير للبخارى ٣ / ٢٤ ؛ الإصابة لابن حجر ٢ / ٤٩٥ ( ط . التجارية ، ١٣٥٨ / ١٩٣٩ ) .

(٢) الحديث متفق عليه . رواه البخارى ١٩٥/٦ ( كتاب فضائل القرآن ، باب حسن الصوت بالقراءة ) ونصه : « عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود . » وهو في مسلم ١٩٢/٢ - ١٩٣ ( كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استجاب تحسين الصوت بالقرآن ) ؛ الإصابة ٢ / ٣٥٢ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ [سورة البقرة : ٤٩] ، ﴿ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ [سورة آل عمران : ١١] ، ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ \* كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ [سورة القمر : ٤١ - ٤٢] .  
وقوله : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [سورة غافر : ٤٦]  
متناول له ولم باتفاق المسلمين ، وبالعلم الضروري من دين المسلمين .

وهذا بعد قوله تعالى حكاية عن مؤمن [من] آل فرعون <sup>(١)</sup> يكتم إيمانه : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ [سورة غافر : ٢٨] ، والذي طلب قتله هو فرعون ، فقال المؤمن بعد ذلك : ﴿ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَقَدْ عُوِّنِي إِلَى النَّارِ \* تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ ﴾ [سورة غافر : ٤١ - ٤٢] ، والداعى إلى الكفر هو كافر كفراً مغلظاً ، فهذا فيه .

ووصفهم أيضاً بالكفر إلى قوله : ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَمَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ \* النَّارُ يُرْضَوْنَ عَلَيْهَا غَدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ ١٤٠  
[سورة غافر : ٤٥ - ٤٦] ، فأخبر أنه حاق بآل فرعون سوء العذاب ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب . ثم قال : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا قَهْلُ أَنْتُمْ مَثْنُونَ عَنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ \* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا

(١) في الأصل : عن مؤمن آل فرعون .

كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْمَبَادِ ﴿ [سورة غافر : ٤٧ - ٤٨] ]  
ومعلوم أن فرعون هو أعظم الذين استكبروا ، ثم هامان وقارون ، وأن قومهم  
كانوا لهم تبعاً ، وفرعون هو متبوعهم الأعظم الذى قال : ما علمت لكم من  
إله غيرى ، وقال : أنا ربكم الأعلى .

وقد قال : ﴿ وَاسْتَكَبَرُوا هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِمَقَرٍ لِحَقٍّ  
وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ \* فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ  
فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ  
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ \* وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ  
الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [سورة القصص : ٣٩ - ٤٢] .

وهذا تصريح بأنه نبذهم وقومه في اليم عقوبةً الذي هو الكفر ، وأنه أتبعه  
وقومه في الدنيا لعنة ، ويوم القيامة هم من المقبوحين هو وقومه جميعاً ، وهذا  
موافق لقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّثِينٍ \* إِلَى  
فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ \*  
يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ \*  
وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾  
[سورة هود : ٩٦ - ٩٩] .

فأخبر سبحانه أنهم اتبعوا أمره ، وأنه يقدمهم لأنه إمامهم ، فيكون  
قادماً لهم لا سائقاً لهم ، وأنه يوردهم النار . فإذا كان التابع قد ورد النار فعلم  
أن القادماً الذى يقدمه وهو متبوعه ورد قبله ، ولهذا قال بعد ذلك : ﴿ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ  
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [سورة القصص : ٤٢] .

والتابع والمتبع كما قال الله تعالى في تلك السورة عن فرعون وقومه :  
 ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْسِرُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ [ سورة  
 هود : ٩٩ ] .

والكلام في هذا مبسوط ، لم تحتمل هذه الورقة إلا هذا ، والله أعلم .  
 والحمد لله وحده ، وصلوات الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ،  
 وحسبنا الله ونعم الوكيل .  
 تم وكل .

# رِسَالَةُ رَسْمِ التَّوْبَةِ



## ﴿ فصل ﴾ <sup>(١)</sup>

ص ٧٠

قال الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم  
ابن تيمية رحمه الله :

الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من  
شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا  
هادي [له] <sup>(٢)</sup> . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً  
عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله  
شهيداً . صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً .

قال الله تعالى : ﴿ الرَّ كِتَابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ  
لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ \* أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ - إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ \*  
وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ  
مَّسْئُومٍ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ  
عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [سورة مود : ١ - ٣] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا  
مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \*  
وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ  
لَا تُنصِرُونَ \* وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ

(١) في أول الصفحة كتب العنوان الآتي : سبب البقاء في الجنة وهو الصلاة .

(٢) له : ساقطة من الأصل .

يَا تَيْبِكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٠﴾ [سورة الزمر :

٥٣ - ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ الآية [سورة التوبة : ٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة النور : ٣١] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَهِيفٌ رَّحِيمٌ \* وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة التوبة : ١١٧، ١١٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ \* فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة : ٣٥ - ٣٧] .



وقال تعالى في السورة الأخرى : ﴿ وَنَادَاهَا رَبُّهَا أَلَمْ أَنهَكُمَا  
عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ \*  
قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾  
[ سورة الأعراف : ٢٢ ، ٢٣ ] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى \* ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ  
فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ [ سورة طه : ١٢١ ، ١٢٢ ] .

وقال تعالى عن نوح أنه قال لقومه : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ  
كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ الآية [ سورة نوح :  
١٠ ، ١١ ] .

وقال عن نوح : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي  
بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [ سورة هود :  
٤٧ ] ، وعن هود : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ  
يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَبَرْذَكُمُ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا  
تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [ سورة هود : ٥٢ ] ، وعن صالح : ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ  
ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [ سورة هود : ٦١ ] ، وكذلك  
قال شعيب : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ  
وَدُودٌ ﴾ [ سورة هود : ٩٠ ] . وقال إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا  
اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [ سورة إبراهيم :  
٤١ ] ، وقال : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾  
[ سورة الشعراء : ٨٢ ] ، وقال : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ

التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿ [سورة البقرة : ١٢٨] . وقال عن موسى عليه السلام : ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة القصص : ١٥ ، ١٦] ، وقال موسى : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥١] ، وقال موسى : ﴿ سُبْحَانَكَ تَبْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٣] .

وقال تعالى لموسى : ﴿ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلِينَ \* إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة النمل : ١٠ ، ١١] ، وقال موسى : ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الشُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاغِرِينَ \* وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ الآية [سورة الأعراف : ١٥٥ - ١٥٧] .

وقال لخاتم الرسل : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [سورة عمد : ١٩] ، وقال : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا \* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [سورة الفتح : ١ ، ٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحِبُّ التَّوَّابِينَ وَنُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾  
[ سورة البقرة : ٢٢٢ ] .

وقال : ﴿ حَمَّ \* تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ \*  
غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [ سورة غافر : ١ - ٣ ] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو  
عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ \* وَبَسِّجِبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ [ سورة الشورى : ٢٥ ، ٢٦ ] .

وقال تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا  
صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ \*  
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ  
صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ  
يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ  
الرَّحِيمُ \* وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ  
وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \*  
وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ  
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [ سورة التوبة : ١٠٢ - ١٠٦ ] .

وفي صحيح مسلم عن أبي بريدة عن الأعرج عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا أيها الناس توبوا إلى الله ، فإنى أتوب إليه فى اليوم  
بعض الأحاديث  
فى التوبة

مائة مرة»<sup>(١)</sup>. وعن أبي بردة عن الأغر المزني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه ليُفَانُ على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة »<sup>(٢)</sup>. وقال : « إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »<sup>(٣)</sup>. وقال : « إن الله تعالى ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »<sup>(٤)</sup>. وقال : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه »<sup>(٥)</sup>. وقال : « لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده ،

(١) الحديث في مسلم ٧٢/٨ - ٧٣ (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استجواب الاستغفار والاستكثار منه ) ونصه : « .. عن أبي بردة قال سمعت الأغر - وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - يحدث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنّي أتوب في اليوم إليه مائة مرة » . وفي نسخة : « .. في اليوم مائة مرة » .

(٢) الحديث في مسلم ٧٢/٨ ( نفس الكتاب والباب ) ؛ سنن أبي داود ١١٣/٢ ( كتاب الوتر ، باب في الاستغفار ) ؛ المسند ( ط . الحلبي ) ٢١١/٤ .

(٣) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في : البخاري ٦٧/٨ ( كتاب الدعوات ، باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم واليلة ) ؛ سنن الترمذي ( بشرح ابن العربي ) ١٢ / ١٤٤ ، ( كتاب التفسير ، سورة محمد ) ؛ المسند . ( ط . الحلبي ) ٢ / ٢٨٢ ، ٣٤١ .

(٤) الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في : مسلم ٩٩/٨ - ١٠٠ ( كتاب التوبة ، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ) ؛ المسند ( ط . الحلبي ) ٣٩٥/٤ ؛ الترغيب والترهيب للندري ٤٩/٥ وقال : رواه مسلم والنسائي .

(٥) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في : مسلم ٧٣/٨ ( كتاب الذكر والدعاء ، باب استجواب الاستغفار ) ؛ المسند ( ط . المعارف ) ١٢٩/١٤ ( رقم ٧٦٩٧ ) ، ( ط . الحلبي ) ٢ / ٣٩٥ ، ٤٢٧ ، ٤٩٥ .

فأخذ يَخْطَأُهَا ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح <sup>(١)</sup> .

وهذا الحديث متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، رواه ابن مسعود ، والبراء بن عازب ، والثَّعْمَانُ بن بشير ، وأبو هريرة ، وأنس بن مالك <sup>(٢)</sup> .  
ففي الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ رَجُلٍ خَرَجَ بِأَرْضِ دَوِيَّةٍ مَهْلَكَةٍ <sup>(٣)</sup> ، معه راحلته عليها طعامه وشرابه وزاده وما يُصْلِحُهُ ، فَأُضْلِمَهَا ، فخرَجَ فِي طَلَبِهَا ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ وَلَمْ يَجِدْهَا قَالَ : أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي أَضْلَمْتُهَا فِيهِ فَأَمُوتَ فِيهِ . فَأَتَى مَكَانَهُ فَفَلَبَتَهُ عَيْنُهُ ، فَاسْتَيْقِظَ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَزَادُهُ وَمَا يُصْلِحُهُ » <sup>(٤)</sup> . وفي السنن أنه صلى الله عليه وسلم قال : « كُلَّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَّابُونَ » <sup>(٥)</sup> . وقال : « إِنْ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ

(١) الحديث بهذا اللفظ مروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه في مسلم ٩٣/٨ (كتاب التوبة ، باب في الحُضْ على التوبة والفرح بها) . وانظر : جامع الأصول لابن الأثير ٦٦/٣ .  
(٢) انظر : جامع الأصول ٦٣/٣ - ٦٧ .

(٣) قال الشيخ أحمد شاكر في شرحه للحديث : المسند ( ط . المعارف ) ٢٢٥/٥ : « دَوِيَّةٌ : بفتح الدال وتشديد الواو المكسورة وتشديد الياء المفتوحة ، قال ابن الأثير : الدو : الصحراء ، والدوية منسوبة إليها ، وقد تبدل من إحدى الواوين ألف فيقال : داوية على غير قياس ، نحو طائي في النسب إلى طى . مهلكة : بفتح الميم واللام : أى موضع الهلاك ، أو الهلاك نفسه ، وفتح لامها وتكسر ، وهما أيضا المفازة ، قاله ابن الأثير . ونقل الحافظ في الفتح أن في بعض نسخ البخارى : بضم الميم وكسر اللام من الرباعى ، أى تهلك هى من يحصل فيها » . وانظر : النهاية في غريب الحديث : مادة « دوا » ومادة « هلك » .

(٤) الحديث في : البخارى ٦٧/٨ - ٦٨ (كتاب الدعوات ، باب التوبة) ؛ مسلم ٩٢/٨ (كتاب التوبة ، باب في الحُضْ على التوبة والفرح بها) ؛ المسند ( ط . المعارف ) ٢٢٥/٥ - ٢٢٦ (رقم ٣٦٢٧) .

(٥) الحديث مروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه في : الترمذى ( بشرح ابن العربي ) =

نُكِّتَتْ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءَ ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صَقَلَ قَلْبَهُ ، وَإِنْ زَادَ زَيْدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة المطففين : ١٤] ، (١) .

وعن ابن عباس في قوله : ﴿ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ [سورة النجم : ٣٢] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَمَّا » (٢)

وعن ابن عمر قال : إِنْ كُنَّا لِنَعُدَّ / لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ يَقُولُ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتَبَّ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الْغَفُورُ » مِائَةَ مَرَّةٍ . رواه أحمد والترمذي وقال : حديث صحيح (٣) .

ظ ٧١

= ٣٠٨/٩ ( أبواب صفة القيامة ، باب المؤمن يستثقل ذنوبه والتوبة ) ؛ سنن ابن ماجه ١٤٢٠/٢ ( رقم ٤٢٥١ ) ؛ سنن الدارمي ٢ / ٣٠٣ ؛ المستدرک للحاكم ٢٤٤/٤ . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وانظر : جامع الأصول ٣/٧٠ ؛ الترغيب والترهيب ٥ / ٥٢ .

(١) رواه المنذرى بألفاظ مقاربة في الترغيب والترهيب ٣/١٢٩ ، ٥٣/٥ ، وقال : « رواه الترمذی وصححه والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم - واللفظ له - من طريقين قال في أحدهما : صحيح على شرط مسلم . ولفظ ابن حبان وغيره : إِنْ الْعَبْدُ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً يَنْكُتُ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةً ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صَقَلَتْ ، فَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ ، الْحَدِيثُ » . والحديث في سنن ابن ماجه ٢ / ١٤١٨ ( كتاب الزهد ، باب ذكر الذنوب ) .

(٢) الحديث في سنن الترمذی ( بشرح ابن العربي ) ١٢ / ١٧٢ - ١٧٣ ( كتاب التفسير ، سورة النجم ) ونصه : « حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَانَ الْبَصْرِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ عَنْ زَكْرِيَّا بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ( الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ ) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق . وانظر : الدر المنثور للسيوطي ٦/١٢٧ .

(٣) الحديث في : سنن أبي داود ٢/١١٣ ( كتاب الوتر ، باب في الاستغفار ) ؛ المسند ( ط . المعارف ) ٦/٣٢٨ ( رقم ٤٧٢٦ ) وانظر أرقام : ٥٣٥٤ ، ٥٥٦٤ ؛ سنن ابن ماجه ٢/١٢٥٣ ( كتاب الأدب ، باب الاستغفار ) .

## ﴿فصل﴾

التوبة نوعان : واجبة ومستحبة .

التوبة نوعان  
واجبة ومستحبة

فالواجبة هي التوبة من ترك مأمور أو فعل محظور . وهذه واجبة على جميع المكلفين ، كما أمرهم الله بذلك في كتابه وعلى ألسنة رسله .

الواجبة من ترك  
مأمور أو فعل  
محظور

والمستحبة هي التوبة من ترك المستحبات وفعل المكروهات . فمن اقتصر على التوبة الأولى كان من الأبرار المقتصدين ، ومن تاب التوبتين كان من السابقين المقربين . ومن لم يأت بالأولى كان من الظالمين : إما الكافرين وإما الفاسقين قال الله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً \* فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ \* وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ \* وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ \* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [سورة الواقعة : ٧ - ١٢] ، وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ \* وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ \* فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ \* وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ \* فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٌ ﴾ [سورة الواقعة : ٨٨ - ٩٤] ، وقال تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة فاطر : ٣٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا \* إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا \* إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا \* عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [سورة الإنسان : ٣ - ٦] ، وقال : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَیْ سَجِّينٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ كَلَّا إِنَّ

والمستحبة من  
ترك المستحبات  
وفعل  
المكروهات

كِتَابَ الْأَبْرَارِ لِنَفِي عِلِّيِّينَ \* وَمَا أَذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿٢٨﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ \* عَنِينًا يُشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [سورة المطففين : ٧ - ٢٨] .  
قال ابن عباس : تمزج لأصحاب اليمين مزجاً ، ويشرب بها المقربون صِرْفًا .

والتوبة رجوع عما تاب منه إلى ما تاب إليه . فالتوبة المشروعة هي الرجوع إلى الله ، وإلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه . وليست التوبة من فعل السيئات فقط كما يظن كثير من الجهال ، لا يتصورون التوبة إلا عملاً بفعله العبد من القبائح كالفواحش والمظالم ، بل التوبة من ترك الحسنات المأمور بها التوبة من ترك أهم من التوبة من فعل السيئات المنهى عنها ، فأكثر الخلق يتركون كثيراً مما أمرهم الله به من أقوال القلوب وأعمالها وأقوال البدن وأعماله ، وقد لا يعلمون أن ذلك مما أمروا به ، أو يعلمون الحق ولا يتبعونه ، فيكونون إما ضالين بعدم العلم النافع ، وإما مغضوباً عليهم بمعاندة الحق بعد معرفته .

التوبة من ترك الحسنات أهم من التوبة من فعل السيئات

وقد أمر / الله عباده المؤمنين أن يدعوه في كل صلاة بقوله : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ . ولهذا نزه الله نبيه عن هذين ، فقال تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى \* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى \* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [سورة النجم : ١ - ٤] ، فالضال الذي لا يعلم الحق ، بل يظن أنه على الحق وهو جاهل به ، كما عليه النصارى . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٧٧] .

ص ٧٢

والغاوى الذى يتبع هواه وشهواته مع علمه بأن ذلك خلاف الحق ، كما



عليه اليهود . قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْفِتَى يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحِيلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ الآية [سورة الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦] .

الفتى والضلال  
يجمعان جميع  
السيئات

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أخوف ما أخاف عليكم شهوات الفتى في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن » <sup>(١)</sup> . فإن الفتى والضلال يجمع جميع سيئات بني آدم ، فإن الإنسان كما قال تعالى : ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٧٢] ، فبظلمه يكون غاوبًا ، وبجهوله يكون ضالًا ، وكثيرا ما يجمع بين الأمرين فيكون ضالًا في شيء غاوبًا في شيء آخر ، إذ هو ظالم جهول ، ويماقب على كل من الذنوبين بالآخر ، كما قال : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [سورة البقرة : ١٠] ، وكما قال : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [سورة الصف : ٥] .

كما يثاب المؤمن على الحسنة بحسنة أخرى ، فإذا عمل بعلمه ورثه الله علم ما لم يعلم ، وإذا عمل بحسنة دعت إلى حسنة أخرى . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ

(١) الحديث عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه في المسند ( ط . الحلبي ) ٤ / ٤٢٠ من طريقين ، ولفظ الأولى : « حديثنا عبد الله ، حدثني أبي ، ثنا يونس ، ثنا أبو الأشهب ، عن علي بن الحكم ، عن أبي برزة الأسلمي - قال أبو الأشهب : لا أعلمه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : إن مما أخشى عليكم شهوات الفتى في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن » . وفي الطريق الثانية ( نفس الصفحة ) : « .. عن أبي برزة عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن مما أخشى ... ومضلات الهوى » . ورواه الهيثمي في الزوائد ٧ / ٣٠٥-٣٠٦ وقال : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح » .

اهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿ [سورة محمد : ١٧] ، وقال تعالى :  
 ﴿ وَيَرْبِدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [سورة مريم : ٧٦] ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ  
 جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [سورة النكبت : ٦٩] ، وقال :  
 ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَمَلُّوا مَا يُوعِظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنِييَةً \*  
 وَإِذَا لَأَتَيْنَاهُم مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا \* وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾  
 [سورة النساء ٦٦-٦٨] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
 وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا  
 تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ \* لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ  
 أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن  
 يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [سورة الحديد : ٢٨ ، ٢٩] .

ط ٧٣

وهو صلى الله عليه وسلم ذكر شهوات الفنى فى / البطون والفروج ، كما  
 فى الصحيح أنه قال : « من تكفل لى بما بين لحيه وما بين رجله تكفلت له  
 بالجنة » <sup>(١)</sup> . فإن هذا يعلم عامة الناس أنه من الذنوب ، لكن يفعلونه اتباعاً  
 لشهواتهم .

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن روى البخارى الحديث بألفاظ أخرى فى موضعين  
 من صحيحه الأول ٨ / ١٠٠ ( كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ) عن سهل بن سعد رضى  
 الله عنه ونصه : « من يضمن لى ما بين لحيه وما بين رجله أضمن له الجنة » ، والثانى  
 ٨ / ١٦٤ ( كتاب المحاربين ، باب فضل من ترك الفواحش ) عن سهل أيضاً وأوله :  
 « من توكل لى . . الخ » . وذكر المنذرى فى الترغيب والترهيب ٤ / ٦١ - ٦٢ عدة  
 روايات للحديث عن سهل بن سعد وعن أبى هريرة وعن أبى رافع وأبى موسى رضى الله عنهم  
 وذكر أنه قد رواه البخارى والترمذى والطبرانى وأبو يعلى . وشرح المنذرى الحديث فقال :  
 « المراد بما بين لحيه : اللسان ، وبما بين رجله : الفرج ، واللعيان : ما عظم الحنك » .  
 والحديث عن سهل رضى الله عنه فى المسند ( ط . الحلبي ) ٥ / ٣٣٣ وأوله : « من توكل  
 لى . . الخ » . وذكر النبهانى فى « الفتح الكبير » ٣ / ٢٤٦ أن الحديث رواه ابن حبان  
 والمحاكم أيضاً . وهو فى سنن الترمذى ( بشرح ابن العربى ) ٩ / ٢٤٨ ( كتاب الزهد ،  
 باب ما جاء فى حفظ اللسان ) بلفظ : « من يتكفل لى . . . انتكفل . . الخ » .

وأما مضلات الفتن ، فَأَنْ يُفْتَنَ الْعَبْدُ فَيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُهْتَدٍ ، كَمَا قَالَ : ﴿ وَمَنْ يَمَسُّ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيْضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ \* وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿ [سورة الزخرف : ٣٦ ، ٣٧] ، وقال : ﴿ أَفَصْنُ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة فاطر : ٨] ، وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِّفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [سورة غافر : ٣٧] ، وقال : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ [سورة الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤] .

ولهذا تأول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية فيمن يتمدد بغير شريعة الله التي بعث بها رسوله ، من المشركين وأهل الكتاب كالرهبان ، وفي أهل الأهواء من هذه الأمة كالخوارج الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهم ، وقال فيهم : « يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ ، وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمُرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ . أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ، فَإِنْ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرٌ عِنْدَ اللَّهِ لَنْ قَتْلِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » <sup>(١)</sup> . وذلك لأن هؤلاء خرجوا عن سنة رسول

(١) لم أجده الحديث بهذا اللفظ ولكن جاء الحديث في البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرتين تتضمنان أكثر الألفاظ الواردة هنا ، الأولى ٢٠٠/٤ (كتاب المناقب ، باب علامات النبوة) ولفظها : « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما أنه ذو الخويصرة - وهو رجل من بني تميم - فقال : يا رسول الله : أعدل . فقال : وبلك ومن يعدل إذا لم أعدل ، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل . فقال عمر : يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه . فقال : دعه ، فإن له أصحابا يحقر أحداكم صلواته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . . الخ الحديث » . والرواية الثانية ٢٠٠ / ٤ - ٢٠١ ونصها : « يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الإسلام =

الله صلى الله عليه وسلم وجماعة المسلمين حتى كفروا من خالفهم مثل عثمان وعلى وسائر من تولاهما من المؤمنين ، واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم : « يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان » <sup>(١)</sup> .

وإذا اجتمع شهوات النوى ومضلات الفتن قوى البلاء ، وصار صاحبه مفضوباً عليه ضالاً . وهذا يكون كثيراً ، بسبب حب الرئاسة ، والعلو في الأرض ، كحال فرعون . قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُم طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة القصص : ٤] ، فوصفه بالعلو في الأرض والفساد . وقال في آخر السورة : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة القصص : ٨٣] ، ولهذا قال في حق فرعون : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ فِرْعَوْنَ سَوْءَ عَمَلِهِ ﴾ [سورة غافر : ٣٧] .

وذلك أن حب الرئاسة شهوة خفية ، كما قال شذاد بن أوس رضي الله

= كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأبنا لقيتموهم فاقتلوه فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة » .

وجاء الحديث عن الخوارج في البخارى في مواضع أخرى ، وأفرد لهم مسلم أبواباً في صحيحة ٣ / ١٠٩ - ١١٧ (كتاب الزكاة : باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، وباب التحريض على قتل الخوارج ، وباب الخوارج شر الخلق والخليقة) . كما وردت الأحاديث عنهم في سنن أبي داود والترمذى والنسائى وابن ماجة والدارى وفى المسند فى مواضع . وانظر مسند أبى سعيد الخدرى (ط . الحلبي) ٣ / ٣٣ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٣ . وانظر جامع الأصول لابن الأثير ١٠ / ٤٣٢ - ٤٤٢ ؟ مفتاح كنوز السنة : الخوارج .

(١) هذا جزء من حديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه رواه البخارى ١٣٧/٤ (كتاب الأنبياء ، باب قول الله عز وجل : وأما عاد فأهلكوا .. الآية) ؟ ومسلم ١١٠/٣ (كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم) ؟ أبو داود ٤ / ٣٣٥ (كتاب السنة ، باب فى قتال الخوارج) .

عنه : « يا بني العرب ! يا بني العرب ! إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية » . قيل / لأبي داود السجستاني : ما الشهوة الخفية ؟ قال : حب الرئاسة <sup>(١)</sup> . وحُبُّ الشئ يُعَمِّي وَيُصِمُّ ، فيبقى حب ذلك يزِنُّ له ما يهواه ، مما فيه علو نفسه ، ويبغض إليه ضد ذلك ، حتى يجتمع فيه الاستكبار ، والاختيال ، والحسد الذي فيه بفض نعمة الله على عباده ، لا سيما من مناظره .

والكبر والحسد هما داءان أهلكا الأولين والآخرين ، وهما أعظم الذنوب التي بها عُصِيَ الله أولاً . فإن إبليس استكبر وحسد آدم ، وكذلك ابن آدم الذي قتل أخاه حسداً . ولهذا كان الكبر ينافي الإسلام ، كما أن الشرك ينافي الإسلام . فإن الإسلام هو الاستسلام لله وحده ، فمن استسلم له ولغيره فهو مشرك به ، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر ، كحال فرعون وملاه . ولذلك

(١) لم أجد هذا الأثر بهذا اللفظ ، ولكن أورد أحمد في مسنده ( ط . الحلبي ) ١٢٣ / ٤ - ١٢٤ حديثاً عن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم جاء فيه : « . . . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية . قال : قلت : يا رسول الله ، أتشرك أمتك من بعدك ؟ قال : نعم ، أما أنهم لا يعبدون شمساً ولا قرأ ، ولا حجراً ولا وتناً ، ولكن يراءون بأعمالهم . والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه » . وجاء الحديث عن شداد مرة أخرى يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألفاظ مختلفة ٤ / ١٢٥ - ١٢٦ . وروى الحديث بألفاظ مختلفة عن شداد رضى الله عنه ابن ماجه في سننه ٢ / ١٤٠٦ ( كتاب الزهد ، باب الرياء والسعة ) . وذكر المنذرى في الترغيب والترهيب ١ / ٣٣ - ٣٥ عدة روايات للحديث وقال إن الحديث رواه أحمد والبيهقي والحاكم وابن ماجه وتكلم على رواياته المختلفة كما ذكر بعد ذلك ٤ / ٥٠ حديثاً عن عبادة زيد لفظه : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا بني العرب يا بني العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الزنا والشهوة الخفية » ثم قال : « رواه الطبراني بإسنادين أحدهما صحيح ، وقد قيده بعض الحفاظ : الرياء بالراء والياء » .

وانظر مشكاة المصابيح للتبريزي ٧ / ٦٨٦ .

قال لهم موسى : ﴿ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنْ آتَيْكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴾  
 [سورة الدخان : ١٩] ، وقال تعالى عن فرعون : ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ  
 فِي الْأَرْضِ بِفَيْزِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾  
 [سورة القصص : ٣٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَعَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ  
 ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة النمل : ١٤] .

ومن أسلم وجهه لله حقيقاً فهو المسلم الذي على ملة إبراهيم الذي قال له ربه :  
 أَسْلِمَ ، قال : أَسْلَمْتُ لربِّ العالمين .

وهذا الإسلام هو دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم ، كما وصف  
 الله به في كتابه نوحاً وإبراهيم وموسى ويوسف وسليمان وغيرهم من النبيين ،  
 مثل قول موسى لقومه : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ  
 كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس : ٨٤] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ  
 فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾  
 [سورة المائدة : ٤٤] ، وقال نوح عليه السلام : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ  
 مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾  
 [سورة يونس : ٧٢] .

وقال يوسف : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [سورة يوسف : ١٠١]  
 وقالت بلقيس : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾  
 [سورة النمل : ٤٤] .

وليس الفى مختصا بشهوات البطون والفروج فقط ، بل هو فى شهوات  
 الرئاسة والكبر والملو  
 البطون والفروج وشهوات الرئاسة والكبر والملو وغير ذلك . فهو اتباع

المهوى وإن لم يعتقد أنه هوى ، بخلاف الضال ، فإنه يحسب أنه يحسن صنعا ،  
ولهذا كان إبليس أول الفاوين ، كما قال : ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ  
صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَا يَتَيْنَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ  
وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦ ، ١٧] ،  
وقال : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \*  
إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٣٩ ، ٤٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ  
كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ \* قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ  
أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾  
[سورة القصص : ٦٢ ، ٦٣] .

وقد قال تعالى : ﴿ فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْقَاوُونَ \* وَجُنُودُ إبْلِيسَ  
أَجْمَعُونَ ﴾ [سورة الشعراء : ٩٤ ، ٩٥] .

وإنما في الحديث ما يخاف على هذه الأمة من النفي ، وهو شهوات النفي في  
البطون والفروج . فأما النفي الذي هو / الاستكبار عن اتباع الحق ، فذاك أصل  
ط ٧٣ الكفر ، فصاحبه ليس من هذه الأمة ، كإبليس وفرعون وغيرها . وأما غي  
شهوات البطون والفروج ، فذاك يكون لأهل الإيمان ثم يتوبون ، كما قال :  
﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى \* ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾  
[سورة طه : ١٢١ ، ١٢٢] .

وفي السنن والمسند من حديث ليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن  
عمرو ، عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن إبليس قال لربه عز وجل : بمزتك وجلالك لا أبرح أُغْوِي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم . فقال له ربه عز وجل : فبمزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني » (١) .

### ﴿ فصل ﴾

وجميع ما يتوب العبد منه ، سواء كان فعلاً أو تركاً ، قد لا يكون كان عالماً بأنه ينبغي التوبة منه ، وقد يكون كان عالماً بذلك . فإن الإنسان كثيراً ما يكون غير عالم بوجوب الشيء أو قبحه ، ثم يتبين له فيما بعد وجوبه أو قبحه . وقد يكون عالماً بوجوبه أو قبحه ، ويتركه أو يفعله لضعف المقتضى لفعل الواجب ، أو قوة المقتضى لفعل القبيح . لكن هذا لا يكاد يقع إلا مع ضعف العلم بوجوبه أو قبحه ، وإلا فإذا كمل العلم استلزم الإرادة الجازمة في الطرفين ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشَّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [سورة النساء : ١٧] . قال أبو العالية : قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : كل من عصى الله فهو جاهل ، وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب (٢) .

المصيان يقع مع ضعف العلم

(١) الحديث بهذا اللفظ عن أبي سعيد رضي الله عنه في المسند ( ط . الحلبي ) ٢٩/٣ .

(٢) روى ابن جرير في تفسيره ٨ / ٨٩ ( ط . المعارف ) عن أبي العالية : أنه كان يحدث : أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون : كل ذنب أصابه العبد فهو بجهالة . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢ / ١٣٠ ، وقال : أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

وأما بقية الأثر فرواها بمعناها ابن جرير في تفسيره ٨ / ٩٤ - ٩٥ عن الضحاك وعكرمة وابن زيد وغيرهم . وانظر : الدر المنثور ، نفس الصفحة .



وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة الأنعام : ٥٤] .

والمؤمن لا يزال يخرج من الظلمات إلى النور ، ويزداد هدى ، فيتجدد له من العلم والإيمان ما لم يكن قبل ذلك ، فيتوب مما تركه وفعله . والتوبة تصقل القلب وتجليه مما عرض له من رين الذنوب ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن العبد إذا أذنب نُكِتَتْ في قلبه نُكْة سوداء ، فإن تاب ونزع واستغفر صُفِّلَ قلبه ، وإن زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، فذلك الرّان الذي قال الله : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة المطففين : ١٤] » <sup>(١)</sup> .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « إنه ليُغان على قلبي ، وإنى لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » <sup>(٢)</sup> .

والتوبة من الاعتقادات أعظم من التوبة من الإرادات ، فإن من ترك واجباً أو فعل قبيحاً يعتقد وجوبه وقبحه ، كان ذلك الاعتقاد داعياً له إلى فعل الواجب ومانعاً من فعل القبيح ، فلا يكون في فعله وتركه ثابت الدواعي والصوارف ، بل تكون دواعيه / وصوارفه متعارضة . ولهذا يكون الغالب على هذا التلؤم ، وتكون أنفسهم لوامة ، تارة يؤدون الواجب وتارة يتركونه ؛ وتارة يتركون القبيح ، وتارة يفعلونه ، كما تجده في كثير من فساق القبلة الذين يؤدون الحقوق تارة ويمنعونها أخرى ، ويفعلون السيئات تارة ويتركونها

(١) انظر ما سبق ، ص ٢٢٦ ت ١ .

(٢) انظر ما سبق ، ص ٢٢٤ ت ٢ .

أخرى ، لتعارض الإرادات في قلوبهم ، إذ معهم أصل الإيمان الذي يأمر بفعل الواجب وينهى عن فعل القبيح ، ومعهم من الشبهات والشهوات ما يدعواهم إلى خلاف ذلك .

وأما ما فعله الإنسان مع اعتقاد وجوبه ، وتركه مع اعتقاد تحريمه ، فهذا يكون ثابت الدواعي والصوارف ، أعظم من الأول بكثير . وهذا يحتاج توبته<sup>(١)</sup> إلى صلاح اعتقاده أولا وبيان الحق . وهذا قد يكون أصعب من الأول ، إذ ليس معه داع إلى أن يترك اعتقاده ، كما كان مع الأول داع إلى أن يترك مراده . وقد يكون أسهل إذا كان له غرض فيما يخالف موجب الاعتقاد ، مثل الآصار والأغلال التي على أهل الكتاب ، وإذلال المسلمين لهم ، وأخذ الجزية منهم ، مع مخالفة المسلمين له ؛ فهذا قد يكون داعيا إلى أن ينظر في اعتقاده : هل هو حق أو باطل حتى يتبين له الحق ، وقد يكون أيضا مرغبا له في اعتقاد يخرج به من هذا البلاء .

وكذلك قهر المسلمين لعدوهم بالأسر يدعواهم إلى النظر في محاسن الإسلام .  
 فللرغبة والرغبة تأثير عظيم في معاونة الاعتقاد ، كما للاعتقاد تأثير عظيم في الفعل والترك . فكل واحد من العلم والعمل ، من الاعتقاد والإرادة ، يتعاونان . فالعلم والاعتقاد يدعوا إلى العمل بموجبه ، والإرادة رغبة ورهبة ، والعمل بموجبها يؤيد النظر والعلم الموافق لتلك الإرادة والعمل ، كما يقال : من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم .

وفي القرآن شواهد هذا متعددة ، في مثل قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَتَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنِييَةً ﴾ وَإِذَا لَا تَنِيَّاهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا • وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿ [سورة النساء : ٦٦-٦٨] .

(١) في الأصل تحتاج إليه توبته . . الخ .

وفي قوله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة الحديد : ٢٨] ، وغير ذلك .

فإذا كان الإنسان معاقباً على الاعتقاد كما يعاقب الكفار على كفرهم ، كانت التوبة منه ظاهرة ، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة المائدة : ٧٣ ، ٧٤] ، وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا اسْتَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٥] .

ط ٧٤

فأما الاعتقاد المغفور : كالخطأ والنسيان الذي لا يؤاخذ الله به هذه الأمة ، كما في قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] . وقد ثبت في الصحيح أن الله قد فعل ذلك <sup>(١)</sup> . وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » <sup>(٢)</sup> . فهذا

(١) انظر الكلام عن هذا الحديث برواياته المتعددة في تفسير الطبري ( ط . المعارف ١٠٣ / ١٠٥ - ١٤٢ ، ١٤٦ . وانظر الحديث بمعناه في : مسلم ١ / ٨٠ - ٨١ ) كتاب الإيمان ، باب بيان قوله تعالى : وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ؛ المسند ( ط . المعارف ) ٣ / ٣٤١ - ٣٤٢ ( رقم ٢٠٧٠ ) ٥ / ٣٠ - ٣١ ( رقم ٣٠٧١ ) ؛ سنن الترمذي ١١٢ / ١١٣ ( كتاب التفسير ، سورة البقرة ) .

(٢) الحديث عن عمرو بن العاص رضي الله عنه في : البخاري ٩ / ١٠٨ ( كتاب الاعتصام ، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ) ؛ مسلم ٥ / ١٣١ - ١٣٢ ( كتاب الأفضية ، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ) . ولفظ الحديث فيها : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » . وجاء الحديث بلفظ آخر عن عبد الله بن عمرو عن أبيه رضي الله عنهما في المسند ( ط . المعارف ) ١١ / ٣٩ - ٤٠ ( رقم ٦٧٥٥ ) وفي مسند عمرو ( ط . الحلبي ) ٤ / ٢٠٥ . وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه ١١ / ٤١ : ورواه الدارقطني ( س ٥١٠ ) والحاكم ( ٤ : ٨٨ ) .

قد يقال في مثله : إن قيل إنه يُتاب منه فكيف يتاب بما لا ذم فيه ولا عقاب ؟  
وإن قيل : لا يتاب منه فكيف لا يرجع الإنسان إلى الحق إذا تبين له ؟

وجواب ذلك أنه يتاب منه كما يتاب من غيره ، لأن صاحبه قد ترك  
ما هو مأمور به في نفس الأمر من العلم وما يتبعه من أعمال القلوب والجوارح ،  
إما لعجزه عن بلوغه وإما لتقصيره في طلبه .

وأبضا ، فإنه قد فعل من الاعتقاد وما يتبعه من أعمال القلوب والجوارح  
ما هو منهي عنه في نفس الأمر ، لكن سقط عنه النهي لعدم قدرته على  
معرفة قبحه . والتكليف مشروط بالتمكن من العلم والقدرة ، فلا  
يُكَلَّفُ العاجز عن العلم ما هو عاجز عنه ، والناسي والخطيء كذلك .  
لكن إذا تجدد له قدرة على العلم صار مأموراً بطلبه ، وإذا تجدد له العلم صار  
مأموراً حينئذ باتباعه . وصار في هذه الحال مذموماً على ترك ما يقدر عليه من  
طلب العلم الواجب ، وعلى ترك اتباع ما تبين له من العلم .

وأبضا ، فما دام غير مستيقن للحق فهو مأمور بطلب العلم الذي يبين  
له الحق . والمعتقد الخطيء لا يكون مستيقناً قط ، فإن العلم واليقين يجده  
الإنسان من نفسه كما يجد سائر إدراكاته وحركاته ، مثلما يجد سمعه وبصره  
وشمه وذوقه ، فهو إذا رأى الشيء يقينا يعلم أنه رآه ، وإذا علمه يقيناً يعلم أنه  
علمه . وأما إذا لم يكن مستيقناً فإنه لا يجد ما يجده العالم ، كما إذا لم يستيقن  
رؤيته لم يجد ما يجده الرائي ، وإنما يكون عنده <sup>(١)</sup> ظن ونوع إرادة  
توجب اعتقاده .

(١) في الأصل : عند .

هذا هو الذى يحده بنو آدم فى نفوسهم كما قال سبحانه : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ [سورة النجم . ٢٣] . وإذا كان الإنسان مأمورا بطلب العلم الذى يحتاج إليه بحسب إمكانه ، وهو إذا لم يجد العلم اليقينى يعلم أنه لم يجد العلم فهو مأمور بالطلب والاجتهاد ، فإن ترك ما أمر به كان مستحقا للذم والعقاب على ذلك . فإذا تبين له الحق وعلمه ، وعلم أنه كان جاهلا به معتقدا غير الحق كان تائبا ، بمعنى أنه رجع من الباطل إلى الحق ، وإن كان الله قد عفى عنه ما رجع عنه لعجزه إذ ذاك ، وكان أيضا تائبا مما حصل فيه أولا من تفريط فى طلب الحق ، فكثير من خطأ بنى آدم من تفريطهم فى طلب الحق لا من العجز التام . وكان أيضا تائبا من اتباع هواه أولا بغير هدى من الله ، فإن أكثر ما يحصل للإنسان على اتباع الظن الخطىء هو هواه ، كما قال تعالى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾ . وليس توبة هذا وحاله كحال من كان عاجزا عن الفعل ثم قدر عليه كالمريض الذى لا يطيق القيام إذا قدر عليه بعد ذلك ، وكان الخائف إذا أمين ، وكالمصلئ بنيتهم ، ونحو هؤلاء .

وذلك أن هؤلاء إذا كانت إرادتهم للفعل المأمور به على وجه الكمال ثابتة فى قلوبهم ، وقد عملوا ما يقدرون عليه من المراد ، وإنما تركوا تمامه لعجزهم - كان لهم مثل ثواب الفاعل ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث للفتق عليه عن أبى موسى : « إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم » <sup>(١)</sup> . وفى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) الحديث عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه فى : البخارى ٤ / ٥٧ (كتاب الجهاد ، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل فى الإقامة) ولفظه : « إذا مرض العبد أو

قال : « إن بالمدينة رجالاً ما سرتهم مسيراً ولا قطعهم وادياً إلا كانوا معكم ، حبسهم المذر »<sup>(١)</sup> .

وقد قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة النساء : ٩٥] ، فهؤلاء لهم علم بالأمور به الكامل ، واعتقاد الأمر به ، وإرادة فعله بحسب الإمكان ، وهذا كله من أدائهم للأمور به ، فإذا تجددت لهم قدرة لم يتجدد رغبة في الفعل الكامل ، وإنما يتجدد العمل بتلك الرغبة المتقدمة ، وإن كان لابد لهذا الفعل من إرادة تخصه ، ولم يكن هؤلاء مأمورين بذلك إلا في هذه الحال فقط ، كما تؤمر المرأة بالصلاة عند انقضاء الحيض ، وكما يؤمر الصبي بما يجب عليه عند بلوغه ، وكما يؤمر الزكوي بالزكاة بعد ملك النصاب والحوول ، والمصلّي بالصلاة بعد دخول الوقت .

وأما الناسى والمخطئ فإنه لم يكن قد أتى بالعلم والاعتقاد والإرادة ، فلا يثاب على هذه الأمور التي لم تكن له ، بل يكون الذي حصل له ذلك أفضل منه بها ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٩] ، فنفى المساواة بين الذي يعلم والذي لا يعلم مطلقاً ، لم يستثن المذنب كما استثنى في تفضيل المجاهد على القاعد المذنب . وكذلك سائر ما في القرآن من نحو هذا ، كقوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي

== سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقبياً صحيحاً . وهو في مسند أبي موسى ( ط . الحلبي ) ٤ / ٤١٨ مع اختلاف يسير في اللفظ .

(١) الحديث مع اختلاف في اللفظ عن أنس رضي الله عنه في : البخاري ٤ / ٢٦ ( كتاب

الجهاد ، باب من حبسه المذر عن الفزو ) ؟ وعن جابر رضي الله عنه في : مسلم ٦ / ٤٩ ( كتاب الإمارة ، باب ثواب من حبسه عن الفزو مرض أو عذر آخر ) ولفظ مسلم كلفظ الحديث هنا إلا أن فيه : حبسهم المرض .

الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ \* وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ \* وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ \* وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿ [سورة فاطر : ١٩ - ٢٢] ، وقوله : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ [سورة هود : ٢٤] ، وقوله : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِثْنًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَحَصَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [سورة الأنعام : ١٢٢] .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » ، لم يجعل أجر العاجز على إصابة الصواب مع اجتهاده كأجر القادر عليه ، كما جعل للمريض والمسافر مثل ثواب الصحيح المقيم ، كما جعل المعذور من القاعدين عن الجهاد الذي تمت رغبته/ بمنزلة المجاهد ، فإن الأصل هو القلب ، والبدن تابع . فالمستويان في عمل القلب إذا فعل كل منهما بقدر بدنه متماثلان ، بخلاف المتفاضلين في عمل القلب : علمه وإرادته وما يتبع ذلك ، فإنهما لا يتماثلان . ولهذا يعاقب العبد على ما تركه من الإيمان بقلبه .

وإن قيل : إن ذلك تكليف ما لا يطاق ، ولا يعاقب على ما عجز عنه بدنه باتفاق المسلمين ، فهو يعاقب على ترك ما أمر بإرادته وفعله وإن كانت نفسه لا تريده ولا تحبه ، وليس هو معاقباً على ترك ما عجز عنه بدنه ، كجهاد المقعد والأعمى ونحوهما . ونفسه إنما لا تعلم الحق الذي بمث الله به رسله و [ لا ] تريده لتفريطه وتعديه ، إذ آيات ذلك الحق ظاهرة <sup>(١)</sup> وهو محبوب ، وقد خلق الله كل مولود على الفطرة التي تتضمن القوة على معرفة

(١) العبارة في الأصل مضطربة كما يلي : « ونفسه إنما لا تعلم الحق الذي بعث الله به رسله وتريده لتفريطه وتعديه إذا تاب ذلك الحق ظاهرة . . الخ » . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته .

هذا الحق وعلى محبته ، ولكن غير فطرته بما يقّله عن غيره ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبوه يهودانه وينصرّانه ويمجّسانه ، كما تُنْتَجُ البهيمة بهيمة جماء ، هل تحسون فيها من جدعاء !؟ »<sup>(١)</sup> . وإذا كان قد خُلِقَ على الصحة والسلامة ، فهو يستحق العقوبة على ما غيره من خلق الله بتفريطه وعدوانه ، لا تباعه الظنّ وما تهوى الأنفس .

وقد بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [سورة الإسراء : ١٥] ، وهذا ممّا يظهر به الفرق بين المجتهد المخطئ والناسي من هذه الأمة في المسائل الخبرية والعملية ، وبين المخطئ من الكفّار والمشرّكين وأهل الكتاب الذي بلغته الرسالة ، إذا قيل إنه غير معاند للحق ، فإن ذاك لا يكون خطؤه إلا لتفريطه وعدوانه ، لا يُتصور أن يجتهد فيكون مخطئاً في الإيمان بالرسول ، بل متى اجتهد — والاجتهاد است فراغ الوُسْع في طلب العلم بذلك — كان مصيباً للعلم به بلا ريب .

فإن دلائل ما جاء به الرسول ودواعيه في نهاية الكمال والتمام الذي يشمل كل من بلغته ، ولا يترك أحد قط أتباع الرسول إلا لتفريط وعدوان فيستحق العقاب ، بخلاف كثير من تفصيل ما جاء به ، فإنه قد يعزب عنه كثير

---

(١) ذكرت من قبل ( ص ١١ ت ٣ ) أن هذا الحديث جاء بتمامه في منهاج السنة ٢ / ٢٣٤ - ٢٣٥ حيث تكلمت عن طريقه وموضعه في الصحاح ، وحيث نقلت من النووى شرحه للحديث ( شرح مسلم ١٦ / ٢٠٩ ) وفيه : « ( جماء ) بالمد ، أى مجموعة الأعضاء ، سليمة من نقص ، لا يوجد فيها ( جدعاء ) بالمد ، وهى مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء . ومعناه أن البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها ، وإنما يحدث فيها الجذع والنقص بعد ولادتها » .



من خواصّ الأمة وعوامّها ، بحيث لا يكونون في ترك معرفته لا مقصّرين ولا مفرّطين فلا يماقبون بتركه ، مع أنّهم قد آمنوا به إيماناً عملاً في إيمانهم بما جاء به الرسل ، فهم آمنوا به مجملًا ومعهم أصول الإيمان به ، كما أن الفاسق معه <sup>(١)</sup> الدواعي لفعل المأمور وترك المحظور .

فلهذا كان الخطيئة بالتأويل من هذه الأمة ، والفاسق بالفعل مع صحة الاعتقاد ، كل منهما محسنًا من وجه مسيئًا من وجه ، وليس واحد منهما كالكفّار من المشركين وأهل الكتاب ، وإن كانوا في ذلك على درجات متفاوتة ، بل كل منهما ليس تاركًا لما أمر به من الاعتقاد والعمل مطلقًا / ولا فاعلاً لضده مطلقًا ، بل التأويل قد آمن إيمانًا عامًا بكل ما جاء به الرسول ، واستسلم لكل ما أمره به . وهذا الإيمان والإسلام يتناول ما جهله ، ويدعوه إلى الإيمان والإسلام المفصّل إذا علمه ، لكن عارض ذلك من جهله وظلمه لنفسه ما قد يكون مففوراً له وقد يكون معذباً به .

ولذلك الفاجر بالعمل معه من الإيمان بقبح الفعل وبفضه ما هو [داع له إلى] <sup>(٢)</sup> فعل الأصل المأمور به وداع له إلى تركه ، لكن عارض ذلك من هواه ما منع كمال طاعته ، بخلاف المكذّب للرسول صلى الله عليه وسلم والكافر به ، فإنه لم يصدّق بالحق ولم يستسلم له لا جهلة ولا تفصيلاً ، لكن قد يكون ما اتبعه من ظنه وهواه موجباً لبعض ما جاء به الرسول ومانعاً له من النظر فيه بحيث لا يستطيع مع ذلك أن يسمع به ، فهذا واقع ، كما قال سبحانه : ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿ [سورة الكهف : ١٠٠-١٠١] ،

(١) في الأصل : مع .

(٢) ما بين المقوفتين زيادة يقتضيها السياق .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَدَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ \* الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ \* أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُفْجِرِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة هود : ١٨ - ٢٠] .

لكن عدم هذه الاستطاعة كان بتفريطه وعدوانه ، ومن كان تركه للأمر بذنوب منه ، أو ضروره إلى المحذور بذنوب منه - لم يكن ذلك مانعاً من ذمه وعقابه ، ومن هذا قوله سبحانه : ﴿ وَتَقَلَّبُ أَفْنِدَتُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٨٨] ، وقال : ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة النساء : ١٥٥] .

وبهذا يظهر ضعف قول طائفة من المتكلمين الذين يقولون : الخطأ والإثم يتلازمان . ثم منهم من يقول : كل مجتهد في المسائل العملية مصيب ؛ كما يقوله كثير من المعتزلة والأشعرية . ومنهم من يقول : بل فيها مخطيء ، والمخطيء آثم ، كما يقوله الميرسي وغيره <sup>(١)</sup> ؛ وذلك أنهم اعتقدوا أنه حيث يكون مخطئاً يكون تاركاً لما وجب عليه .

(١) يقول الآمدى - من أئمة متأخرى الأشاعرة - في كتابه « الإحكام في أصول الأحكام » ( ط . المعارف ، ١٣٣٢ / ١٩١٤ ) ٤ / ٢٤٤ : « وافق أهل الحق من المسلمين على أن الإثم معطوط عن المجتهدين في الأحكام الشرعية ، وذهب بشر الميرسي وابن علية وأبو بكر الأصبهاني ونفاة القياس - كالظاهرية والإمامية - إلى أنه ما من مسألة إلا والحق فيها متين ، وعليه دليل قاطع ، فن أخطأ فهو آثم غير كافر ولا فاسق » .

ثم قال الأولون : فإذا لم يكن تاركاً للأمور به ، فلا يكون لله في المسألة حكم معين ، أو لا يكون الحكم المنصوص حكماً في حقه إذا لم يتمكن من معرفته .

وقال الآخرون : بل إذا كان مخطئاً يكون تاركاً للأمور به فيكون آثماً .

والتحقيق أنه مأمور به أسراً مطلقاً ، لكن شرط الإثم بمنزلة التمكن من معرفته ، فإذا لم يتمكن من معرفته لا يكون شرط الإثم موجوداً فيه . ولكن ذلك لا ينفى أن يكون هو المأمور به ، وهو الذي يحبّه الله ويرضاه ، ويُنيب فاعله إذا فعله . وإنما سقط عن بعض العباد لقوات الشرط في حقه خاصة ، وحينئذ فيكون النزاع في بعض المواضع نزاعاً لفظياً .

ولهذا اختلف العلماء : هل هو مصيب في اجتهاده وإن كان مخطئاً في نفس الأمر ؟ أو هو مخطئ في اجتهاده وفي نفس الأمر ؟ على قولين ذكرهما القاضي روايتين عن أحمد . وذلك أن الخطأ في الاجتهاد قد يعنى به القصور والتقصير ، وقد لا يعنى به إلا التقصير ، إذ العاجز عن معرفة الحكم الذي لله عاجز قاصر ، ليس بمقصر ولا مفرط فيما بعدّ عليه . فإذا قال : أخطأ في اجتهاده ، أراد أخطأ في استدلاله ، بمعنى أنه لم يستدلّ بالدليل الذي يوصله إلى نفس الحق ، ولا ريب أنه أخطأ هذا الاستدلال الموصل له إلى الحق ، إذ لو أصابه لأصاب / الحق ، لكنه لم يكن قادراً على هذا الاستدلال فلا يعاقب على تركه .

ط ٧٦

ومن قال : لم يخطئ في اجتهاده ، أراد أنه لم يخطئ فيما قدر عليه من الاجتهاد ، بل فعله على وجهه ، لكن لم يكن مقدوره من الاجتهاد كافيّاً في إدراك المطلوب في نفس الأمر .

ومثل هذا النزاع أن يُقال : هل فعل ما أمر به أو لم يفعل ما أمر به ؟  
 فالأمور به في نفس الأمر لم يفعله ، وأما المأمور به في حقه من العمل الممكن  
 فقد فعله . ولذلك إذا اشبهت أخته بأجنبية ، هل يقال : الحرام - في نفس  
 الأمر - واحدة ، أم الاثنان محرمتان ؟ على القولين بهذا الاعتبار .

### ﴿ فصل ﴾

فأما التوبة من الحسنات فلا تجوز عند أحد من المسلمين ، بل من تاب  
 من الحسنات ، مع علمه بأنه تاب من الحسنات ، فهو إما كافر وإما فاسق .  
 وإن لم يعلم أنه تاب من الحسنات فهو جاهل ضال . وذلك أن الحسنات هي  
 الإيمان والعمل الصالح ، فالتوبة من الإيمان هي الرجوع عنه ، والرجوع عنه  
 رِدَّةٌ ؛ وذلك كفر . والتوبة من الأعمال الصالحة رجوع عما أمر الله به ،  
 وذلك فسوق أو معصية .

التوبة من  
 الحسنات لا تجوز  
 عند أحد من  
 المسلمين

والله تعالى حَبَّبَ إلى المؤمنين الإيمان ، وكرهَ إليهم الكفرَ والفسوقَ  
 والعصيان . فكل حسنة يفعلها العبد إما واجبة وإما مستحبة . والتوبة تتضمن  
 الندم على ماضى ، والعزم على أن لا يعود إلى مثله في المستقبل . والندم يتضمن  
 ثلاثة أشياء : اعتقاد قبح ما ندم عليه ، وبفضه وكرهه ، وألم يلحقه عليه .  
 فمن اعتقد قبح ما أمر الله به أمرًا إيجابًا أو استحبابًا ، أو أبغض ذلك وكرهه  
 بحيث يتألم على فعله ، ويتأذى بوجوده ، ففيه من النفاق بحسب ذلك . وهو  
 إما نفاق أكبر يخرج من أصل الإيمان ، وإما نفاق أصغر يخرج من كماله  
 الواجب عليه . قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرِهُوا  
 رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [سورة محمد : ٢٨] . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا

مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ  
آمَنُوا فَرَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ  
فَرَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿ [سورة التوبة :  
١٢٤ ، ١٢٥] . وقال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ  
لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [سورة الإسراء : ٨٢] .

بل إذا علم العبد أن هذا الفعل قد أمره الله به وأحبه ، فاعتقد هو أن ذلك  
ليس مما أمر الله به وأبغضه وكرهه ، فهو كافر بلاريب . فمثل هذه التوبة  
عن الحسنات هي ردة محضة عن الإيمان وكفر بالإيمان : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ  
فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٥] .

فإطلاق القول بأن الحسنات يُتاب منها هو كفر يجب أن يُستتاب  
صاحبه ، إذ معناه أنه يؤمر بالرجوع عن الحسنات ، واعتقاد أن الرجوع عن  
الحسنات يقرب إلى الله ، وهذا كفر بلاريب . ثم إن هذه التوبة متناقضة  
بممنعة في نفسها ، فإن التائب من الحسنات إن اعتقد أن هذه التوبة / حسنة ،  
فعلية أن يتوب منها ، فتكون باطلة ، فلا يكون قد تاب من الحسنات . وإن  
اعتقد أنها سيئة كان مقراً بأن هذه التوبة محرمة ، فقد التزم أحد أمرين : إما  
أنه لم يتب من الحسنات ، أو تاب توبة محرمة . وهذا اشتبه عليه حال السابقين  
المقربين الذين يتوبون من ترك المستحبات ، أو فعل المكروهات غير المحرمات ،  
فظن أنهم تابوا بما فعلوه من الحسنات وتركوه من المحرمات ، فإنهم لو تابوا  
من ذلك لكانوا مرتدين [إما]<sup>(١)</sup> عن أصل الإيمان وإما عن كماله . وإنما هي  
توبة عما تركوه من مستحب وفعلوه من مكروه ، مثل أن يكون العبد يصلي  
صلاة مجزئة غير كاملة ، فتبلغه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم المستحبة ، فيصل  
كصلاته ، ويندم على ما كان يفعله من الصلاة الناقصة .

(١) إما : زيادة يقتضيها السياق .

فهو لا يتوب مما فعله من الحسن ، وإنما يتوب مما تركه من الحسن ، ولهذا ينسب نفسه إلى التفريط بما أضاعه من الحسنات . وكذلك إذا سمع فضائل الأعمال المستحبة وما وعد الله لأصحابها من علو الدرجات ، فيندم على ما فرط من ذلك ، ويعزم على فعلها ، فهو توبة مما تركه من الحسنات .

وكذلك لو كان يصبر على المكاره ، مثل الفقر والمرض وخوف المدو ، من غير رضى بذلك ، فبلغه مقام أهل الرضا ، وأنه أعلى من الصبر الذى لارضا معه ، وأن هؤلاء يستحقون رضوان الله عليهم ، وأن أول من يدعى إلى الجنة الحَمَادُونَ الذين يحمَدُونَ الله على السراء والضراء ، وما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عباس : « إن استطعت أن تعمل لله بالرضا مع اليقين فافعل ، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما يُكره خيراً كثيراً »<sup>(١)</sup> .

فهذا يتوب من ترك الرضا ، لا من نفس ما أمر به من الصبر ، فإن الصبر يبقى مع الرضا ، لا بد من الصبر في الحالين ، لكن تذهب مرارة الكراهة بالرضا ، وتلك المرارة ليست من الحسنات المأمور بها ، ولا هي داخلة أيضاً في حد الصبر المأمور به ، بل الصبر قد تكون معه مرارة ، وقد لا تكون .

ومن اعتقد أن الصبر لا يكون إلا مع مرارة ، وأنه ضد الرضا - فقد تكلم بعرف بمض المتأخرين ، وليس ذاك عرف الكتاب والسنة ، فإن الله تعالى أمرنا بالصبر وأثنى على أصحابه في أكثر من تسعين موضعاً من كتابه .

---

(١) قال المصنف في هذا الحديث في تعليقه على الإحياء ١٢ / ٣٤ : « الترمذى من حديث ابن عباس » ولم أستطع معرفة مكان الحديث .

والله تعالى لا يأمر بما هو مكروه أو ترك الأفضل ، ولا يكون ذلك إلا بفعل الحسن ، لا بترك الأحسن .

وهذا يعرف قول من قال : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » . مع أن هذا اللفظ ليس محفوظا عن قوله حجة ، لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من سلف الأمة وأئمتها . وإنما هو كلام<sup>(١)</sup> وله معنى صحيح ، وقد يحمل على معنى فاسد .

أما معناه الصحيح فوجهان :

أحدهما : أن الأبرار يقتصرون على أداء الواجبات وترك المحرمات ، وهذا الاقتصار سيئة في طريق المقربين . ومعنى كونه سيئة أن يخرج صاحبه عن مقام المقربين ، فيُحرّم درجاتهم ، وذلك مما يسوء من يريد أن يكون من المقربين . فكل من أحب شيئا وطلبه إذا فاته محبوبه ومطلوبه ساءه ذلك . فالمقربون يتوبون من الاقتصار على الواجبات ، لا يتوبون من نفس الحسنات التي يعمل مثلها الأبرار ، بل يتوبون من الاقتصار عليها . وفرق بين التوبة من فعل الحسن وبين التوبة من ترك الأحسن والاقتصار على الحسن .

الثاني : أن العبد قد يؤمر بفعل يكون حسنا منه ، إما واجبا ، وإما مستحبا ، لأن ذلك مبلغ / علمه وقدرته . ومن يكون أعلم منه وأقدر لا يؤمر بذلك ، بل يؤمر بما هو أعلى منه ، فلو فعل هذا ما فعله الأول كان ذلك سيئة . مثال ذلك أن العاقل يؤمر بمسألة العلماء المأمونين على الإسلام والرجوع إليهم بحسب قوة إدراكه ، وإن كان في ذلك تقليد لهم ، إذا لا يؤمر العبد إلا بما يقدر عليه . وأما العلماء القادرون على معرفة الكتاب والسنة والاستدلال

(١) بعد كلمة « كلام » يياض في الأصل موضع كلمة واحدة .

بهما فلو تركوا ذلك وأتوا بما يؤمر به العامى لكانوا مسيئين بذلك .

وهذا كما يؤمر المريض أن يصلى قائماً ، فإن لم يستطع فقاعداً ، فإن لم يستطع فعلى جنب . وكما يؤمر المسافر أن يصلى الظهر والعصر والمغرب والمساء ركعتين في السفر ، وهذا لو فعله المقيم لكان مسيئاً تاركاً للفرض ، بل فرضه أربع ركعات . فإن المرض والسفر لا ينقص العبد عن كونه مقرباً إذا كان ذلك حاله في الإقامة ، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم » <sup>(١)</sup> .

بخلاف العلم والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال والمسابقة إلى الخيرات ، فإن الله يقول : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [سورة المجادلة : ١١] ، ويقول : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ [سورة النساء : ٩٥] ، ويقول في كتابه : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ [سورة الحديد : ١٠] ، ويقول : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ \* يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ \*



خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» [سورة التوبة : ١٩ - ٢٢] .

وكذلك في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ سِتْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » <sup>(١)</sup> وقال : « خير القرون القرن الذين بمثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » <sup>(٢)</sup> .

فالعلم والجهاد كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما يدخل في ذلك هو واجب على الكفاية من المؤمنين . فمن قام به كان أفضل ممن لم يقم به ، وإذا ترك ذلك مَنْ تَعَيَّنَ عليه كان مذنباً مسيئاً ، فيكون ذلك سيئة له إذا تركه ، وحسنة مفضلة له على غيره إذا فعله . وإن كان القيام بالواجبات بدون ذلك من حسنات من لم يكن قادراً على ذلك . فحسنات هؤلاء الأبرار - وهي الانقصار على ذلك - سيئات أولئك المقربين .

(١) الحديث في : البخارى ٥ / ٨ ( كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذاً خليلاً ) ؛ مسلم ٧ / ١٨٨ ( كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة ) . وهو في : سنن أبي داود ٤ / ٢٩٧ - ٢٩٨ ( كتاب السنة ، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ) ؛ المسند ( ط . الحلبي ) ٣ / ١١ ، ٥٤ ، ٦٣ - ٦٤ . والحديث مروي بمعناه عن أبي هريرة رضي الله عنه في : مسلم ( نفس الموضع ) ؛ سنن ابن ماجه ١ / ٥٧ ( المقدمة ، باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ) .

وفي اللسان : المد ضرب من المسكايل وهو ربع صاع ، وهو قدر مد النبي صلى الله عليه وسلم ، والصاع خمسة أوطال . وقال النووي ( شرح مسلم ١٦ / ٩٣ ) : « وقال أهل اللغة النصف : النصف . . . ومعناه لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد أصحابي مداً ولا نصف مد » .

(٢) انظر : البخارى ٥ / ٢ - ٣ ( كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ) ؛ مسلم ٧ / ١٨٤ - ١٨٦ ( كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ) . وقد تكلفت عن هذا الحديث وعن رواه وطرقه ومواضعه في الصحاح بالتفصيل في « منهاج السنة » ٢ / ٢٤ ( ت ١ ) .

وكذلك السابقون الأولون من هذه الأمة فيما فعلوه من الجهاد والهجرة لو تركوا ذلك واقتصروا على ما دونه كان ذلك من أعظم سيئاتهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » <sup>(١)</sup> كان الاقتصار على مجرد ذلك من حسنات الأبرار الذين ليسوا من أولئك السابقين .

وكذلك المرسلون لهم مأمورات لو تركوها كان ذلك سيئات ، وإن كان فعل ما دونهما حسنات لغيرهم ممن لم يؤمر بذلك ، إلى نظائر ذلك مما يؤمر فيه العبد بفعل لم يؤمر به من هو دونه ، فيكون ترك ذلك سيئة في حقه ، وهو من المقربين إذا فعله ، ويكون فعل ما دون ذلك حسنات لمن دونه .

وذلك أن الإنسان يفضل على غيره إما بفعل مستحب في حقها ، وإما بما يؤمر به أحدهما دون الآخر فيفعله ، وتخصيصه / بفعله قد يكون لقدرته وقد يكون لامتناعه بسببه ، كمن له والدان فإنه يؤمر ببرّهما ويكون بذلك أفضل ممن لم يعمل مثل عمله ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حق المتصدقين بفضول أموالهم المشاركون لغيرهم في الأعمال البدنية : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » فهؤلاء المفضلون الاقتصار على ما دون هذه الأمور سيئات في حقهم وحسنات لمن ليس مثلهم في ذلك .

ص ٧٨

(١) جاء هذا الحديث ( مع اختلاف في اللفظ أحياناً ) في : البخارى في عدة مواضع ، فهو في ثلاثة مواضع من كتاب الجهاد والسير ( ج ٤ ) : ص ١٥ ( باب فضل الجهاد والسير ) ، ص ٢٣ ( باب وجوب النفير ) ، ص ٧٥ ( باب لا هجرة بعد الفتح ) . وهو أيضا في : ٤ / ١٠٤ ( كتاب الجزية ، باب إثم الغادر للبر والفاجر ) ، ٥ / ٥٧ ( كتاب منافع الأنصار ، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ) ، ٥ / ١٥٢ ( كتاب المغازي ، باب وقال الله ) . والحديث في مسلم ٦ / ٢٧ - ٢٨ ( كتاب الإمارة ، باب المبايعة بعد فتح مكة ) ؛ المسند ( ط . المعارف ) ٣ / ٣٠٧ - ٣٠٨ ( رقم ١٩٩١ - وانظر التعليقات ) ، ٤ / ١٢٧ ( رقم ٢٣٩٦ ) ، ٣٢١ ( رقم ٢٨٩٨ ) - وانظر التعليقات وهو في سنن النسائي ( بشرح السيوطي ) ٧ / ١٤٦ ( كتاب البيع ، باب ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة ) .

فهذان الوجهان كلاهما معنى صحيح لقول القائل : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

وأما المعنى الفاسد فإن يظنَّ الظَّانُّ أنَّ الحسنات التي أمر الله بها أسراً عامّاً يدخل فيه الأبرار ويكون سيئاتٍ للمقربين ، مثل من يظن أن الصلوات الخمس ومحبة الله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين لله ونحو ذلك هي سيئات في حق المقربين . فهذا قول فاسد غلا فيه قوم من الزنادقة المنافقين المنتسبين إلى العلماء والعُباد ، فزعموا أنهم يصلون إلى مقام المقربين الذي لا يؤمرون فيه بما يؤمر به عموم المؤمنين من الواجبات ، ولا يحرم عليهم ما يحرم على عموم المؤمنين من المحرمات ، كالزنا والخمر والميسر .

وكذلك زعم قوم في أحوال القلوب التي يؤمر بها جميع المؤمنين أن المقربين لا تكون هذه حسنات في حقهم .

وكلا هذين من أخبث الأقوال وأفسدها .

وإنما قلنا : إن التائب من الحسنات - إن علم أنها حسنات - وتاب منها فقد أذنب إما بكفر أو فسوق أو معصية ، وإن لم يعلم أنها حسنات فهو ضالّ جاهل ، لأنه إذا تاب مما يسمى حسنة ، وكان حسنة في الشريعة حقيقة قد أمر الله بها ، فهو راجع عن طاعة الله التي هي طاعته وهي حسنة . والرجوع عن طاعة الله ودينه لا يخرج عن أن يكون ردةً عن أصل الدين فيكون كفراً مغفلاً ، وإما عن كماله . هذا لو كان الرجوع بنفس الترك ، فإن ترك الإيمان كفر ، وترك الواجبات إما فسق وإما معصية ، وترك المستحبات المتطوعة يؤخّر درجته . هذا إذا كان تركاً محضاً ، فأما إذا اعتقد مع ذلك أن الحسنات التي يحبها الله ورسوله مما يُتاب منها بحيث يندم العبد عليها ، فيعتقد أن تركها خيرٌ من فعلها ، أو أنها ليست مأموراً بها ، أو أنها لا تقرب إلى الله أو لا تنفع

عنده ، أو أبغضها وكرها ، ورجع عنها وتألم من فعلها منديئاً بذلك - فهذا كافر مرتدّ تجب استتابته بلا نزاع بين العلماء . وهذا هو معنى التوبة . فَعَلَمَ أن القول بأن الحسنات يتاب منها كفر محض .

وأما إن لم يعلم أنها حسنات ، بل تاب بما كان يسميه - أو غيره - حسنات ، أو كان حسنةً في الشريعة ولم يعلم العبد أنه حسنة بل ظن أنه سيئة ، أو كان سيئةً منهياً عنها ، واعتقد المرء أنه حسنة مأمور بها - فهو ضالّ جاهل ، وهذا عليه أن يتوب من هذا الاعتقاد والعمل الذي كان يعتقد أنه حسنة ، كما يتوب كل ضالّ من الكفار وأهل الأهواء المشركين وأهل الكتاب ، والمبتدعة كالخوارج والروافض والقدرية والجهمية وغيرهم . فإن هؤلاء يتوبون مما كانوا يظنونه حسنات ، لا يتوبون مما هو في الشريعة حسنات ، ولا يطلقون القول إنا نتوب من الحسنات ، ولا أن التوبة من الحسنات فعل المقربين ، ولا أن التوبة من الحسنات مشروع للسابقين ، ولا أن الذي تبنا منه كان حسنات . ولكن يقولون : نتوب مما كنا نظن أنه حسنات وليس بحسنات ؛ كما قيل :

إِذَا تَحَاسِبْنِي أَلَا تَنِي أُدِلُّ بِهَا  
كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ<sup>(١)</sup>

وكذلك يتوب المرء مما يعمده حسنات له وهو مقصر في فعله ، أو خائف من تقصيره في فعله ، كما قال تعالى : « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ

(١) البيت للبحرئ من قصيدة بمدح بها علي بن مر الأرمني أولها :

في الشيب زجر له لو كان ينزجر وبالغ منه لولا أنه حجر

(الدبوان ٤٣/٢)

وَجِلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿ [سورة المؤمنون : ٦٠] . وقد روى عن عائشة أنها قالت : يا رسول الله : أهو الرجل يثرتي ويسرق ويشرب الخمر ويخاف ؟ قال : « لا يابنت الصديق . ولكنه الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف ألا يُقبلَ منه » (١) .

وهذا لأن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٢٧] ، أى من الذين يتقونه في العمل .

والتقوى في العمل بشيئين : أحدهما إخلاصه لله ، وهو أن يريد به وجه الله لا يشرك بعبادة ربه أحداً . والثاني : أن يكون مما أمره الله به وأحبه ، فيكون موافقاً للشرعة ، لامن الدين الذى شرعه من لم يأذن الله له ، وهذا كما قال الفضيل بن عياض في قوله : ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (سورة هود : ٧) قال : أخلصه وأصوبه . وذلك أن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل حتى يكون خالصاً صواباً . والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة .

فالسعيد يخاف في أعماله أن لا يكون صادقاً في إخلاصه الدين لله ، أو أن لا تكون موافقه لما أمر الله به على لسان رسوله . ولهذا كان السلف يخافون النفاق على أنفسهم ، فذكر البخارى عن أبي العالية قال : « أدركت ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كلهم يخاف النفاق على نفسه » (٢) . ولهذا كانوا يستثنون فيقول أحدهم : أنا مؤمن إن شاء الله ، ومثل هؤلاء يستغفرون الله مما علموه أو لم يعلموه من التقصير والتعدي ويتوبون من ذلك .

(١) الحديث في سنن ابن ماجة ٢ / ١٤٠٤ ؛ الدر المنثور ٥ / ١١ .

(٢) في صحيح البخارى ١ / ١٤ ( كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ) : « وقال ابن أبي مليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل » .

وهذا مشروع للأنبياء والمؤمنين . كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر بعد الصلاة ثلاثاً<sup>(١)</sup> . وقال تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٧] . قالوا : كانوا يُحْيُونَ الليلَ صلاةً ، ثم يقعدون في السَّحَرِ يستغفرون ، فيحتمون قيام الليل بالاستغفار . وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ \* ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٩٨ ، ١٩٩] ، وقال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا \* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

فإن قيل : قد قال تعالى : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة النور : ٣١] ، وفي المؤمنين من لا ذنب له ، فيكون أمره بالتوبة أمراً بالتوبة من الحسنات ، وكذلك توبة الأنبياء وهم معصومون ؟

قيل : هذا من أعظم القرية ، لم تأت الشريعة بالتوبة من الحسنات ، وهي مأمورة به من طاعته وطاعة أنبيائه . وليس في المؤمنين إلا من له ذنب من ترك مأمور أو قتل محظور ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون »<sup>(٢)</sup> .

لم تأت القرية  
بالتوبة من  
الحسنات

وقد قال تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ

(١) في صحيح مسلم ٩٤/٢ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استجابة الذكر بعد الصلاة وبيان صفته) : ... عن ثوبان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً ، وقال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام » - قال الوليد : فقلت للأوزاعي : كيف الاستغفار ؟ قال : تقول : استغفر الله استغفر الله

(٢) انظر ما سبق ، ص ٢٢٥ ت . .

الْمُتَّقُونَ \* لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ \* لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [سورة الزمر : ٣٣ - ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَنْقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّاتِ وَعَدَ الصَّادِقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [سورة الأحقاف : ١٦] .

وأصل هذه المقالة ، وهو دعوى العصمة في المؤمنين وما يشبه ذلك ، هو أصل هذه المقالة هو دعوى العصمة في المؤمنين من أقوال الغالية من النصارى وغالية هذه الأمة ، وابتدعها في الملتين منافقوها .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [سورة النساء : ١٧١] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُبْوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ \* وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٧٩ ، ٨٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيْرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَيْ يُؤْفَكُونَ \* اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ

أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا  
إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ [ سورة التوبة :  
٣٠ ، ٣١ ] .

وقد روى في حديث عدى بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
قلت يا رسول الله : ما عبدوهم . قال : « أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم ، وحرّموا  
عليهم الحلال فأطاعوهم ، فتلك عبادتهم إياهم » <sup>(١)</sup> .

وهذا الغلو الذى فى النصارى حتى اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله  
واتخذوا أجبّارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله - قد ذكروا أن أول من ابتدعه  
لهم بولص الذى كان يهودياً فأسلم واتبع المسيح نفاقاً ليلبس على النصارى دينهم ،  
فأحدث لهم مقالات غالية ، وكثرت البدع فى النصارى : فى اعتقاداتهم  
وعباداتهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ  
إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا  
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [ سورة الحديد : ٢٧ ] .

وكذلك أول ما ابتدعت مقالة الغالية فى الإسلام من جهة بعض من كان  
قد دخل فى الإسلام وانتحل التشيع . وقيل : أول من أظهر ذلك عبد الله بن سبأ  
الذى كان يهودياً فأسلم ، وكان ممن أقام الفتنة على عثمان ، ثم أظهر موالاته  
على . وهو من ابتدع الغلو فى على <sup>(٢)</sup> ، حتى ظهر فى زمانه من ادعى فيه الإلهية

غلو الشيعة فى  
دعوى المصّة

(١) الحديث فى سنن الترمذى ١١ / ٢٣٨ - ٢٣٩ (كتاب التفسير ، سورة التوبة)  
ولفظه : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفى عنق صليب من ذهب ، فقال : يا عدى اطرح  
عنك هذا الوثن . وسمته يقرأ فى سورة براءة : ( اتخذوا أجبّارهم ورهبانهم أرباباً من دون  
الله ) قال : أما أنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا  
حرّموا عليهم شيئاً حرّموه » .

(٢) انظر ما ذكرته عن عبد الله بن سبأ والسبئية فى « منهاج السنة » ١٤ / ١٥ -  
( ت ٦ ) ، ٢٢٠ ( ت ١ ) . وانظر : فرق الشيعة للتوبخى ( ط . النجف ، ١٣٧٩ / =



وسجدوا له لما خرج من باب مسجد كندة ، فأمر على رضي الله عنه بتحريقهم بالنار بعد أن أجلبهم ثلاثه أيام<sup>(١)</sup> . وفي الصحيح أن ابن عباس بلغه أن علياً حرق زنادقة فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يُعَذَّبَ بعذاب الله ، ولضربت رقابهم بالسيف ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه »<sup>(٢)</sup> . قالوا : وهم هؤلاء ، وقد رووا قصتهم مستوفاة . ورووا أنه أظهر أيضاً سب أبي بكر وعمر حتى طلب على أن يقتله فهرب منه<sup>(٣)</sup> . ولما بلغ علياً أن أفواماً يفضلونه على أبي بكر وعمر قال : « لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدّ المفترى » تحقيقاً لما رواه البخاري في صحيحه عن محمد بن الحنفية أنه سأل أباه : من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أبو بكر . قال : ثم من ؟ قال : ثم عمر . وقد روى ذلك عن علي من نحو ثمانين طريقاً ، وهو متواتر عنه<sup>(٤)</sup> . وروى هذا المعنى عنه من

---

(= ١٩٥٩) ، ص ٤٣ - ٤٤ ؛ مقالات الإسلاميين ١ / ٨٥ - ٨٦ ؛ التبصير في الدين ، ص ٧١ - ٧٢ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٤٣ - ١٤٥ ؛ الملل والنحل ١ / ١٥٥ - ١٥٦ ؛ الحطط للمقرئ ٢ / ٣٥٦ - ٣٥٧ ؛ الفصل لابن حزم ٤ / ١٨٦ ؛ البدء والتاريخ ٥ / ١٢٥ ، ١٢٦ ؛ المحور العين للحميري ، ص ١٥٤ ؛ لسان الميزان ٣ / ٢٨٩ - ٢٩٠ ؛ رجال الطوسي ( ط . النجف ١٣٨١ / ١٩٦١ ) ص ٥١ ؛ الأعلام ٤ / ٢٢٠ ؛ مرتضى العسكري : عبد الله بن سبأ ، ط . ثانية ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨١ .  
(١) انظر خبر هذه الواقعة في أكثر المراجع المذكورة في التعليق السابق ، وانظر منهاج السنة ١ / ٢١٩ .

(٢) الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه في : البخاري ٩ / ١٥ ( كتاب استنباط المرتدين ، باب حكم المرتد والمرتدة ) ؛ سنن أبي داود ٤ / ١٨٠ ( كتاب الحدود ، باب الحكم فيمن ارتد ) ؛ سنن الترمذي ( بشرح ابن العربي ) ٦ / ٢٤٢ - ٢٤٣ ( كتاب الحدود ، باب ما جاء في المرتد ) ؛ سنن النسائي ( بشرح السيوطي ) ٧ / ١٠٤ ( كتاب تحريم الدم ، باب الحكم في المرتد ) ؛ سنن ابن ماجه ٢ / ٨٤٨ ( كتاب الحدود ، باب المرتد عن دينه ) ؛ المنذ ( ط . المعارف ) الأرقام : ١٨٧١ ، ١٩٠١ ، ٢٥٥١ ، ٢٥٥٢ .  
(٣) المقصود هنا عبد الله بن سبأ وفرقته ، وانظر لسان اليزان ٣ / ٢٨٩ - ٢٩٠ .  
(٤) تكلمت عن هذا الخبر موقوفاً ومرفوعاً في منهاج السنة ١ / ٧ ، ٢٢٠ ، ٢ / ٢ =

وجوه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، كما رواه الترمذى <sup>(١)</sup> ، ورواه الدارقطنى فى كتاب « ثناء الصحابة على القرابة وثناء القرابة على الصحابة » <sup>(٢)</sup> .

وحينئذ ابتدَعَ القول بأن عليًا إمام منصوب على إمامته ، وابتدع أيضا القول بأنه معصوم أعظم مما يعتقده المؤمنون فى عصمة الأنبياء ، بل ابتدع القول بنبوته ، وحدث بإزاء هؤلاء من اعتقد كفره وردّته واستحلّ قتله على ذلك من الخوارج ، ومن اعتقد فسقه أو ظلمه من الأموية وبعض أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم <sup>(٣)</sup> ، ومن لم يعتقد إمامته ولا إمامة غيره فى زمانه ، أو جعل إمامته وإمامة غيره سواء مع اعتقاده فضله وسابقته <sup>(٤)</sup> . فهؤلاء الثلاثة حدثت بإزاء تلك الثلاثة : فالغالية والرافضة والمفضّلة ، بإزاء المكفّرة والمفسّقة والمتوقّفة عن اختصاصه بالإمامة إذ ذاك .

- = ٥١ وذكرت فى الموضع الأخير مكانه فى صحيح البخارى وفى سنن أبى داود وسنن أبى ماجه وبينت أنه ورد فى مسند أحمد ( ط . المعارف ) ٢٤ مرة وذكرته أرقامه فيه .
- (١) فى سنن الترمذى ( بشرح ابن العربى ) ١٣ / ١٣٢ ( كتاب المناقب ، باب فى مناقب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما كليهما ) : « عن على عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أبوبكر وعمر سيّداً ، أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين ، لا تخبرهما بأعلى » . وذكر السيوطى فى الجامع الصغير ١٠ / ٢ ( ط . مصطفى الحلبي ، ١٣٥٨ / ١٣٥٩ ) حديثاً آخر رواه ابن عسّاكر عن على والزبير معا عن النبي صلى الله عليه وسلم ونصه : « خير أمتى بعدى أبوبكر وعمر » وحسن السيوطى الحديث . وانظر سنن أبى ماجه ١ / ٣٨ - ٣٩ ( المقدمة ، باب فى فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ) .
- (٢) الدارقطنى هو أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى ، البغدادى ، الحافظ الشهير صاحب السنن ، ولد بدار القطن ( من أحياء بغداد ) سنة ٣٠٦ وتوفى سنة ٣٨٥ . انظر ترجمته فى : تذكرة الحفاظ ٣ / ٩٩١ - ٩٩٥ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ٤٥٩ - ٤٦٠ ؛ تاريخ بغداد ١٢ / ٣٤ - ٤٠ ؛ طبقات الشافعية ٢ / ٣١٠ - ٣١٢ ؛ المنتظم لابن الجوزى ٧ / ١٨٣ - ١٨٤ ؛ تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٣ / ٢١٠ - ٢١١ ( وذكر من كتبه المخطوطة فى الظاهرية : فضائل الصحابة ) ؛ الأعلام ٥ / ١٣٠ .
- (٣) انظر ما ذكره ابن طاهر فى أصول الدين ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ ؛ لإمامة على رضى الله عنه ، ص ٢٨٩ - ٢٩٢ ؛ مقالات الإسلاميين ٢ / ١٢٦ - ١٣٠ .
- (٤) انظر مقالات الإسلاميين ٢ / ١٢٢ - ١٣٤ ؛ أصول الدين ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ -

ثم القائلون بأنه إمام منصوص عليه معصوم تفرقوا في الإمامة بعده تفرقا كثيرا مشهورا في كتب المقالات ، منهم الاثنا عشرية الذين يقولون بأن الإمامة انتقلت بالنص من واحد إلى واحد إلى المنتظر محمد بن الحسن ، الذي يزعمون أنه دخل سرداب سامراء سنة ستين ومائتين وهو / طفل له سنتان أو ثلاث ، وأكثر ما قيل خمس . ويزعمون مع ذلك أنه إمام معصوم ، يعلم كل شيء من أمر الدين ، ويجب الإيمان به على كل أحد ، ولا يصح إيمان أحد إلا بالإيمان به . ومع هذا فله اليوم أكثر من أربعمئة وأربعين سنة لم يعرف له عين ولا أثر ، ولا سمع له أحد بما يعتمد عليه من الخبر .

وأهل المعرفة بالنسب يقولون : إن الحسن بن علي العسكري والده لم يكن له نسل ولا عقب ، واتفق العقلاء على أنه لم يدخل السرداب أحد ، وأجمع أهل العلم بالشريعة على ما دل عليه الكتاب والسنة أن هذا لو كان موجوداً لكان من أطفال المسلمين الذين يجب الحجر عليهم في أنفسهم وأموالهم حتى يبلغ ويؤنس منه الرشد ، كما قال تعالى : ﴿ وَابْتَلُوا الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَنُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ﴾ [سورة النساء : ٦] .

وقد بسطنا القول في بيان فساد هذا في ذكر ما خاطبنا به الشيعة قبل هذا ، ثم في كتابنا الكبير المسمى بمنهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية<sup>(١)</sup> .

ومن الرافضة من يزعم أن الإمام بعد عليّ أو بعد الحسين هو ابن علي محمد

(١) انظر مثلاً في خبر محمد بن الحسن المهدي المنتظر عند الشيعة منهاج السنة (ط . دار المروية) ١ / ٢٨ - ٢٩ (وانظر التعليقات) ، ٥٧ - ٦٠ ، (ط . بولاق) ١٣١/٢ - ١٣٤ .

ابن الحنفية<sup>(١)</sup> وهم الكيسانية<sup>(٢)</sup> ، ومنهم طوائف كثيرة ليس هذا موضعها ، إذ ليس في نحل الأمة أكثر تفرقا واختلافاً منهم ، فإن أول من ابتدع مقالاتهم كان منافقاً زنديقاً ، لم يك مؤمناً ، ثم انتشرت في أقوام لم يعرفوا أخبار [ المسلمين الأوائل ]<sup>(٣)</sup> ولم يقصدوا الزندقة .

والمقصود هنا أن هؤلاء هم أول من أظهر القول بأن في المؤمنين من لا ذنب له كما قال هذا السائل ، وادّعوا عصمة الأئمة الاثني عشر حتى عن الخطأ في الاجتهاد ، وعن نسيان العلم ، وعن عدم معرفة شيء من العلم ، فقالوا إنهم يعلمون كل شيء ، وادّعوا عصمتهم من صغير الذنوب وكبيرها وغير ذلك ، وادّعوا ذلك في الأنبياء أيضاً لأنهم أفضل من الأئمة .

غلو الصوفية ولم يقل هذا في الأمة غيرهم على هذا الوجه . لكن ظهر في صنفين من الأمة بعض بدعتهم : طائفة من النّسّاك والعُباد يزعمون في بعض المشايخ أو فيمن يقولون إنه ولي الله أنه لا يذنب ، وربما عيّنوا بعض المشايخ وزعموا أنه لم يكن لأحدهم ذنب . وربما قال بعضهم : النبي معصوم ، والولي محفوظ .

ومن غالبية هؤلاء من يعتقد في بعض المشايخ من الإلهية والنبوة ما اعتقدته

(١) أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب ويعرف بابن الحنفية نسبة إلى أمه وقد توفي سنة ٨١ على الأرجح . انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٥ / ٩١ - ١١٦ ؛ الجرح والتعديل ج ٤ ، ق ١ ، ص ٢٦ ؛ تهذيب الأسماء واللغات ، ق ١ ، ص ٨٨ - ٨٩ ؛ وفيات الأعيان ٣ / ٣١٠ - ٣١٣ ؛ شذرات الذهب ١ / ٨٨ - ٩٠ .

(٢) قال الأشعري (المقالات ١ / ٨٩ - ٩٠) عن الكيسانية : « وهي إحدى عشرة فرقة ، وإنما سماها كيسانية لأن المختار الذي خرج وطلب بدم الحسين بن علي ودعا إلى محمد بن الحنفية كان يقال له كيسان . ويقال إنه مولى لعل بن أبي طالب رضوان الله عليه . » وانظر عن الكيسانية وفرقها : المقالات ١ / ٨٩ - ٩٥ ؛ الملل والنحل ١ / ١٣١ - ١٣٧ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ٢٦ - ٣٤ ؛ التبصير في الدين ، ص ١٨ - ٢٠ ؛ المحور العين ، ص ١٥٧ - ١٥٩ ؛ المخطط للمقرئ ٢ / ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٣) في الأصل بعد كلمة « أخبار » بياض ، ولعل ما زدته يوفي بالمعنى المقصود .

الغالية في عليّ ، ويزعم أن الشيخ يخلق ويرزق ويدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ، ويعبده ويدعوه كما يعبد الله ، ويقول : كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان فأني لا أريده ، ويدبح الذبائح باسمه ، ويصلي ويسجد إلى جهة قبره ، ويستغيث به في الحاجات كما يُستغاث بالله تعالى .

فأما ضلال هذه الغالية فشرك واضح قد بيناه في غير هذا الموضع ، فإنه لا تجوز عبادة أحد دون الله ، ولا التوكل عليه والاستعانة به ، ودعاؤه ومسالته كما يدعى الله ويُسأل الله .

قال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا \* أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [سورة الإسراء : ٥٦ ، ٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْفَالِ ذِرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ \* وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سورة سبأ : ٢٢ ، ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٥] ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ \* قُلِ اللَّهُ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة الزمر : ٤٣ ، ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ٢١٣] ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [سورة المائدة : ٧٢] .

لا عصمة لأحد  
بعد الرسول

والمقصود هنا ذكر العصمة ، فقد أجمع جميع سلف المسلمين وأئمة الدين من جميع الطوائف أنه ليس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد معصوم ولا محفوظ لا من الذنوب ولا من الخطايا ، بل من الناس من إذا أذنب استغفر وتاب ، وإذا أخطأ تبين له الحق فرجع إليه ، وليس هذا واجباً لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل يجوز أن يموت أفضل الناس بعد الأنبياء وله ذنب يغفره الله ، وقد خفي عليه من دقيق العلم ما لم يعرفه . ولهذا اتفقوا على أنه ما من الناس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذهب بعض الناس إلى أن قول أبي بكر وحده حجة وإن خالفه عمر ، ثم قول عمر حجة وإن خالفه عثمان وعلى . وأما أئمة الإسلام فلا يقولون بهذا ، بل تنازعوا فيما إذا اتفق أبو بكر وعمر على قول ، هل يكون حجة ؟ على قولين هما روايتان عن أحمد . والأظهر في الموضعين أن ذلك حجة<sup>(١)</sup> لقوله صلى الله عليه وسلم : « اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر »<sup>(٢)</sup> ، وقوله : « إن يطع

(١) قال ابن بدران في « المدخل إلى مذهب الإمام أحمد » ( ط . المنيرة ) ص ١٣٢ : « . . . وإذا لم يكن اتفاق الأربعة إجماعاً فقول اثنين منهم أولى بأن لا يكون إجماعاً . ونقل عن الإمام أحمد أن اتفاق الخلفاء الأربعة حجة وكذا اتفاق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لحديث : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين . . . وحديث : اقتدوا باللذين من بعدي . . . ولو لم تهم الحجة بقولهم لما أمرنا باتباعهم ؟ وهذا القول هو الحق » . وانظر : أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ( ط . المنيرة ) ٢ / ١٧٦ ، ٤ / ١٠٢ - ١٢٩ ؛ ابن حنبل لمحمد أبي زهرة ( القاهرة ، ١٣٦٧ / ١٩٤٧ ) ص ٢٤٤ - ٢٥٨ .

(٢) أورد النبهاني في « الفتح الكبير » ١ / ٢١٥ عدة أحاديث تتضمن هذه العبارة عن حذيفة وأبي الدرداء وابن مسعود رضي الله عنهم وقال إن هذه الأحاديث جاءت في سنن الترمذي وابن ماجة وفي مسند أحمد وأبي يعلى والطبراني . وانظر : سنن الترمذي ١٣ / ١٢٩ - ١٣٠ ( كتاب المناقب ، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما ) ؛ سنن ابن ماجة ١ / ٣٧ ( المقدمة ، باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ) ؛ المستدرک . ٧٥ - ٧٦ / ٣ .

القوم أبا بكرٍ [وعمر] يرشدوا»<sup>(١)</sup>، وقوله: «لو اتفقنا على شيء لم أخالفكما»<sup>(٢)</sup> ولقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعصوا عليها بالنواجز، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»<sup>(٣)</sup>، وقد قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً»<sup>(٤)</sup>. وقد كانت خلافة على تمام الثلاثين مع الأشهر التي تولاهما الحسن رضي الله عنه.

واتفقوا على أنه ليس من شرط ولي الله أن لا يكون له ذنب أصلاً، بل أولياء الله تعالى هم الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس ٦٢، ٦٣].

(١) وعمر: ليست في الأصل. وهذه العبارة جزء من حديث طويل عرف بمحدث الميضة رواه مسلم في صحيحة ١٣٨/٢ - ١٤٠ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة فيها، باب قضاء الصلاة الفائتة) عن أبي قتادة رضي الله عنه وأوله: «عن أبي قتادة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تسرون عشيبتكم ولينسكم وتأتون الماء إن شاء الله غدا. الحديث» وفيه: «ثم قال: أصبح الناس فقدوا نبهم، فقال أبو بكر وعمر: رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم، لم يكن ليخلفكم. وقال الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أيديكم. فان يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا». والعبارة الأخيرة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وانظر شرح النووي ٥ / ١٨٨.

(٢) قال ابن القيم (إعلام الموقعين ٤ / ١٢٢): «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر في شأن تأمير القعقاع بن حكيم والأقرع بن حابس: «لو اتفقنا على شيء لم أخالفكما». ورجعت إلى حديث الاختلاف بين عمر وأبي بكر رضي الله عنهما وهو الذي نزلت فيه الآية الأولى من سورة الحجرات في عدة مواضع من البخاري وفي سنن الترمذي والنسائي ولسكني لم أجد هذه العبارة فيه.

(٣) الحديث عن العرياض بن سارية رضي الله عنه في: سنن أبي داود ٤ / ٢٨٠ - ٢٨١ (كتاب السنة، باب في لزوم السنة)؛ سنن الترمذي ١٠ / ١٤٣ - ١٤٦ (كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة)؛ سنن ابن ماجه ١ / ١٥ - ١٦ (المقدمة، باب في اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين).

(٤) الحديث بمعناه عن سفينة رضي الله عنه في: سنن أبي داود ٤ / ٢٩٣ (كتاب السنة، باب في الخلفاء)؛ سنن الترمذي ٩ / ٧٠ - ٧٢ (كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلافة)؛ المستدرک للحاكم ٣ / ٧١.

ولا يخرجون عن التقوى بإتيان ذنب صغير لم يصرّوا عليه ، ولا بإتيان  
ذنب كبير أو صغير إذا تابوا منه .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ \*  
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ \* لِيُكَفِّرَ اللَّهُ  
عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾  
[سورة الزمر : ٣٣ - ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبِيرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ  
سَيِّئَاتِكُمْ وَتُدْخِلَكُمْ مُدْخِلَ كَرِيمٍ ﴾ [سورة النساء : ٣١]

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ  
أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى \* الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ  
كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّعَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ  
بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا  
تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [سورة النجم : ٣١ ، ٣٢]

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ  
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ  
تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ رءُوفٌ رَّحِيمٌ \* وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا  
ضَاقتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ  
لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ [سورة التوبة : ١١٧ ، ١١٨] .

والفريق الثاني قوم من أهل الكلام من المعتزلة ومن اتبعتهم ، زعموا أن



الأنبياء عليهم السلام معصومون مما يتاب منه ، وأن أحداً منهم لم يتب عن ذنب ،  
وحرفوا نصوص الكتاب والسنة ، كهادة أهل الأهواء في تحريف الكلم  
عن مواضعه ، والإلحاد في أسماء الله وآياته .

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ومن اتبهم على ما أخبر الله به في كتابه ،  
وما ثبت عن رسوله ، من توبة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب التي تابوا  
منها ، وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم ، فإن الله يحب التوابين ويحب  
المتطهرين . وعصمتهم هي من أن يقرؤوا على الذنوب والخطأ ، فإن من سوى  
الأنبياء يجوز عليهم الذنب الخطأ من غير توبة ، والأنبياء عليهم السلام يستدركهم  
الله فيتوب عليهم ويبين لهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ  
وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْتَمَسَ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ  
ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً  
لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾  
[سورة الحج : ٥٢ ، ٥٣] .

وقد ذكر الله تعالى قصة آدم ونوح وداود وسليمان وموسى وغيرهم ،  
كما تلونا بعض ذلك فيما ذكرناه من توبة الأنبياء واستغفارهم ، كقوله :  
﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة : ٣٧] .

وقول نوح : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ  
وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْخِنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٧] .

وقول إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ  
الْحِسَابُ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤١]

مذهب السلف  
وأهل السنة  
هو القول بتوبة  
الأنبياء

ط ٨٠

وقوله : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾  
[سورة الشعراء : ٨٢] .

وقوله سبحانه : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ  
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [سورة محمد : ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ  
عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ  
مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي  
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ كُرِيَ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ \* إِنَّا  
سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَمِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ إلى قوله : ﴿ ظَنَّ  
دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ \* فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ  
وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ  
وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ \* قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي  
مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ الآية  
[سورة س : ١٧ - ٢٥] .

ولما كان اليهود ضد الفصاري حيث قتلوا الأنبياء وكذبوهم جحدوا نبوة  
داود ، وهم لنبوة سليمان أجعد ، وزعموا أنهما كانا حكيمين ، وأن داود كان  
مسيحاً . وقد نزه الله سليمان مما تلتة الشياطين على ملكه مما اتبعه السحرة من  
الصابئة والمشركين ومن اتبعهم من أهل الكتاب والمنقسمين إلى هذه الملة .  
والسامرة أعظم جحوداً ، لا يقرون إلا بنبوه موسى خاصة ، وبوشع بعده .

اليهود فرطوا  
في حق الأنبياء .

والله سبحانه قد هدى الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي  
 من يشاء إلى صراط مستقيم ، كما اختلفت الأمتان في المسح ، فقال تعالى :  
 ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ \* مَا كَانَ لِلَّهِ  
 أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿  
 [سورة مريم : ٣٤ ، ٣٥] .

وكذلك المنحرفون من هذه الأمة قد اختلفوا في عليّ وغيره كما تقدم ، فتجد  
 أحدهم يفلو في الرجل العالم والعابد ، حتى يعتقد عصمته ، أو يجعله كالأنبياء  
 أو فوقهم ، أو يجعل لهم حظاً في الإلهية . وتجد الآخر يقدح في ذلك ، وربما  
 كفره أو فسقه أو أخرجه عن أن يكون من أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون .  
 فالأول يحمل ما صدر منه من اجتهاد وعمل صواباً وإن كان خطأ وذنباً ،  
 والآخر يحمل صدور الذنب والخطأ منه مانعاً من ولايته ووجوب موالاته .

وكلا القولين خطأ موروث عن أهل الكتابين . كما قال صلى الله عليه  
 وسلم في الحديث المتفق عليه : « لتركبن سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة  
 حتى لو دخلوا جحر صممٍ لدخلتموه . قالوا : اليهود والنصارى وقال : فمن ؟ ! »<sup>(١)</sup>

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ، ولكن روى البخارى ٩ / ١٠٣ ( كتاب الاعتصام  
 بالكتاب والسنة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم ) ؛ ومسلم  
 ٥٧ / ٨ - ٥٨ ( كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى ) عن أبي سعيد الخدرى رضى  
 الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا  
 بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر صمم تبعتموه . قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟  
 قال : فن . » وجاء الحديث بمعناه عن أبي سعيد وأبي هريرة وغيرهما من الصحابة رضوان  
 الله عليهم في السند ( ط . الحلبي ) . وانظر مثلاً : ٢ / ٣٢٧ ، ٣٦٧ ، ٤٥٠ ، ٥١١ ،  
 ٥٢٧ ، ٨٤ / ٣ ، ٩٤ . وهو في سنن ابن ماجه ٢ / ١٣٢٢ ( كتاب الفتن ، باب  
 افتراق الأمم ) ؛ سنن الترمذى ٩ / ٢٦ - ٢٨ ( كتاب الفتن ، باب ما جاء لتركبن سنن  
 من كان قبلكم ) .

وقد ثبت في صحيح البخارى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أم القرآن أنها أفضل سورة في القرآن وأنه لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها ، وأنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [سورة الحجر : ٨٧] <sup>(١)</sup> .

وثبت في صحيح مسلم أن الله تعالى يقول : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين ، فنصفها لى ونصفها لعبدى ، ولعبدى / ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله : حمدنى عبدى . فإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال : أثنى على عبدى . فإذا قال : مالك يوم الدين ، قال : مجّدتى عبدى . فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هذه الآية بيني وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل . فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، قال : فهو لاء لعبدى ، ولعبدى ما سأل » <sup>(٢)</sup> .

وهذه البدع هى وغيرها من البدع لا بد أن تنافى كمال الإيمان ، وتقترح في بعض حقائقه ، فإن رأس الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده

== وقال ابن الأثير ( النهاية في غريب الحديث مادة : قذذ ) : « القذذ ريش السهم واحدها قذذه ، ومنه الحديث : لتركبن . . . أى كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبها وتقطع » .

(١) انظر البخارى ٦ / ٨١ ( كتاب التفسير ، سورة الحجر ) ، ٦ / ١٨٧ ( كتاب فضائل القرآن ، باب فاتحة الكتاب ) ؛ الترغيب والترهيب ٣ / ٢٥ - ٢٨ .

(٢) جاء هذا الحديث مع اختلاف في اللفظ عن أبي هريرة رضى الله عنه في صحيح مسلم ٩/١٠ - ٩/٢ ( كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة .. الخ ) وأوله : عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ومن صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج - ثلاثا - غير تمام » فقيل لأبي هريرة : إنا نكون وراء الإمام ؟ فقال : اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : قسمت الصلاة . . . الحديث » . ورواه بمعناه الترمذى في سنة ١١ / ٦٩ - ٧١ ( كتاب التفسير ، سورة الفاتحة ) .

ورسوله . فلا بد من إخلاص الدين لله ، حتى لا يكون في القلب تأله لنير الله ،  
فحتى كان في القلب تأله لنير الله فذاك شرك يقدح في تحقيق شهادة أن لا إله  
إلا الله . ولا بد من الشهادة بأن محمداً رسول الله ، وذلك يتضمن تصديقه في كل  
ما أخبر ، وطاعته فيما أمر به ، ومن ذلك الإيمان بأنه خاتم النبيين ، وأنه  
لا نبي بعده ، فحتى جعل لنيره نصيباً من خصائص الرسالة والنبوة كان في ذلك  
نصيبٌ من الإيمان بنبي بعده ورسولٍ بعده ، كالمؤمنين بنبوة مسيئة والعنسي  
وغيرهما من التائبين الكذابين ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « إن بين يدي  
الساعة ثلاثين دجالين كذا بين كلهم يزعم أنه رسول الله » <sup>(١)</sup> .

عصمة الأئمة  
تعني مضاهاتهم  
لرسول

فن أوجب طاعة أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما يأمر  
به ، وأوجب تصديقه في كل ما يخبر به ، وأثبت عصمته أو حفظه في كل  
ما يأمر به ويخبر من الدين - فقد جعل فيه من المكافأة لرسول الله والمضاهاة له  
في خصائص الرسالة بحسب ذلك ، سواء جعل ذلك المضاهي لرسول الله صلى الله  
وسلم بعض الصحابة أو بعض القراة أو بعض الأئمة والمشايخ أو الأمراء من  
الملوك وغيرهم .

وقد قال الله في كتابه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا  
الرُّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ  
وَالرُّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ  
تَأْوِيلًا ﴾ [سورة النساء : ٥٩] .

فغاية المطاع بإذن الله أن يكون من أولى الأمر الذين أمر الله بطاعتهم من  
العلماء والأمراء ومن يدخل في ذلك من المشايخ والملوك وكل متبوع ؛ فإن الله  
تعالى أمر بطاعتهم مع طاعة رسوله ، كما قال : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ  
وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ، فلم يقل : وأطيعوا أولى الأمر ، ليبين أن طاعتهم فيما

(١) انظر ما سبق ، ص ١٩٧ ت ١ .

كان طاعة للرسول أيضاً ، إذ اندراج طاعة الرسول في طاعة الله أمر معلوم ؛ فلم يكن تكرير لفظ الطاعة فيه مؤذناً بالفرق ، بخلاف ما لو قيل : أطيعوا الرسول وأطيعوا أولى الأمر منكم ، فإنه قد يؤمر طاعة كل منهما على حiale .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال : « إنما الطاعة في المعروف » <sup>(١)</sup> ، وقال : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » <sup>(٢)</sup> ، وقال : « على المرء المسلم الطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » <sup>(٣)</sup> .

ولهذا قال سبحانه بعد ذلك : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ فلم يأمر عند التنازع إلا بالرد إلى الله والرسول دون الرد

(١) هذه العبارة جزء من حديث متفق عليه عن علي رضي الله عنه . انظر : البخاري ٦٣ / ٩ ( كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصية ) ؛ مسلم ١٥ / ٦ ( كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ) . ولفظ الحديث : « عن علي رضي الله عنه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية وأمر عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه ، فغضب عليهم وقال : أليس قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يطيعوني ؟ قالوا : بلى . قال : عزمت عليكم لما جئتم حطباً وأوقدتهم ناراً ثم دخلتم فيها . فجمعوا حطباً فأوقدوا ناراً ، فلما هموا بالدخول ، فقام ينظر بعضهم إلى بعض . قال بعضهم : إنما تبعنا النبي صلى الله عليه وسلم فراراً من النار أفندخلها ؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه . فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً ، إنما الطاعة في المعروف » .

(٢) أورده التبريزي في مشكاة المصابيح ٢ / ٣٢٣ عن النوايس بن سمان . وقال : « رواه في شرح السنة » وذكر الشيخ ناصر الدين الألباني في تعليقه أنه حديث صحيح وجاء في المسند في ( ط . الحلبي ) ٦٦ / ٥ بلفظ : « لا طاعة لمخلوق في معصية الله تبارك وتعالى » . وجاء بمعناه المسند ( ط . الحلبي ) ٤ / ٤٣٢ ، ٥ / ٦٦ - ٦٧ ؛ المستدرک للحاكم ٣ / ٤٤٣ .

وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

(٣) الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما في : البخاري ٦٣ / ٩ ( نفس الكتاب والباب ) . وهو بمعناه مع اختلاف في اللفظ في : البخاري ٤ / ٤٩ - ٥٠ ؛ سنن الترمذي ٢٠٢ / ٧ ( كتاب الجهاد ، باب ما جاء لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ) .

إلى أولى الأمر، ولهذا كان أولو الأمر إذا اجتمعوا لا يجتمعون على ضلالة، فإذا تنازعوا فالرد إلى كتاب الله وسنة رسوله لا إلى غير ذلك من عالم أو أمير ومن يدخل في ذلك من المشايخ والملوك وغيرهم، ولو كان غير الرسول معصوما أو محفوظا فيما يأمر به ويخبر به لكان ممن <sup>(١)</sup> يردّ إليه مواقع النزاع، كما يرده القائلون بإمام معصوم إليه، وكما جرت عادة كثير من الأتباع أن يردّوا ما تنازعوا فيه إلى الإمام والقُدوة الذي يقدّونه.

ومعلوم أن علماء الطوائف ومقتصديهم لا يرون هذا الرد واجبا على الإطلاق، لكن قد يفعلون ذلك لأنه لا طريق لهم إلى معرفة الحق واتباعه إلا ذلك لعجزهم عما سوى ذلك، فيكونون معذورين. وقد يفعلون ذلك اتباعا لهوهم في محبتهم لذلك الشخص وبفضهم لنظرائه <sup>(٢)</sup> فيكونون غير معذورين، ولكن من اعتقد من هؤلاء في متبوعه أنه معصوم، أو أنه محفوظ عن الذنوب والخطأ في الاجتهاد، فذلك مردود عليه بلا نزاع بين أهل العلم والإيمان.

القلوب البشري  
يؤدي إلى الشرك

ولهذا إنما يقول ذلك غلاة الطوائف الذين يغلب عليهم اتباع الظن وما تهوى الأنفس، وقد غلب على أحدهم جهله وظلمه. وكما أن القلوب في غير الرسول صلى الله عليه وسلم فيه قدح في منصب الرسول وما خصّه الله به، وهو أحد أصلي الإسلام، فكذلك القلوب في غير الله فيه قدح فيما يجب لله من الألوهية وفيما يستحقه من صفاته. فمن غلا في البشر أو غيرهم فجعلهم شركاء في الألوهية أو الربوبية فقد عدل بربه وأشرك به وجعل له ندا، ومن زعم أن الله ذم أحدا من البشر أو عاقبه على ما فعله، ولم يكن ذلك ذنباً، فقد قدح فيما أخبر الله به وما وجب له من حكمته وعدله: فالجاهل يريد تنزيه الصحابة

(١) في الأصل: من.

(٢) في الأصل: وبفضهم له على نظرائه.

أو العلماء أو المشايخ من شيء لا يضرهم ولا يضرهم ثبوته فيقدح في الرسول أو في الله تعالى ، ويريد تنزيه الأنبياء عما لا يضرهم ثبوته ، بل هو رفع درجة لهم ، فيقدح في الربوبية . فتدبر هذا فإنه نافع .

والقائلون بعصمة الأنبياء من التوبة من الذنوب ليس لهم حجة من كتاب الله وسنة رسوله ، ولا لهم إمام من سلف الأمة وأئمتها ، وإنما مبدأ قولهم من أهل الأهواء كالروافض والمعتزلة ، وحجتهم آراء ضعيفة من جنس قول الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم الذين قال الله فيهم : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [سورة الحج : ٥٣] .

جلال القول  
بعصمة الأنبياء من  
التوبة من الذنوب

وعنده من وافقهم من الفقهاء أن الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أفعاله مشروع ، ولولا ذلك ما جاز الاقتداء به . وهذا ضعيف ، فإنه قد تقدم أنهم لا يُقَرَّون ، بل لابد من التوبة والبيان . والاقتداء إنما يكون بما استقر عليه الأمر ، فأما المنسوخ والمنهى عنه والمتوب منه فلا قدوة فيه بالاتفاق . فإذا كانت الأقوال المنسوخة لا قدوة فيها ، فالأفعال التي لم يقر عليها أولى بذلك .

وأما مذهب السلف والأئمة وأهل السنة والجماعة القائلين بما دل عليه الكتاب والسنة من توبة الأنبياء من الذنوب ، فقد ذكرنا من آيات القرآن ما فيه دلالات على ذلك .

فصيل مذهب  
أهل السنة في ذلك

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو : « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي جدتي وهزلي ، وخطئي وعدي ، وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ،



وأما أنت أعلم به مني . أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير» (١) .

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في استفتاح الصلاة : « اللهم أنت الملك لا شريك لك ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف عني سيئها إلا أنت » قال : ثم يكون من آخر ما يقول (٢) بين التشهد والتسليم : « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت » (٣) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير والقراءة إسكاته ، فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ، إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول ؟ قال : « أقول : اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقني من الخطايا كما

(١) الحديث في : البخاري ٨ / ٨٤ - ٨٥ ( كتاب الدعوات ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ) ؟ مسلم ٨ / ٨١ ( كتاب الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل ) .

(٢) في الأصل : يكون ، والتصويب من صحيح مسلم .

(٣) هذا جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه ٢ / ١٨٥ - ١٨٦ ( كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ) وأوله : .. عن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال : « وجهت وجهي للذي فطر السماوات . . . اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ... الحديث » . وهو في السند ( ط . المعارف ) ٢ / ١٠٠ - ١٠١ ( رقم ٧٢٩ ) ومع اختلاف في اللفظ ٢ / ١٣٤ - ١٣٥ ( الأرقام : ٨٠٣ - ٨٠٥ ) .

يُنَقَّى الثوب الأبيض من الدنس . اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد»<sup>(١)</sup> .

وفي الصحيحين عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » يتأول القرآن<sup>(٢)</sup> .

وفي الصحيح أيضاً عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده : « اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دنه وجله ، وأوله وآخره ، وعلايته وسره ، وقليله وكثيره »<sup>(٣)</sup> .

وقد تقدم قوله في الحديث الصحيح : « إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »<sup>(٤)</sup> ، وقوله : « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة »<sup>(٥)</sup> ، وقوله : « إنه ليُفَنِّ على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة »<sup>(٦)</sup> . وتقدم أيضاً أنهم كانوا يعدون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد يقول : « رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور » مائة مرة<sup>(٧)</sup> .

وفي الصحيحين عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث

(١) الحديث في: البخارى ١ / ١٤٥ (كتاب الأذان ، باب ما يقول بعد التكبير) ؛ مسلم ٢ / ٩٨ - ٩٩ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة) .

(٢) الحديث في: البخارى ١ / ١٥٩ (كتاب الأذان ، باب التسييح والدعاء في السجود) ؛ مسلم ٢ / ٥٠ (كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود) .

(٣) الحديث في مسلم ٢ / ٥٠ (نفس الكتاب والباب) .

(٤) انظر ما تقدم ، ص ٢٢٤ ، ت ٣ .

(٥) انظر ما تقدم ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ت ١ .

(٦) انظر ما تقدم ، ص ٢٢٤ ، ت ٢ .

(٧) انظر ما تقدم ، ص ٢٢٦ ، ت ٣ .

تكبيرات ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . آيئون ناثبون عابدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » <sup>(١)</sup> .

وفي السنن عن عليّ أنه أتى بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله في الركاب قال : « بسم الله » ، فلما استوى على ظهرها قال : « الحمد لله ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون » ثم قال : « الحمد لله - ثلاثا - سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » ثم ضحك ، فقيل : من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت ثم ضحك ، فقلت : من أي شيء ضحكت يا رسول الله ؟ فقال : « إن ربك ليمجب من عبده إذا قال رب اغفر لي ذنوبي ، يقول : يعلم أن الذنوب لا يغفرها أحد غيري » <sup>(٢)</sup> .

---

(١) الحديث في : البخاري ٨ / ٨٢ (كتاب الدعوات ، باب الدعاء إذا أراد سفراً أو رجوعاً) ؛ مسلم ٤ / ١٠٥ (كتاب الحج ، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره) . وهو في المسند ( ط . المعارف ) الأرقام : ٤٤٩٦ ، ٤٥٦٩ ، ٤٦٣٦ ، ٤٧٩٧ ، ٤٩٦٠ ، ٥٢٩٥ .

(٢) الحديث في سنن الترمذي ١٣ / ٦ - ٧ (كتاب الدعاء ، باب ما يقول إذا ركب الناقة) وقال الترمذي : « وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما . قال : هذا حديث حسن صحيح » .



فَصِّلْ فِي أَنَّ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ



## ﴿ فصل ﴾

قوله صلى الله عليه وسلم : « إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد »<sup>(١)</sup>

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [سورة المؤمنون : ٥١ ، ٥٢] :  
 أى ملتكم ملة واحدة ، كقوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ [سورة الزخرف : ٢٢ ، ٢٣] : أى على ملة وقال : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [سورة الشورى : ١٣] .

فدين الأنبياء واحد ، وهو دين الإسلام ، لأن بعض الشرائع تتنوع ، فقد يشرع فى وقت أمراً لحكمة ثم يشرع فى وقت آخر أمراً آخر لحكمة ، كما شرع فى أول الإسلام الصلاة إلى بيت المقدس ، ثم نسخ ذلك وأمر بالصلاة إلى الكعبة ، فتنوعت الشريعة والدين واحد ، وكان استقبال الشام / من ذلك

من ٢٠٦

---

(١) ذكر ابن نبيمة الحديث بتمامه فى الجواب الصحيح ٥/١ ( ط . المدنى ) فقال : « ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد ، وأنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بينى وبينه نبي » . ولم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن روى البخارى فى صحيحه ٤ / ١٦٧ ( كتاب الأنبياء ، باب واذكر فى الكتاب مريم ) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لطلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد » . وروى حديثاً آخر يقاربه فى اللفظ فى نفس الصفحة وروى مسلم ٧ / ٩٦ ( كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام ) الحديث عن أبي هريرة باللفاظ مقاربة من ثلاثة طرق . والحديث بمعناه فى سنن أبي داود ٤ / ٣٠٢ ( كتاب السنة ، باب فى التخيير بين الأنبياء ) ؟ المسند ( ط . الحلبي ) ٢ / ٣١٩ ، ٤٠٦ ، ٤٣٧ ، ٤٦٣ ، ٤٨٢ ، ٥٤١ ؟ ترتيب مسند الطيالسى ٢ / ٨٤ .

الوقت من دين الإسلام ، وكذلك السبت لموسى من دين الإسلام ، ثم لما صار دين الإسلام هو الناسخ وهو الصلاة إلى الكعبة ، فن تمسك بالنسوخ فليس على دين الإسلام ، ولا هو من الأنبياء .

ومن ترك شرع الأنبياء وابتدع شرعاً فشرعه باطل لا يجوز اتباعه ، كما قال : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴾ [سورة الثورى : ٢١] ؛ ولهذا كفرت اليهود والنصارى لأنهم تمسكوا بشرع منسوخ .

والله أوجب على جميع الخلق أن يؤمنوا بجميع كتبه ورسله ، ومحمد خاتم الرسل ، فعلى جميع الخلق اتباعه واتباع ماشرعه من الدين ، هو ما أتى به من الكتاب والسنة<sup>(١)</sup> .

---

(١) تكلم ابن تيمية عن هذا الموضوع : أن دين الأنبياء واحد هو دين الإسلام ، في عدة مواضع من كتبه . انظر مثلاً : الجواب الصحيح ( ط . المذق ) ١ / ٢ - ١٣ ؛ الرد على المنطقيين ( ط . بومباي ١٣٦٨ / ١٩٤٩ ) ، ص ٢٩١ - ٢٩٣ ؛ اقتضاء الصراط المستقيم ( ط . السنة المحمدية ١٣٦٩ / ١٩٥٠ ) ، ص ٤٥٠ - ٤٥٦ .



## فَصِيلُ فِي الدَّيْلِ عَلَى فَصِيلِ الْعَرَبِ



## ﴿ فصل ﴾

الدليل على فضل العرب مارواه الترمذى عن العباس بن عبد المطلب قال :  
« قلت : يا رسول الله إن قريشاً جلسوا يتذاكرون أحسابهم بينهم ، فجعلوا  
مثلك كمثل نخلة في كُبوة من الأرض . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله  
خلق الخلق فجعلنى في خير فرقتهم ، ثم خير القبائل فجعلنى في خير قبيلة ، ثم  
خير البيوت فجعلنى في خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً » . قال  
الترمذى : هذا حديث حسن <sup>(١)</sup> .

والكبا بالكسر والقصر ، والكبة الكناسة <sup>(٢)</sup> . والمعنى أن النخلة  
طيبة في نفسها ، وإن كان أصلها ليس بذلك .

وعن سلمان قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان لا تبغضنى  
فتفارق دينك . قلت : يا رسول الله وكيف أبغضك وبك هدانى الله ؟ قال :  
تبغض العرب فتبغضنى » . قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب <sup>(٣)</sup> .

وروى أبو جعفر الحافظ الكوفى عن ابن عباس قال : قال رسول الله

(١) الحديث فى سنن الترمذى ١٣ / ٩٥ - ٩٦ ( كتاب المناقب ، باب فى فضل النبي  
صلى الله عليه وسلم ) إلا أن فيه : « . . . من خير فرقتهم وخير الفريقين ، ثم تخير القبائل  
فجعلنى من خير قبيلة ، ثم تخير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم . . . الحديث » .  
(٢) قال ابن العربى فى شرح الحديث ١٣ / ٩٨ : « الكبوة بضم الكاف وفتحها  
يقال على المزبلة ويقال على الربوة والمراد ههنا الربوة . وقال شمر : لم نسمع الكبوة ولسنا  
سمنا الكبا - بكسر الكاف - والكبوة - بضمها وتخفيف الباء - وهى الكناسة والتراب  
الذى يكس من البيت » .

(٣) الحديث فى سنن الترمذى ١٣ / ٢٨١ ( كتاب المناقب ، باب فى فضل العرب )  
إلا أن فيه : وبك هدانا الله . والحديث فى المسند ( ط . المعارف ) ٣ / ٢٢٣ - ٢٢٤ ( رقم  
١٧٨٨ ) ، وأورده العراقى فى القرب فى حجة العرب ( ط . الإسكندرية ١٣٨١ / ١٩٦١ ) ص  
١٠٠ وانظر تعليق المحقق ؛ والطبائى ؛ فى مسنده ، انظر ترتيب مسند الطيالسى ٢ / ٢٠٠ ؛  
والحاكم فى المستدرک ٤ / ٨٦ .

صلى الله عليه وسلم : « أَحِبُّوا العرب لثلاث : لأني عربي ، والقرآن عربي ،  
ولسان أهل الجنة عربي » . قال الحافظ السلفي : هذا حديث حسن ؛ فما أدرى  
أراد حسن إسناده على طريقة المحدثين ، أو حسن مقنه على الاصطلاح العام ،  
وأبو الفرج بن الجوزي ذكره في « الموضوعات » ؟ !<sup>(١)</sup> .

وقال سلمان : « يا معشر العرب لتفضيل رسول الله إياكم لا ننكح  
نساءكم ولا تؤمكم في الصلاة » ، وإسناده جيد<sup>(٢)</sup> ، رواه محمد بن أبي عمر  
المدني<sup>(٣)</sup> ، وسعيد في « سننه »<sup>(٤)</sup> .

(١) الحديث في المستدرک للحاكم ٨٧/٤ . والحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير  
والبيهقي في شعب الإيثار والعقيلي في الضعفاء . وله شاهد من حديث أبي هريرة : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي » .  
وقد اختلف في حديث ابن عباس وأكثر العلماء على أنه ضعيف أو موضوع . وانظر  
ما ذكر عنه وعن حديث أبي هريرة في : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ، ص ١٥٨ ؛  
كشف الخفاء للمجلوني ١ / ٥٤ ؛ الآلآء المصنوعة للسيوطي ١ / ٤٤٢ ؛ الفوائد المجموعة  
للشوكاني ، ص ٤١٣ ؛ تنزيه الشريعة لابن عراق ٢ / ٣٠-٣١ ؛ سلسلة الأحاديث الضعيفة  
والموضوعة لناصر الدين الألباني ، المجلد الأول ج ٢ ، ص ٥٦ - ٦٠ (ط دمشق ، ١٣٨٢)  
القرب في محبة العرب للعراقي ، ص ٩٦ - ٩٧ ؛ مشكاة المصابيح ٣ / ٢١٦ ؛ المقاصد الحسنة  
للسخاوي ، ص ٢٢ - ٢٣ ، تميز الطيب من الخبيث لابن الديبع ، ص ٧ .

(٢) ذكره ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ١٥٨ - ١٥٩ وقال إن أبا بكر  
البراز ممن رواه أيضا .

(٣) قال ابن حجر في تقريب التهذيب ، ص ٢١٨ : « محمد بن يحيى بن أبي عمر المدني  
نزىل مكة ، ويقال إن أبا عمر كنيته يحيى ، صنف المسند ، وكان لازم ابن عينية ، لكن قال  
أبو حاتم : كانت فيه غفلة ، من العاشرة ، مات قبل سنة ثلاث وأربعين » . والمدني نسبة  
إلى عدن ، وقد توفي سنة ٢٤٣ . وانظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٠١ ؛ الجرح  
والتعديل ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٢٤ ؛ الباب لابن الأثير ٢ / ١٢٦ .

(٤) أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة المروزي ويقال الطالقاني ثم البلخي صاحب  
السنن . توفي بمكة سنة ٢٢٧ . انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ٢ / ٤١٦ ، الجرح والتعديل  
ج ٢ ، ق ١ ، ص ٦٨ ؛ طبقات ابن سعد ٥ / ٥٠٢ .

ولما وضع عمر الديوان للعطاء كتب الناس على قدر أنسابهم فبدأ بالأقرب فالأقرب إلى رسول الله ، فلما انقضت العرب ذكر المعجم . هكذا كان الديوان على [ عهد ]<sup>(١)</sup> الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس ، إلى أن تغير الأمر بعد ذلك ؛ والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة أصحها ما ذكرناه .

سبب ما اختص  
به العرب من  
الفضل

وسبب ما اختصوا به من الفضل - والله أعلم - ما جعل الله لهم من المقول والألسنة والأخلاق والأعمال ، وذلك أن الفضل إما بالعلم النافع أو العمل الصالح ، والعلم له مبدأ : وهو قوة العقل الذى هو الفهم والحفظ ، وتمام : وهو قوة المنطق الذى هو البيان والمباراة . فالعرب هم أفهم وأحفظ وأقدر على البيان والمباراة ، ولسانهم أتم الألسنة بياناً وتميزاً للمعاني .

وأما العمل فإن مبناه على الأخلاق ، وهى الغرائز المخلوقة فى النفس . فغرائزهم أطوع من غرائز غيرهم ، فهم أقرب إلى السخاء والحلم والشجاعة والوفاء من غيرهم ، ولكن حازوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير معطلة عن فعله ، ليس عندهم علم منزل ولا شريعة مأثورة ولا اشتغلوا بيمض العلوم ، بخلاف غيرهم فإنهم كانت بين أظهرهم الكتب المنزلة وأقوال الأنبياء فضلوها الضمف عقولهم وخبث غرائزهم .

وإنما كان علم العرب ماسمحت به قرائنهم من الشمر والخطب ، أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم ، أو ما احتاجوا إليه فى دنياهم من الأنواء والنجوم والحروب . فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى تلقفوه عنه بعد مجاهدة شديدة ، ونقلهم الله عن تلك العادات الجاهلية التى كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتها ، فلما تلقوا عنه ذلك الهدى زالت تلك الربون عن قلوبهم ، فقبلوا هذا الهدى العظيم ، وأخذوه بتلك الفطرة الجيدة ، فاجتمع لهم الكمال بالقوة

(١) عهد : ساقطة من الأصل .

الخلوقة فيهم ، والكمال الذى أنزله الله إليهم ، بمنزله أرض طيبة فى نفسها لكن هى معطلة من الحرث ، أوقد نبت فيها شجر العضاء والموسج ، وصارت مأوى الخنازير والسباع ، فإذا طهرت عن ذلك المؤذى من الشجر وغيره من الدواب ، وازدوع فيها أفضل الحبوب أو الثمار جاء فيها من الحب والتمر مالا يوصف مثله .

فصار السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل خلق الله سوى الأنبياء ، وصار أفضل الناس بعدهم من اتبعتهم بإحسان - رضى الله عنهم - إلى يوم القيامة من العرب والمجمل<sup>(١)</sup> .

والله سبحانه أعلم . والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليما<sup>(٢)</sup> .

---

(١) تكلم ابن تيمية عن فضل العرب بمزيد من التفصيل فى « اقتضاء الصراط المستقيم » ص ١٤٨ - ١٦٢ .

(٢) بعد هذا السطر فى آخر الرسالة كتب ما يلى :

لما لم يرش ما أمكنه	ولم يأت من أمره أحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره	سيضعك يوما ويكي سنه

لشيخ الإسلام .

صح تصح لك الأمور جميع	لماك عن طرق الهداة تضيق
وامح واثبت ما تحقق ياقنى	لماك عن طرق الهدى تضيق
لا تصعبن الأرذلين فإنهم	يوم الثنائين جلمهم مقطوع

# الفهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية .
- ٣ - فهرس الشعر واللغة .
- ٤ - فهرس الأعلام .
- ٥ - فهرس القبائل والفرق والطوائف .
- ٦ - فهرس الأماكن والبلدان .
- ٧ - فهرس المصطلحات والبحوث الفرعية .
- ٨ - فهرس الكتب .
- ٩ - فهرس مراجع التحقيق .
- ١٠ - فهرس النصوص والاستدراكات .
- ١١ - فهرس الموضوعات .





## فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآية	ص	س
الفاتحة	٢	١٠٨	٢
	٥	٨٢	٨
		٩١	١٥
		١٠٨	٣
	٧٤٦	٩٨	١٧-١٦
		١٠٩	١١-١٠
		٢٢٨	١٤-١٢
البقرة	١٠	٢٢٩	١٥
	٢١	٩١	١٨
	٢٣	٩٥	٢٠
	٢٨	١١٠	٧
	٣٧-٣٥	٢٢٠	٢٠-١٥
	٣٧	٢٦٩	١٧
	٥٨	٢٨	١
			٢٠-١٨
		٢٩	٥-٤
			٧
			١٣
	٥٩	٢٩	٩-٧
		٣١	٤-٣
	٧٤	٤٠	١٢

س	ص	الآية	السورة
٨-٧	٤٢		
٢	٨١	٧٥	
١١-١٠	٢٤٦	٨٨	
٥	٩٢	٩٨	
١٥	٤	١١٦	
٥-٤	٩		
٨			
١٣			
٤	١٧		
٦			
٨			
٢٤			
١٢	١٨		
١٥-١٤	٢٢		
١٧-١٦			
٦-٤	٢٣		
١٨	٢٦		
٨-٦	٣	١١٧-١١٦	
١-٢٠	٢٢٢-٢٢١	١٢٨	
١٨	١٤٥	١٦٤	
٧-٤	٢٥٨	١٩٩، ١٩٨	
٧	١٨٣	٢١٤	
١	٢٢٣	٢٢٧	
١٠-٩	٦	٢٣٨	

س	ص	الآية	السورة
٦	٣٥	٢٣٩	
٦-٥	١٨٣	٢٤٢	
١٦-١٥	٢٦٥	٢٥٥	
١٨	٢٣٩	٢٨٤	
١٦-١٥	١٣٥	٢٨٦	
١٢-١١	١٤٨		
١٣	٢٣٩		
٢	٢١٤	١١	آل عمران
١٧-١٥	٥٦	١٣	
٢	٢٥٨	١٧	
٤-٣	١٣٧	٢٦	
١٠-٩	٢١٣	٣٣	
٩	٨	٤٣	
١٢			
٢٦-٢٥	١٧		
٢٨			
١٨-١٤	٢٥٩	٨٠، ٦٧٩	
١٣-١٢	٣	٨٣	
٢٠	٢٣		
٤	٢٤		
٩-٥	٢٤	٨٥، ٨٤	
٢-١	١٤٩	٩٧	
١	٥٠	١٣٧	
١٨-١٧			

س	ص	الآية	السورة
٩	١٧٩	١٤٠	
٧	١٨٣	١٤٢	
٢٠-١٧	٩٤	١٦٠، ١٥٩	
٣-٢	٩٥	١٦٠	
١٠-٩			
١٠	١٣٣	١٦٣، ١٦٢	
٤-٣	٨٩	١٧٣	
١٤-١٣	٩٠	١٧٤، ١٨٣	
٦	١٦٥	١	النساء
١٥-١٣	٢٦٣	٦	
١٢-١١	٢٣٦	١٧	
٨-٧	٢٦٨	٣١	
١٣-١٢	٥	٢٤	
١	٨		
١٨-١٥	٢٧٣	٥٩	
٢٢-٢١			
١٠-٨	٢٧٤		
٥-٤	٢٣٠	٦٨-٦٦	
٢١-١٩	٢٣٧		
٨-٧	٢٧	٧٩	
١٢-١١	١٣٤		
٤-٣	٢٤٢	٩٥	
١٣-١٠	٢٥٢		
١٣-١٢	١١٥	١٢٣	

السورة	الآية	ص	س
	١٥٥	٢٤٦	١٣-١٢
	١٧١	٢٥٩	١١-٩
	١٧٢	٢٢	١٣-١٢
	١٨٠	٢٠٨	١٤-١٣
المائدة	٥	٢٤٩	٩-٨
	١٨	١١٥	٩
	٢٧	٢٥٧	٥
	٤٤	٢٣٤	١٢-١١
	٦٠	١٣٣	٤-٢
	٦٧	١٣٢	٦-٥
	٧٢	٢٦٥	٢٣-٢٠
	٧٤، ٧٣	٢٣٩	٨-٥
	٧٧	٢٢٨	١٩-١٨
		٢٥٩	١٣-١٢
الأنعام	٤٢	١٣٥	١٩-١٨
	٤٥-٤٢	٥٧	٩-٨
			٢٣-٢٠
	٤٧	٥٦	١١-١٠
	٥٤	٢٣٧	٣-١
	١١٠	٢٤٦	١٠-٩
	١٢٢	٢٤٣	٥-٤
	١٣٢	١١٦	٩
		١٣٣	١٠
الأعراف	١٧٠، ١٦	٢٣٥	٤-٢

السورة	الآية	ص	س
	٢٣، ٢٢	٢٢١	٣-١
	٢٩	٧٧	٢
	٤٣	١٤٥	٤-٣
			١١
	٥٧	٩٧	١٦-١٥
		١٤٥	١٧
	٩٥، ٩٤	٥٧	١١-١٠
	١٠٥، ١٠٤	٢١٢	٨-٦
	١٤٣	٢٢٢	٧-٦
	١٤٥	١٣٦	٢٠-١٨
	١٤٦	٢٢٩	٤-١
	١٥١	٢٢٢	٦-٥
	١٥٥	١٣٨	٦-٥
	١٥٧-١٥٥	٢٢٢	١٦-١٠
	١٦١	٢٩-٢٨	٢١-٢ (ص ٢٩)
		٢٩	٣
			٥-٤
	١٦٨	٥٧	١٦
	١٧٢	١١	١١-١٠
	١٧٦، ١٧٥	٢٢٩	٩-٥
	١٨٠	١٧١	٧-٦
	٥٢-٥٠	١٣٥	١٠-٦
الأنفال	٥٢	١٣٥-١٣٤	١٧-١ (ص ١٣٥)
		١٣٥	١١-١٠

السورة	الآية	ص	س
	٥٣	١٣٤	١٣-١٢
	٥٤، ٥٣	١٣٥	٣-٢
	٥٤	١٣٥	٥
	٦٤	٨٩	٢١-٢٠
التوبة	٥	٢٣٩	١١-٩
	١٦	١٨٣	٩-٨
	٢٢-١٩	٢٥٣-٢٥٢	١-١٦ (ص ٢٥٣)
	٣١، ٣٠	٢٦٠-٢٥٩	٢-١٩ (ص ٢٦٠)
	٣١	٢٦٠	٢١-٢٠
	١٠٦-١٠٢	٢٢٣	١٧-٩
	١١٨، ١١٧	٢٢٠	١٤-٩
		٢٦٨	١٩-١٤
	١٢٥، ١٢٤	٢٤٩-٢٤٨	٣-٢٠ (ص ٢٤٩)
	١٢٦	٥٧	٦-٥
يونس	١٢	٢٦-٢٥	١-٢٢ (ص ٢٦)
	٦٣، ٦٢	٢٦٧	٨-٧
	٦٨	٤	٢٢-٢٠
	٧١	٩٦	٣-١
			١٣-١١
			١٥
	٧٢	٢٣٤	١٤-١٣
	٨٤	٢٣٤	١٠
	٨٨	٢٠٧	١٥-١٣
	٨٩	٢٠٨	١

سورة	الآية	ص	س
	٩٠	٢٠٣	٨-٧
		٢٠٧	٩-٧
	٩١	٢٠٧	١١-١٠
	٩٢، ٩١	٢٠٨	١٧-١٦
هود	١	١٦٢	٧-٦
	٣-١	٢١٩	١٢-٨
	٧	٢٥٧	١٠
	١١-٩	٨٤	٧-٤
	٢٠-١٨	٢٤٦	٦-١
	٢٤	٢٤٣	٤-٣
	٤٥	١٢٧	٤-٣
			٢٥-٢٤
	٤٧	٢٢١	١١-١٠
		٢٦٦	١٩-١٨
	٥٢	٢٢١	١٤-١٢
	٥٦-٥٤	٩٦	٨-٥
	٥٦، ٥٥	٩٧-٩٦	٢٠-١ (ص ٩٧)
	٥٦	٢٥	١٧-١٦
	٦١	٢٢١	١٥-١٤
	٨٨	٨٢	١٤-١٣
		٩١	١٠-٩
	٩٠	٢٢١	١٧-١٦
	٩٩-٩٦	٢١٥	١٣-١٢
	٩٨	٢١٣	٤



سورة	الآية	ص	س
	٩٩	٢١٦	٢
	١٠٢	٥٦	١٣-١٢
		١٣٥	١٤-١٣
			١٧-١٦
	١٢٣	٨٢	١٣-١٢
		٩١	٧
يوسف	٢٤	١١٥	١٢-١١
	٣٢	٧١	٢-١
	٧٧	١٣٣	٥-٤
	١٠١	٢٣٤	١٦
	١١١	٥٦	١٥-١٤
الرعد	١١	١٣٢	٧-٦
	١٥	٣	١٦-١٥
		١٩-١٨	(١٩ص) ٢١-٢١
		٢٧	١٥-١٤
		٣٩	١٠-٩
		٤١	١٥
	٣٠	٩١	١٢-١١
		١٧١	١٢-١١
	٣٨	٥٠	١٣
ابراهيم	١١-٩	١٥	١٥-١٢
	١٩	٧٧	٢٥
	٤١	٢٢١	١٨-١٧
		٢٦٩	٢١-٢٠

السورة	الآية	ص	س
الحجر	٤٨	٥٣	١٠-٩
	٤٠ ، ٣٩	٢٣٥	٦-٥
	٨٥	١٩	٢٢-٢١
	٨٧	٢٧٢	٥-٤
	٩٣ ، ٩٢	٢٤	١١
النحل	٤٨	٢٨	١٤-١٢
		٣٩	٣
	٤٩ ، ٤٨	٤-٣	١٧-٢ (ص ٤)
	٥٠-٤٨	٤١	٨-٥
	٥٣	١٠٧	١٠
الإسراء	٥٤ ، ٥٣	١٣٢	١٣-١٢
	٥٧	١٠٦	٢
	١٢٠	٥	١١
	١	٩٥	١٨
	٢	٨٩	١٢-١١
	١٥	٢٤٤	٨-٧
	٢٣	١٦٦	٨-٧
	٤٢	٢٣-٢٢	٢٢-١ (ص ٢٣)
	٤٤	٤	٨-٦
		٤٠	١٣-١٢
		٤٢	١١
	٥٦	٥٥	١٨-١٨
	٥٧ ، ٥٦	٢٢	٢١-١٨

س	ص	الآية	السورة
١١-٨	٢٦٥		
٤-٢	٢٦	٦٧	
٢٣-٢٢	٥٠	٧٦	
٧	٤٩	٧٧	
٥-٤	٢٤٩	٨٢	
٤-٣	١٥	١٠٢	
١٠	١٧١	١١٠	
١٣	١٠٦	١١١	
٢٥			
٢٨-٢٧			
٤	٩٩	١٧	الكهف
٣-٢	٥٠	٥٥	
٢٠-١٩	٢٤٥	١٠١، ١٠٠	
٩-٧	٢٣١	١٠٤، ١٠٣	
٤-٣	٢٧١	٣٥، ٣٤	مريم
٢	٢٣٠	٧٦	
٢٠-١٦	٤	٩٥-٨٨	
١٩-١٨	١٣٧	١٣-١١	طه
٩-٨	١٥٦	١٤	
٢-١	١٥٧		
٨			
١٦	١٧١	٤٦	
١	١٣٣	٧٣	
٢	١٩	١١١	

السورة	الآية	ص	س
	١٢٢، ١٢١	٢٢١	٦-٥
		٢٣٥	١٧
الأنبياء	١٦	١٩	١٦
			٢٤
	٢٦-١٦	١٩	٩-٧
	١٧	١٩	١٧
		٢١	١٦-١٥
	١٨	٢١	١٣
		٢٢	٢-١
	٢٠، ١٩	٢٢	٤-٣
	٢٨-٢٦	١٩	٩-٧
	٢٩-٢٦	٥	٢-١
		٢٢	٩-٦
	٣٣	٢٧	٥-٤
	٣٥	٧٧	٣
	٥٦-٥٢	٢٠	٦-٣
	٥٥	٢٠	٧
	٨٣	١٣٧	١١
	٨٨، ٨٧	٢٧٠	٨-٥
الحج	١٨	٤	٥-٣
		٣٨	٤-٣
		٣٩	١٣-١١
		٤٠	
			٦-٥

السورة	الآية	ص	س
		٤١	٣
		٤٢	١٤-١٣
		٤٤	٣-٢
	٣٨	٩٧	١٠
		١٣٢	٥
			١٩
	٥٣، ٥٢	٢٦٩	١٣-١٠
	٥٣	٢٧٦	٩-٨
	٧٧	١٣٧	٢-١
المؤمنون	٥٢، ٥١	٢٨٣	٤-٣
	٧٦-٥١	٥٨	١٣-٧
	٦٠	٢٥٧-٢٥٦	١٨-١ (ص ٢٥٧)
	٧١	٨٤	١٢-١١
	٧٦	١٣٥	٢٠-١٩
	٧٧-٧٦	٥٧	٢-١
	٨٨	١٣٢	٨-٧
	١١٥	١٩	٢٣
	١١٨	١٣٧	١٣-١٢
النور	٣١	٢٢٠	٧
		٢٥٨	١١-١٠
	٤١	٤	٤١-١٣
		١١	٣-٢
		٢٨	١٠-٨
		٤٢	١٢

السورة	الآية	ص	س
		٤٣	١٣
الفرقان	٢٤	١٣٢	١٧-١٦
	٦٠	٧١	٩-٨
الشعراء	٢٩-٢٣	٢١٢	١٤-٨
	٨٢	٢٢١	١٩
	٩٥، ٩٤	٢٣٥	١٢-١١
	١٧٦	٦١	٥
	٢١٣	٢٦٥	٢٠-١٩
	٢٢٢، ٢٢١	١٩٤	١٧-١٦
النمل	٦	١٦٢	٥-٤
	١١، ١٠	٢٢٢	٩-٨
	١٤	١٥	٢
		٢٣٤	٥-٤
	٤٠	١٤٨	١٦-١٥
	٤٤	٢٣٤	١٧
	٥٩	١٣٢	١٦-١٥
	٨٨	١٣٧	٨-٧
القصص	٤	١٣٢	٩-٧
	١٦-١٥	٢٢٢	٤-٢
	٢٣	٦١	٨-٧
	٣٨	٢١١	٧
	٣٩	٢٣٤	٣-٢
	٤٢-٣٩	٢١٥	٩-٥
	٤٢	٢١٥	٢٠-١٩

السورة	الآية	ص	س
	٦٣، ٦٢	٢٣٥	٩-٧
	٦٨	١٣٧	١٦-١٥
	٨٣	٢٢٢	١١-١٠
	٣	١٨٣	١٠
	١١	١٨٣	١١
المنكيات	٦٩	٢٣٠	٣-٢
	٢٥	٢٣	١١-١٠
	٢٧-٢٦	٣	١١-٩
		٢٣	١٤-١٢
	٢٧	٧٧	٤-٣
الروم	٣٢-٣٠	١١٣	٤-٢
	٧	١٣٧	٦
	١٣	١٦٢	٥
	١٧	٩٧	١٨
	١٩	١٤٥	١٤-١٣
السجدة	٢١	٥٧	٥-٤
	٣-١	٩١	٣-١
	٣	٩٢	٦
	٣٥	٥	١٦-١٥
		٨	٦
الأحزاب	٣٨	٤٩	٩-٨
	٤٨	٩١	٥-٤
	٥٠	٥٠	١١-١٠
	٦٠	٥١	٤

سورة	الآية	ص	س
			١٦-١٥
	٦٢.٦١	٤٩	١٢-١٠
	٦٢	٥٤	٩
			١٦
	٧٢	٢٢٩	١٢-١١
سبأ	٢٣، ٢٢	٢٦٥	١٥-١٢
فاطر	٨	٢٣١	٥-٤
	١٦	٧٧	٢٥
	٢٢-١٩	٢٤٣-٢٤٢	١٧-٢ (ص ٢٤٣)
	٢٨، ٢٧	٣٨	٩-٧
	٣٢	٢٢٧	١٦-١٥
	٤٣، ٤٢	٥١	٢٢-١٩
	٤٣	٤٩	١٤-١٣
		٥١	١٢-١١
		٥٤	١٢
يس	٢٩	٦٥	١٩
	٣٨	٣٦	١٦
	٨١	٧٧	٥-٤
	٨٢	٩	١٧-١٦
		١٣٨	١٤-١٣
	٨٣	٢٥	١٨-١٧
الصفات	١٠٢	١٦٥	٣-٢
	١٠٧	١٦٥	١٨
	١٣٠	٢١٣	١٢



س	ص	الآية	السورة
١٤-١٢	٢٠٩	١٤-١٢	ص
١٤-٩	٢٧٠	٣٥-١٧	
١١	٤٣	١٨	
١٢	٤٣	١٩	
٢٠-١٩	٣٢	٢٣	
١٣-١٢	٣٣	٢٤	
١٨	٣٥		
١	٣٦		
٢٠-١٩	١٩	٢٧	
٤-٣	٩٨	٢٨	
٧-٦	١٢٤		
١٥-١٣	١٤٨	٧	الزمر
٥-٤	٥	٩	
١٢	٦		
١٥	٨		
١٥-١٤	٢٤٢		
٢١-٢٠	١٣٦	١٨	
٥	١٣٧	٢٣	
١٧-١٦	١٥٠	٣٥-٣٣	
(٢٦٠ ص) ٢-١٧	٢٦٠-٢٥٩		
٥٣	٢٦٨		
١٢-١١	٩٥	٣٦	
١٣	٩٥	٣٨	
٢١			

السورة	الآية	ص	س
	٤٤، ٤٣	٢٦٥	١٨-١٦
	٥٥-٥٣	٢٢٠-٢١٩	١٣-١ (ص ٢٢٠)
	٥٥	١٣٧-١٣٦	٢١-١ (ص ١٣٧)
غافر	٣-١	٢٢٣	٥-٣
	٢٨-٢٣	٢١٠	١٥-٧
	٢٦	٢١١	٥
	٢٨	٢١٤	٨
	٣٦، ٣٥	٢٠٥-٢٠٤	١٤-٢ (ص ٢٠٥)
	٣٧، ٣٦	٢١٠	١٨-١٥
	٣٧	٢١١	١
		٢٣١	٧-٦
		٢٣٢	١٣-١٢
	٤٢، ٤١	٢١٤	١٠-٩
	٤٦، ٤٥	٢١٤	١٥-١٣
	٤٦	٢١٣	٦
		٢١٤	٥
	٤٨، ٤٧	٢١٥-٢١٤	١٧-١ (ص ٢١٥)
	٦٥	١٠٨	٦-٥
	٨٥-٨٢	٢٠٨	١٠-٤
	٨٥	٤٩	١٥
فصلت	١١	٤٠	١١
	٤٦	١٤٨	١٣-١٢
الشورى	١٠	٨٢	١٤-١٣
	١٣	٢٨٣	٧-٦

السورة	الآية	ص	س
	٢١	٢٨٤	٥
	٢٦، ٢٥	٢٢٣	٨-٦
	٣٠	٢٧	٦
		١٣٤	١١-١٠
الزخرف	٢٣، ٢٢	٢٨٣	٥
	٣٧، ٣٦	٢٣١	٣-٢
	٥٩	٢٢	١١
الدخان	١٩	٢٣٤	١
	٢٩	٣٧	٩
	٣٠	١٣٨-١٣٧	١٩-١ (ص ١٣٨)
	٣٣، ٣٢	١٣٨	٣-٢
	٣٩، ٣٨	١٩	١٨
	٥٧	١٥٩	١
الجاثية	١٣	١٠٧	١١
	١٦	١٣٨	٤
	٢١	١٢٤	٩-٨
	٢٣	١١٣	١
الأحقاف	١٦	١٥٠	١٤-١٣
		٢٥٩	٥-٤
محمد	١٧	٢٣٠-٢٢٩	١٩-١ (ص ٢٣٠)
	١٩	٢٢٢	١٩-١٨
		٢٧٠	٤-٣
	٢٨	٢٤٨	٢٠-١٩
	٣١	١٨٣	١٣-١٢

سورة	الآية	ص	س
الفتح	٢٤١	٢٢٢	٢١-٢٠
	٣-١	١٠٠	٨-٦
	٢٣٤٢٢	٤٩	١٩-١٧
الحجرات	٧	٨٤	١٤-١٣
ق	٨	١٦	٦
	١٤-١٢	٢٠٩-٢٠٨	٢١-١ (ص ٢٠٩)
الذاريات	٥٦	٩١	١٩
	٤-١	٢٢٨	١٦-١٥
	٢٣	٢٤١	٢-١
			١٢-١١
	٣٢٤٣١	٢٦٨	١٣-٩
	٣٢	٢٢٦	٤
			٢٣-٢٢
	٣٦	١٢٦	١١
	٤١-٣٦	١٢٦	١٠-٨
القمر	٣٤	٢١٣	١١
	٤٢٤٤١	٢١٤	٤-٣
	٤٣	٥٦	١٤-١٣
الواقعة	١٢-٧	٢٢٧	١٠-٨
	٢٤-٢٢	١٤٥	١٥-١٤
	٦٢٤٦١	٧٧	٧-٦
	٩٤-٨٨	٢٢٧	١٤-١١
الحديد	١	٤	١٠-٩
	١٠	٢٥٢	١٥-١٣

السورة	الآية	ص	س
	٢٧	٢٦٠	١٣-١١
	٢٨	٢٣٩	٢-١
	٢٩، ٢٨	٢٣٠	١٠-٦
المجادلة	١١	٢٥٢	١٠-٩
الحشر	١	٤	٩-٨
	٢١	٤٣	٦-٥
المتحنة	٤	٩١	١١-١٠
الصف	١	٤	٩-٨
	٥	٢٢٩	١٦
الجمعة	١	٤	٩-٨
	٩	١٣٢	١٨-١٧
		١٣٦	٩-٨
التغابن	١	٤	١١-١٠
الطلاق	٣٤، ٢	٨٨	١٥-١٣
		٩١	١٤-١٣
		١٠٠	٢١-٢٠
	٣	٩٠	٦
التحریم	٢	٥٠	٧
	٥	٥	١٤-١٣
	٨	٢٢٠	٦-٣
القلم	٣٥	٥٥	١٣-١٢
		٩٨	٢
	٣٦، ٣٥	١٢٤	٥-٤
الحاقة	٦	٢٣٢	٢٤

س	ص	الآية	السورة
١٦-١٥	٢٠٩	١٠٠٩	
١٧-١٦	٩٧	٢٤	
١٢	١٤٥		
٦-٤	١٥٩	٤٢-٤٠	
٨-٧	٢٢١	١١، ١٠	نوح
١	١٦٦	٢٢	
٥-٤	١٦٦	٢٣	
١٩	٩٥	١٩	الجن
١٠-٩	٨٩	٩، ٨	المزمل
٩-٨	٩١		
١-١٠ (١٧٩ ص)	١٧٩-١٧٨	١١	المدثر
١٨-١٧	٧٧	٥٦، ٥٥	
١٦-١٤	٦٩	٢، ١	الإنسان
١٧	٦٩	٣	
١٩-١٦	٢٢٧	٦-٣	
٢٠	٧٠	٤	
١٩-١٨	٦٩	٦-٤	
١	٧٣	٧	
٢٠-١٨	٧١	٩-٧	
٩	٧٢	٨	
٢٥	٧١	١٠	
٢٠-١٩	٧٢		
١٩-١٨	٧٠	١١	
٢٢	٧٠	١٧	

السورة	الآية	ص	س
	٢١	٧٠	٢٣
		٧٣	٢٣-٢٢
	٢٢	٧٤	١٩
	٢٤، ٢٣	٧٤	٢٢-٢١
	٢٤	٧٥	١٧
	٢٦، ٢٥	٧٥	٢٠-١٩
	٢٧	٧٥	٢١
	٢٨	٧٥	٢٢
		٧٦	٢٥
	٢٩	٧٧	١٢
	٣٠	٧٧	١٣
			١٥
			١٦
	٣١	٦٩	٢١
النازعات	٢٤-٢١	٢١١	١٠-٩
	٢٤	١٥٧	١
			٩
		١٦٧	٥-٤
			٩
	٢٦، ٢٥	٢١١	١٢-١١
التكوير	٢١-١٩	١٥٩	٨-٧
	٢٩، ٢٨	٧٧	١٩
المطففين	٢٨-٧	٢٢٨-٢٢٧	٢٠-٢ (ص ٢٢٨)
	١٤	٢٢٦	٣-٢

س	ص	الآية	السورة
٩	٢٣٧		
٢	٧٠	٢٤	
٥-٤	١٥٠	٨٤٧	الانشقاق
١٧-١٦	١٣٥	١٢	البروج
١٤-١٣	١٢٦	١٩٠ ١٨	الأعلى
٩-٨	٢٥٨	٣-١	النصر
١٠	١٨٨	١	المسد

---



## فهرس الأحاديث النبوية \*

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت**
(١)	عبد الله بن عمر	١٧٨-١٧٧	٢-١٤	(١)
١- «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله...»	عن عمر			
حديث الإسلام والإيمان والإحسان وفيه الكلام عن غلاة القدرية .	ابن الخطاب			
٢- «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة... لا تخبرهما بأهل» .	علي بن أبي طالب	٢٦٢-٢٦١	٢-١١	(١) ، (٢)
٣- «أبو ذلك بنعمتك على أبو عبدني...»	شداد بن أوس	١١٧	١	(١)
انظر: «سيد الاستغفار...» الحديث رقم ٧٠.				
٤- «أحبوا العرب لفلاث...» .	ابن عباس	٢٨٨-٢٨٧	٢-١٣	(١)
٥- «أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم... فتلك عبادتهم إياهم» - وأوله : «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب . فقال : يا عدى أطرح عنك ..»	عدى بن حاتم	٢٦٠	٦-٤	(١)
٦- «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان...»	ابن عباس	١٢	٦-٥	(٤)
الحديث عن إنطاق الله لبني آدم وإشهادهم على أنفسهم .				
٧- «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران...» .	عمر بن العاص	٢٣٩	١٥-١٤	(٢)
	وعبد الله بن عمر	٢٤٣	٨-٧	

\* الكلام على هذه الأحاديث في التعليقات المشار إلى أرقامها .  
 \*\* ت = تعليق .

الحديث	الصحاح الراوى	ص	س	ت
٨- « إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ... » - الحديث عن « الزيادة » وهى النظر إليه تعالى فى الجنة .	صهيب	١١١-١١٠	٤-١٨	(١)
٩- إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ... » .	أبو موسى الأشعرى	٢٤١ ٢٥٢	١٩-١٧ ٧-٦	(١)
١٠- « اعلّموا أن أحداكم لا يرى ربه حتى يموت » - عبارة وردت فى أحاديث فيها الكلام عن صفة الدجال .	عبد الله بن عمر وغیره	١٩٨	٨-٧	(٤)
١١- « أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر » - أوله: أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عفريتاً من الجن ... وفيه : « فقال جبريل : قل : أعوذ بوجه الله الكريم ، وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ... » وانظر الحديث رقم ٥١ .	مرسل عن يحيى ابن سعيد	١٠	٢-١	(١)
١٢- « اقتدوا بالذين من بعدى : أبى بكر وعمر » .	حذيفة وأبو الدرداء وابن مسعود	٢٦٦	١٣-١٢	(٢)
١٣- « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » .	أبو هريرة	٣٣	٣-٢	(٢)
١٤- « أقول : اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب » وأوله: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير والقراءة إسكاته ... » .	أبو هريرة	٢٧٨-٢٧٧	١-١١	(١)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
١٥ - « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي ... » .	أبو موسى الأشعري	٢٧٧-٢٧٦	١٩-٢	(١)
١٦ - « اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ... » - دعاء في السجود .	أبو هريرة	٣٢	١٣-١٤	(٣)
١٧ - « اللهم اكتب لي بها عندك أجرا ، وضع عني بها وزرا ... » - دعاء في السجود .	ابن عباس	٣٤	١-٧	(٢)
١٨ - « اللهم أنت الملك لا شريك لك ... » - وأوله : « وجهت وجهي للذي فطر ... » وانظر رقم ١١٨ ، ٥٩	علي بن أبي طالب	٢٧٧	٣-١٠	(٣)
١٩ - « اللهم إنا نستعينك ونستهديك » - في القنوت .	عمر بن الخطاب	١١٧	٣-٤	(٤)
٢٠ - « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك .. » - دعاء في السجود .	عائشة	٣٢	١٤-١٦	(٤)
٢١ - « اللهم صلى على آل أبي أوفى .. » .	عبد الله بن أبي أوفى	٢١٣	١٣-١٤	(١)
٢٢ - « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ... » .	جماعة من الصحابة	١٥	٥-٧	(١)
٢٣ - « أنا عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجفة عربي » .	أبو هريرة	٢٨٨	٩-١٠	(١)
٢٤ - « إن إبليس قال لربه عز وجل : بمزتك وجلالك ... » .	أبو سعيد الخدري	٢٣٦-٢٣٥	٢٠-٣	(١)
٢٥ - « إن أخوف ما أخاف عليكم شهوات النفي .. » .	أبو هريرة الأسلمي	٢٢٩	٩-١٠	(١)
٢٦ - « إن استطعت أن تعمل لله بالرضا ... » .	ابن عباس	٢٥٠	٨-١٠	(١)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
٢٧ - « إن بين يدي الساعة ثلاثين دجالين ... » - وانظر رقم ٩٤	أبو هريرة وابن عمر	٢٧٣	٨-٧	(١)
٢٨ - « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه . »	أبو هريرة	١٤٧	٢٧-٢٥	(٢)
٢٩ - « إن العبد إذا أذنب نكثت في قلبه نكثة سوداء .. » .	أبو هريرة	٢٢٦-٢٢٥	٣-١١	(١)
٣٠ - « إن الله اختار من الأيام يوم الجمعة ... » .	مرسل عن كعب الأخبار	١٣٨	٩-٦	(١)
٣١ - « إن الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقمهم ... » .	العباس بن عبد المطلب	٢٨٧	٧-١	(١)، (٢)
٣٢ - « إن الله خلق الجنة أهلا وخلقهم لهم .. » - وفي مسلم : « .. وخلقهم لها .. » .	عائشة	١٤٦	٩-٧	(٢)
٣٣ - « إن الله تعالى يسطر يده بالليل ليتوب مسيء النهار ... » .	أبو موسى الأشعري	٢٢٤	٥-٤	(٤)
٣٤ - « إن الله عز وجل خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه ... » .	أبو هريرة وعمر ابن الخطاب	١٢	٤-١	(١)، (٢)
٣٥ - « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ... » - وانظر رقم ٨٨ .	عقبة بن عامر	٢٠	١٣-١٢	(١)
٣٦ - « إن بالمدينة رجالا لم يسروا مسيرا ... »	أنس وجابر	٢٤٢-٢٤١	٢-١٩	(١)
٣٧ - « إن تغفر اللهم تغفر جما ... » .	ابن عباس	٢٢٦	٦-٤	(٢)
٣٨ - « إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى ... » .	أبو هريرة	١٧٩	١٣-١٢	(٢)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
٣٩- « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ... » .	جابر	١٤٧	٣١-٢٩	(٢)
٤٠- « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » .	أنس	١٤٧	٢٩، ٢٨	(٢)
٤١- « .. إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا » .	أبو قتادة	٢٦٦-٢٦٧	١٣-١	(١)
٤٢- « .. إنك تأتي قوماً أهل كتاب ... » .	ابن عباس	١٥	١١-٧	(٢)
٤٣- « إنكم لن تبلغوا نقى ... » - حديث قدسى أوله : « يا عبادى إني حرمت الظلم .. » ولفظ الحديث هنا : « يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نقى ... الخ » . وانظر الحديث رقم ٧٨ .	أبو ذر	١٤٨	١٠-٩	(١)
٤٤- « إنما الطاعة في المعروف » وأوله : « لودخلوها ما خرجوا منها أبداً ، إنما الطاعة .. » .	على	٢٧٤	٧-٤	(٣)
٤٥- « إنما معاشر الأنبياء ديننا واحد » . ولفظ الحديث في البخارى : « أنا أولى الناس ببيسى .. الخ » .	أبو هريرة	٢٨٣	٢	(١)
٤٦- « .. إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله ... » .	الأغرة المزني	٢٢٤	٢-١	(٢)
٤٧- « إني أعلمكم بالله وأشدكم خشية له .. » وأوله : واللفظ للبخارى- « ما بال	عائشة	١١٥	١٥-١٤	(٢)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
أقوام يتزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم ... » .				
٤٨ - « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ ... » .	جابر بن سمرة	٤٢	١٧-١٥	(٢)
٤٩ - « أول ما خلق الله العقل ... » - حديث موضوع .		١٦٨	١١-٤	(١)
(ب)				
٥٠ - « بسم الله » - وأوله عن علي أنه أتى بدابة ليركبها ... قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت ... » .	علي	٢٧٩	١١-٤	(٢)
٥١ - « بلى » أول الحديث رقم ١١ ... أعوذ بكلمات الله ...	مرسل عن يحيى ابن سعيد	١٠	٢-١	(١)
(ت)				
٥٢ - التعوذ من شرفة المسيح الدجال بعد التشهد الأخير .	جماعة من الصحابة	١٩٧	٩-٨	(٣)
(ح)				
٥٣ - « الحمد لله نستعينه ونستغفره ... » - من خطبة الحاجة .	ابن مسعود	١١٧	٣	(٣)
٥٤ - حديث حنين الجذع : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأثاه فمسح يده عليه » .	ابن عمر	٤٢	١٧	(٣)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
(خ)				
٥٥ - « خصلتان يسأل عنهما كل أحد ... أوله : قال أبو المالية : « قوله : (فوربك لنسألنهم أجمعين ... ) الخ .. » - أثر بمضى حديث مروى عن أنس .	أثر عن أبي المالية	٢٤	١٢-٩	(١)
٥٦ - « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا . »	سفينة	٢٦٧	٤	(٤)
٥٧ - « خير أمتي بعدى أبو بكر وعمر . »	على والزبير	٢٦٢	١٩-١٦	(١)
٥٨ - « خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ... » .	جماعة من الصحابة	٢٥٣	٥-٤	(٢)
٥٩ - « وانخير كله في يدك والشريس إليك » من حديث دعاء الاستفتاح وأوله : « وجهت وجهي للذي فطر السماوات ... » . وانظر رقم ١٨ ، ١١٨ .	على	١٢٦	١٧-١٦	(٢)
(د)				
٦٠ - الدجال الكبير - بعض أخباره . وانظر رقم : ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .	جماعة من الصحابة	١٩٨-١٩٧	١٧ (ص ١٩٧) (٢٤١) ٨ (ص ١٩٨)	(٢٤١)
(ر)				
٦١ - « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها » انظر الحديث رقم ٧٢ .	ابن عباس	٣٣-٣٤	١-١٦	(١)
٦٢ - « رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور . »	ابن عمر	٢٢٦	٩-٧	(٣)
		٢٧٨	١٣-١١	(٧)

ت	س	ص	الصحابي الراوي	الحديث
(١)	١٤-١٣	٢٣٩	أبو هريرة وابن عباس	٦٣ - قوله تعالى : ( ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ) قال تعالى : قد فعلت »
(٥)	٩-٤	١١٧	جماعة من الصحابة	٦٤ - « ربنا ولك الحمد ملء السماوات » - الحديث فيما يقال بعد رفع الرأس من الركوع .
( ز )				
(١)	٢-٧	١٣-١٢	نسب إلى ابن عمر	٦٥ - حديث زريب بن برنعل وهامة ابن الميم - حديث موضوع .
( س )				
(١)	١-١٦	٣٣-٣٢	عائشة	٦٦ - « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » - كان صلى الله عليه وسلم يقولها في ركوعه وسجوده يتأول القرآن .
(٢)	٤-٢	٢٧٨	جماعة من الصحابة	٦٧ - سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت . . . » - الحديث في كفارة المجلس .
(٤)	١٥-١٣	٣٣	ابن عباس	٦٨ - « سجدها داود توبة ونحن نسجدها شكراً » - السجود في آية ٢٤ من سورة ص ، وانظر الحديث رقم ١١٥ .
(١)	١٠	٣٦	ابن عباس	٦٩ - سجود الآيات - وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا رأيتم آية فاسجدوا . . . » الخ .



الحديث	الصحابي الراوي	ص	ص	ت
٧٠ - « سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ... أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي » - وانظر الحديث رقم ٣.	شداد بن أوس	١١٧	١	(١)
(ش)				
٧١ - حديث الشفاعة .	جماعة من الصحابة	١٥٠	٩-٧	(٢)
(ص)				
٧٢ - « ص ليس من عزائم السجود وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها » - وانظر الحديث رقم ٦١ .	ابن عباس	٣٤-٣٣	١-١٦	(١)
٧٣ - أحاديث صفة الدجال الكبير : أنه أعور ، وأنه مكتوب بين عينيه كافر ... الخ - وانظر الحديث رقم ٦٠ .	أنس	١٩٨	٧-٥	(٣)
٧٤ - صلوا كما رأيتموني أصلي . وأوله : حدثنا مالك : أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون ... الخ .	مالك بن الحويرث	٨١	١٣-١١	(٤)
(ط)				
٧٥ - « طول القنوت » - وأوله : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الصلاة أفضل ؟ فقال : طول القنوت .	جابر	٥	٨-٧	(١)

الحديث	الصحابى الراوى	ص	س	ت
(ع)				
٧٦ - « على المرء المسلم السمع والطاعة... »	ابن عمر	٢٧٤	٧-٥	(٣)
٧٧ - « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى... »	المرضا بن سارية	٢٦٧	٣-٢	(٣)
(ف)				
٧٨ - « .. فن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك... » - جزء من الحديث القدسى فى تحريم الظلم ، وأوله : « يا عبادى إني حرمت... » وانظر الحديث رقم ٤٣ .	أبو ذر	١١٧	٣-١	(٢)
(ق)				
٨٩ - « قال الله لهم : ادخلوا الباب سجداً... » .	أبو هريرة	٣٠	٥-٣	(١)
٨٠ - « قالوا : هطلى سمعانا... » - أثر موافق لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .	ابن مسعود	٣١-٣٠	٣-١٢	(١)
٨١ - « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين... »	أبو هريرة	٢٧٢	١٢-٦	(٢)

الحديث (ك)	الصحابي الراوي	ص	س	ت
٨٢- كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته قبل أى وجه توجهت به ويوتر عليها ، غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة.	جماعة من الصحابة	٣٥	٣-١	(١)
٨٣- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال : اللهم أنت السلام .. الخ .	ثوبان	٢٥٨	٢-١	(١)
٨٤- كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في نواحيها ... فلم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .	علي بن أبي طالب	٤٢-٤٣	١٧-٣	(٢)
٨٥- « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم » ( وبنفس المعنى استعجاب ابتداء كل خطبة بحمد الله ) .	أبو هريرة	١٠٨	٣-٤	(١)
٨٦- « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .	أنس	٢٢٥	١٠-١١	(٥)
٨٧- « كل حرف فى القرآن يذكر فيه الفنون فهو الطاعة »	أبو سعيد الخدرى	٧	١٢-١٣	(١)
٨٨- « كل لمو يلهو به الرجل فهو باطل ... » وانظر الحديث رقم ٣٥ .	عقبة بن عامر	٢٠	٩-١٠	(١)
٨٩- « كل معروف صدقة » .	جابر	٨٣	٧-٨	(٣)

المحدث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
٩٠ - « كل مولود يولد على الفطرة ... »	جماعة من الصحابة	١١	١٣	(٣)
		٢٤٤	٤ - ١	(١)
(ل)				
٩١ - « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... » - وأوله : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة ... الخ . »	ابن عمر	٢٧٨ - ٢٧٩	١٤ - ٣	(١)
٩٢ - « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق . »	أبو ذر	٨٣ - ٨٤	١٥ - ١	(١)
٩٣ - « لا تسبوا أصحابي ... »	أبو سعيد الخدري وأبو هريرة	٢٥٣	٢ - ٤	(١)
٩٤ - « لا تقوم الساعة حتى يكون فيكم ثلاثون دجالون ... » - وانظر الحديث وقم ٢٧ .	أبو هريرة وابن عمر وثوبان	١٩٧	٥ - ٦	(١)
٩٥ - « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »	النواس بن سميان	٢٧٤	٥	(٢)
٩٦ - « لا هجرة بعد الفتح ... »	ابن عباس وعائشة	٢٥٤	٢ - ٤	(١)
٩٧ - « لا يابنت الصديق ، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ... » وهو إجابة عن معنى الآية رقم ٦٠ من سورة « المؤمنون » .	عائشة	٢٥٧	١ - ٤	(١)
٩٨ - « لتركبن سنن من كان قبلكم ... » . لفظ البخاري ومسلم : « لتتبعن سنن من كان قبلكم ... » .	جماعة من الصحابة	٢٧١	١٢ - ١٤	(١)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
٩٩ - « لقد أوتى هذا مزماراً من مزامير آل داود » - ولفظ البخاري : « يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً ... »	أبو موسى الأشعري	٢١٣	١٣ - ١٤	(٢)
١٠٠ - « لله أرحم بعباده من هذه بولدها » - وأوله : « قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سي ... » وفيه : « أترون هذه طارحة ولدها في النار ... الخ »	عمر بن الخطاب	١٢٧	١ - ٣	(١)
١٠١ - « لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه ... »	جماعة من الصحابة	٢٢٤ - ٢٢٥	٥ - ٩	(١)
١٠٢ - « لله أفرح بتوبة أحدكم من رجل خرج ... » - متواتر روى عنه هو والحديث السابق عن عدد من الصحابة	جماعة من الصحابة	٢٢٥	٣ - ١٠	(٢)
١٠٣ - « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله ... » - أوله : « سدوا وقاربوا وأبشروا ... »	عائشة وأبو هريرة	١٤٥	٥ - ٦	(٣)
١٠٤ - « لو اتفقا على شيء لم أخالفكما » .	وجابر	١٤٦ - ١٤٧	١٤ - ٢	(٢٤١)
( م )		٢٦٧	١	(٢)
١٠٥ - « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ... » .	عدي بن حاتم	٨٣	١٠ - ١٤	(٤)
١٠٦ - « ما منكم من أحد إلا وقد علم مقمده من الجنة والنار ... » وفي رواية : « ... إلا وقد كتب ... »	علي بن أبي طالب	٩٣	٤ - ٩	(١)
		١٤٦	٣ - ٧	(١)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
١٠٧ - « من بدل دينه فاقتلوه » .	ابن عباس	٢٦١	٥ - ٢	(٢)
١٠٨ - « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » .	أبو هريرة	٢٢٤	٦ - ٥	(٥)
١٠٩ - « من تكفل لي بما بين لحييه وما بين رجليه . . . » - وفي رواية : « من يضمن لي . . . » وفي أخرى : « من توكل لي . . . » .	جماعة من الصحابة	٢٣٠	١١ - ١٣	(١)
١١٠ - « من خير الناس بمدرس رسول الله ... » - خبر روى موقوفا ومرفوعا .	علي بن أبي طالب	٢٦١	١١ - ٧	(٤)
١١١ - « من قال إذا أصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة . . . » .	عبد الله بن غنم	١٠٧	١٩ - ١٥	(٢)
١١٢ - « من قال حين يصبح : الحمد لله ربى لا أشرك به شيئا . . . » .	أبان الحارثي	١٠٨	١٠ - ٧	(٤)
١١٣ - « من نوقش الحساب عذب ... »	عائشة	١٥٠	٦ - ٣	(١)
١١٤ - « منك وإليك » - أوله : كان صلى الله عليه وسلم إذا ذبح أضحيته قال : ... « الخ - وفي رواية : اللهم منك ولك عن محمد وأمه » .	جابر	٨٢	١٥ - ١٤	(٥)
(ن)				
١١٥ - « نبيكم ممن أمر أن يقتدى به ، سجد لها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم » - وانظر الحديث رقم ٦٨ .	ابن عباس	٣٣	١٦ - ١٥	(٥)

ت	س	ص	الصحابى الراوى	الحديث
( هـ )				
(٢)	١٨ - ١٦	٢٠	الأسود بن سريع	١١٦ - « هذا رجل لا يحب الباطل » - وأوله : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ... » .
(٣)	١٦ - ١٥	٩٣	أبو خزيمة	١١٧ - « هي من قدر الله » - وفيه : « يا رسول الله ، أ رأيت أحدى تئدواى بها ... هل ترد من قدر الله شيئاً ... » .
( و )				
(٢)	١٧ - ١٦	١٢٦	على بن أبى طالب	١١٨ - « وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض ... » - الحديث فى دعاء الاستفتاح - وانظر الحديث رقم ١٨ والحديث رقم ٥٩ .
(٣)	٨ - ٣	٣٣	ابن عباس	١١٩ - « يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوّة ... » وأوله : كشف النبي صلى الله عليه وسلم الستارة ... الخ .
(٢)	١٦ - ١٢	٣٦	أبو ذر	١٢٠ - « يا أبا ذر تدرى أين تذهب الشمس ؟ ... » .
(١)	١ - ١٨	٢٢٤ - ٢٢٣	ابن عمر	١٢١ - « يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة » . وفى رواية « ... إلى ربكم ... » .
(١)	١٠ - ٩	٢٧٨		

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
١٢٢ - « يا بني يا العرب ، يا بني يا العرب ، إن أخوف ما أخاف عليكم الزنا والشهوة الخفية » وفي لفظ : الرياء .	عبد الله بن زيد	٢٣٢ -	١٤ - ٣	(١)
١٢٣ - « يا سلمان لا تبغضني فتقارق دينك ... » .	سلمان	٢٨٧	١٠ - ١٢	(٣)
١٢٤ - « يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين » وأوله : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ... » .	أبو طلحة	٨٢	١٠ - ١١	(٤)
١٢٥ - « يا معشر العرب لتفضيل رسول الله إياكم ... » .	سلمان	٢٨٨	٥ - ٧	(٢) (٣) (٤)
١٢٦ - يأمر (الرجال) السماء فتمطر والأرض فتنبث - الحديث في صفة الدجال وأوله : « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة » وانظر الحديث رقم ٥٩ .	النواس بن سمعان	١٩٧ - ١٩٨	٩ - ١	(١)
١٢٧ - « ... يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ... » حديث الخوارج وأوله : « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما ... » .	أبو سعيد الخدري	٢٣١	١٢ - ١٦	(١)
١٢٨ - يقتل الدجال رجلا مؤمنا ثم يقول : قم - الحديث في صفة الدجال وأوله : « حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ... » وانظر الحديث رقم ٥٩ .	أبو سعيد الخدري	١٩٨	١ - ٤	(٢)



الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
١٢٩ - يقتل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام الدجال - خبر مروي في أكثر من حديث ، وانظر الحديث رقم ٥٩ .	جماعة من الصحابة	١٩٧	٧	(٢)
١٣٠ - « يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان » - جزء من حديث الخوارج السابق ، وانظر رقم ١٢٧ .	أبو سعيد الخدري	٢٣٢	٢ - ٤	(١)
١٣١ - « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يحدثونكم ... »	أبو هريرة	١٩٩ - ١٩٨	١ - ١٠	(١)

## فهرس الشعر واللغة

### (١) الشعر

صدر البيت	عجزه	بحره	عدد الأبيات	قائله	ص	س	ت
أتهجوه	الفداء	وافر	١	حسان بن ثابت	١٣٣	٧	(١)
وصاحب	أجر	طويل	١	—	١٢٤	١٢	(٢)
إذا	أعذر	بسيط	١	البحترى	٢٥٦	١٥٠	(١)
بجيش	للحوافر	طويل	١	زيد الخيل	٣٨	١٣	(٢)
					٤١	١٩	
					٤٤	٢٢	
وكتاها	تحنف	طويل	١	أبو الأخرز الحمانى	٣٩	٧	(٤)
من	مختالا	بسيط	١	الأخطل	٧٦	٢	(٢)
مقام	الولى	مقارب	١	ابن عربى	٢٠٩	١٠	(١)
ما	ذم	منسرح	٢		١٠٥	١٠٠	(٤)
إن	أنا	رجز	٢		٢٢٦	٦	(٢)
وكل	ونظامه	طويل	١	ابن عربى	١٥٧	١٧	(١)

## (ب) اللغة

اللفظ	ص
الحجرات . . . . .	٣٩
السجود . . . . .	٢٧-٢٨، ٣٨-٣٩
السنة . . . . .	٥٥
الصلاة . . . . .	٢٨
الظلم . . . . .	١٢٤-١٢٥
القنوت . . . . .	٥-١٨، ٧
الكبا والكبة . . . . .	٢٨٧
المهو . . . . .	٢١
المواخذة . . . . .	١٣٥



## فهرس الأعلام\*

(١)

آدم (عليه السلام): ١١-١٣، ٢٢٠، ٢٢١.

الآجرى ر أبو بكر محمد بن الحسين: ١٢:  
أبان المحاربى (رضى الله عنه): ١٠٨:  
إبراهيم (عليه السلام): ٥٠، ٢٠،  
٢٤، ٣٧، ٦٦، ١١٨، ١٢٦،

١٥٠، ٢٢١، ٢٣٤، ٢٦٩.

إبراهيم بن الحسن القسى: ٣٤  
إبراهيم بن عبد الله القارى: ١٠٤، ١١٣  
إبليس = الشيطان: ١٢، ١٦، ٥٧،  
٩٥، ١٠٦، ١٥٢، ١٩٢،  
١٩٦، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٩،  
٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦،  
٢٦٩، ٢٧٦.

\*\*\*

ابن آدم: ٢٢٣

ابن أبى جعفر (فى سند): ١٧

ابن أبى حاتم: ٧-١٠، ١٧، ١٨،

٢٩-٣١، ٣٧، ٦٣، ٧١

ابن أبى الدنيا (أبو بكر عبد الله بن محمد):  
(١٣٩)

ابن أبى شيبة: ٦٣

ابن أبى طلحة (على): (٨)

ابن أبى عمر: ٣٤

ابن أبى مليكة: ٢٥٧

ابن أبى نجیح: ٩

ابن أبى يعلى (أبو الحسين محمد بن

محمد): (١٦٠)

ابن الأنبارى (أبو بكر): (١٠)، ١٨٤،

١٢٤، ١٢٩

ابن تيمية (تقى الدين أحمد بن عبد الحليم):

٧، ٩، ١٣، ١٩، ٢٣، ٥٧، ١٠٥،

١١١، ١١٧، ١٢١، ١٢٨،

١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٥،

١٦٢-١٦٤، ١٨٧، ٢٠٣،

٢٠٤، ٢١٩، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٠،

ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن

ابن على): (٦)، ١٠، ١٨، ٣١،

٤٠، ٤١، ٤٤، ١٠٩، ١٢٤،

١٢٧، ١٣٩، ١٨٨، ٢٨٨،

ابن حامد (أبو عبد الله الحسن):

(١٦٠)

ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد):

١٥٩، ١٧٠، ١٧١،

ابن حميد (محمد الرازى): ١١

ابن حمويه (محمد بن عبد الله): (١١٤)،

١١٥

ابن زيد: ٣٨، ٢٣٦،

ابن كيسان : ١٨  
 ابن لهيعة : ١٤ ، ٧  
 ابن مسعود ( عبد الله رضى الله عنه ) :  
 ٢٠ - ٣٢ ، ٣٥ ، ٦٢ ، ١١٧ ،  
 ٢٢٦ ، ٢٢٥  
 ابن ملكا ( أبو البركات هبة الله ) :  
 ( ١٨٠ - ١٨١ )  
 ابن النذر : ٢٣٦ ، ٦٣  
 ابن وهب : ٣٧ ، ٧

\* \* \*

أبو الأخرز الحمانى ( الشاعر ) : ٣٩  
 أبو إسماعيل الأنصارى ( عبد الله بن  
 محمد المروى ) : ( ١١٦ )  
 أبو الأسود الدئلى ( ظالم بن عمرو  
 الدؤلى ) : ١٢٢  
 أبو الأشهب : ٢١٩  
 أبو أمامة الباهلى ( رضى الله عنه ) :  
 ١٩٨  
 أبو بردة : ٢٢٣ ، ٢٢٤  
 أبو برزة الأسلمى ( رضى الله عنه ) :  
 ٢٢٩  
 أبو بكر الصديق ( رضى الله عنه ) :  
 ٣٣ ، ٢٠٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،  
 ٢٦٧ ، ٢٦٦  
 أبو بكر الأصم ( المعتزلى ) : ٢٤٦  
 أبو بكر الخطيب : ١٤ ، ١٨٨  
 أبو بكر بن خالد : ٣٤

ابن سبعين : ( ١٠٤ ) ، ١٦٤ ، ١٦٧  
 ابن سينا : ١٦٢  
 ابن شافلا : ( ١٦٠ )  
 ابن عباس ( عبد الله رضى الله عنه ) :  
 ١٠٠ ، ٨ - ١٣ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣١ -  
 ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٣ ، ٦١ - ٦٤ ،  
 ١٠٨ ، ١٣٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ،  
 ٢٥٠ ، ٢٦١ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨

ابن عبد البر : ١٠٨  
 ابن عربى ( محي الدين ) : ( ١٠٤ ) ،  
 ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٥٧ ،  
 ١٦٤ ، ١٦٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ -  
 ٢٠٧  
 ابن عساكر ( على بن الحسن ) :  
 ( ١٣٨ )  
 ابن عطية : ٣٩  
 ابن على الخطيب ( أبو محمد إسماعيل ) :  
 ( ١٨٨ )  
 ابن عليه ( إبراهيم بن إسماعيل المعتزلى ) :  
 ٢٤٦

ابن الفارض : ١٦٧  
 ابن قتيبة : ٦ ، ٢١ ، ٣٩  
 ابن كثير ( إسماعيل بن أبى كثير المقرئ ) :  
 ١٣٢  
 ابن كرام ( أبو عبد الله محمد ) : ( ١٦١ )  
 ابن كلاب ( أبو محمد عبد الله بن سعيد ) :  
 ( ١٥٩ ) ، ١٨١ ، ١٨٢

أبو بكر عبد المزي ( بن جعفر ) : ( ١٨٢ )  
 أبو بكر الهذلي : ٦٤  
 أبو جعفر ( في سند ولله عيسى بن عبد الله  
 الرازي ) : ١٧  
 أبو جعفر الحافظ الكوفي : ٢٨٧  
 أبو جهل : ٢٠٤ ، ٢١٠  
 أبو الحسين البصري ( محمد بن علي الطيب  
 للمعزلي ) : ( ١٨٠ )  
 أبو حنيفة ( الإمام ) : ١٧٧ ، ١٧٣ ، ٣٥  
 أبو خزيمة ( رضي الله عنه ) : ٩٣  
 أبو الخير الأقطع : ١٩١  
 أبو داود ( سليمان بن الأشعث صاحب  
 السنن ) : ١٠٧ ، ٢٣٣  
 أبو الدرداء ( رضي الله عنه ) : ٢٦٦  
 أبو ذر القفاري ( رضي الله عنه ) : ٣٦ ،  
 ٤٢ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ١١٧ ، ١٤٨  
 أبو رافع ( رضي الله عنه ) : ٢٣٠  
 أبو زرعة : ١٩١  
 أبو سعد الأزدي : ٣٠ ، ٣١  
 أبو سعيد الأشج : ١٠  
 أبو سعيد الخدري ( رضي الله عنه ) : ٧ ،  
 ١٩٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥  
 ٢٣٦ ، ٢٥٢ ، ٢٧١  
 أبو سعيد الخراز : ١٠٥ ، ١٦٤  
 أبو سلمة ( محمد بن عبد الله بن زياد  
 الأنصاري ) : ١٤  
 أبو سهل الصعلوكي : ( ١٧٧ )

أبو الشيخ الأصهباني ( أبو محمد عبد الله  
 ابن محمد بن حيان ) : ( ١٣٩ )  
 أبو صالح ( في سند ) : ٣١  
 أبو طالب المكي : ( ١٨١ - ١٨٢ )  
 أبو طلحة ( رضي الله عنه ) : ٨٢  
 أبو الطيب الصعلوكي ( سهل بن محمد ) :  
 ١٧٧  
 أبو عاصم ( في سند ) : ٢٢٦  
 أبو العالية : ٨ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٤٠ ،  
 ٤٢ ، ٢٣٦ ، ٢٥٧  
 أبو عباد بن أبي يزيد : ( ٤٣ )  
 أبو عبد الرحمن السلمي : ١٨٨  
 أبو عبد الله بن بطة : ( ٨٧ )  
 أبو عبد الله بن طاهر : ٣٥ ، ٣٦  
 أبو عبيدة : ٦٢ ، ٦٣  
 أبو العلا عفيفي ( الدكتور ) : ١٦٣ ،  
 ١٦٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦  
 أبو عمرو ( القرطبي ) : ٣ ، ١٣٢  
 أبو القاسم البغوي : ٨٢  
 أبو قتادة : ٢٦٧  
 أبو الكنود : ٣٠ ، ٣١  
 أبو لهب : ١٧٨ ، ٢٠٤  
 أبو مالك ( في سند ) : ٨ ، ١١ ، ١٧  
 أبو محمد الجسري : ١٨٩  
 أبو مكنف : ٣٨  
 أبو موسى الأشعري ( رضي الله عنه ) :  
 ٢١٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٤١ ،  
 ٢٤٢ ، ٢٧٦

أحمد بن محمد بن سالم ( أبو الحسن )  
( ١٨١ - ١٨٢ )

أحمد بن يونس : ١٨٩

الأخطل ( الشاعر ) : ٧٦

أرسطو : ١٠٤ ، ١٦٨

أسباط ( في سند ) : ١٠

إسحاق ( عليه السلام ) : ٢٤

إسحاق بن بشر الكاهلي : ١٤

إسحاق ( لعله ابن راهويه ) : ١٧

إسراfil ( عليه السلام ) : ٢٠٧

إسماعيل ( عليه السلام ) : ٢٤

إسماعيل السدي : ٤٣

الأسود بن سريع ( رضى الله عنه ) :

٢١ ، ٢٠

الأسود الغنسي : ٢٧٣

الأشعري ( أبو الحسن علي بن إسماعيل ) :

٨٧ ، ٨٨ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٢٢ ،

١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٥٦ ، ١٧٧ ،

١٨١ ، ١٨٢

الأعمش : ٢٩

الأغر المزي : ٢٢٣ ، ٢٢٤

الأقرع بن حابس ( رضى الله عنه ) :

٢٦٧

أبيل نصرى نادر ( الدكتور ) :

١٧٣

امراة العزيز : ٧١

أبو نعيم ( الأصبهاني ) : ٨٢

أبو الهذيل الطلاف : ١٧٣

أبو هريرة ( رضى الله عنه ) : ١٢ ،

١٥ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ١٤٧ ، ١٧٩ ،

١٩٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ،

٢٥٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ،

٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨

أبو الهيثم : ٧

أبو يعقوب التهرجورى : ١٨٩ ، ١٩١

أبو يعلى ( القاضي ) : ١٠٩ ، ( ١٢٢ ) ،

١٢٧ ، ١٦٠ ، ١٧٧

أبو يوسف القزويني ( عبد السلام بن

محمد ) : ( ١٨٨ )

أبي بن كعب ( رضى الله عنه ) :

١٢ ، ٤٣

\*\*\*

أحمد بن حنبل ( الإمام ) : ٧ ، ١٢ ،

١٧ ، ٣٥ ، ٨١ ، ١٠٩ ، ١٢٢ ،

١٦١ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ،

٢٤٧ ، ٢٦٦

أحمد بن سنان : ٨

أحمد زكي عطية ( الأستاذ ) : ٢٠٩

أحمد شاكر ( الأستاذ الشيخ ) : ٧ ،

٨ ، ١٣ ، ٣٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٩

أحمد بن عثمان البصري : ٢٢٦

أحمد بن فاثك : ١٥٨

أحمد فريد رفاعي ( الدكتور ) : ١٤١



## (ج)

جابر بن سمره (رضى الله عنه) :

٤٣، ٤٢

جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) :

٨٢، ٥ - ٨٤، ١٤٧، ٢٤٢

جبريل (عليه السلام) : ١٠، ٦٤،

٢٥٧، ١٦٢، ١٥٩، ٩٢

جرير بن حازم : ١٢

الجعد بن درهم : ١٧

الجنيد (بن محمد أبو القاسم) : (١٨٩)

جهم بن صفوان (أبو عمر السمرقندي) :

١٧٩، ١٢٣، ٨٨، (١٦-١٧)

الجوفى (أبو المعالى عبد الملك بن

يوسف) : (٢٣)، ١٧٩،

## (ح)

الحارث بن أسد المحاسبى (أبو عبد الله)

(١٨١)

الحارث بن سريج : ١٧

الحارث بن عبد الطلب بن هاشم

(أبو سفيان) : ١٣٢

الحافظ السلفى : ٢٨٨

الحاكم (صاحب المستدرک) : ١٢، ١٤،

حبيب التجار : ٦٥، ٦٦

حجاج (بن محمد الأعور) : (٦٢)

حنيفة (رضى الله عنه) : ٨٣، ٢٦٦،

أنس بن مالك (رضى الله عنه) :

٢٤، ٤٣، ٨٢، ١٤٧، ١٩٨،

٢٢٥، ٢٤٢

الأوزاعى : ٨، ٢٥٨

إياس بن معاوية (بن قره الزنى) :

(١٢٢)

أيوب (عليه السلام) : ١٣٧

## (ب)

الباجى (أبو الوليد) : (١٢٣)

البحترى (الشاعر) : ٢٥٦

البخارى (الإمام) : ٦١، ٨١، ١٦٩،

٢٥٧، ٢٦١، ٢٧٢

البراء بن عازب (رضى الله عنه) :

٢٢٥

بشر المريسي : ٢٤٦

البغوى (أبو محمد الحسين بن مسعود

الفرأ) : ١٨، ٤٠، ٤٢، ٤٤،

١٠٩، ١٢٤، (١٦٠) - وانظر

الفرأ

بولص : ٢٦٠

## (ت)

الترمذى : ٧، ١٢، ٢٦٢، ٢٨٧،

التلمسانى : ١٦٧

## (ث)

الثعلبى : ١٨، ٦٢

ثوبان (رضى الله عنه) : ١٩٧، ٢٥٨،

الحريري (أبو الحسن علي بن الحسين

ابن منصور) : (١١٤)

حسان بن ثابت (رضي الله عنه) :

١٢٣

الحسن (البصري) : (٣١، ١٨، ٨،

١٣٩، ١١٦، ٨٤، ٦٣، ٦٢

١٥٩، ١٤٠

الحسن بن علي (رضي الله عنهما) :

٢٦٧

الحسن بن علي العسكري : ٢٦٣

حسن بن موسى الأشيب : ٧

الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله

عنهما) : (٢٦٣، ٢١٤

الحسين بن الفضل : ٣٥

حسين بن محمد : ١٢

الحسين بن واقد : ١١

حفص الفرد : (١٥٦)، ١٧٣

الحلاج (الحسين بن منصور) : (١٥٨،

١٨٥، ١٨٧ - ١٩٤، ١٩٩

الحجاني : ١٧

حميد بن عبد الرحمن الحميري : ١٧٨

حواء = زوج آدم : ٥٣، ٢٢٠

(خ)

خفيف : ٣٠، ٩

الخطيب البغدادي = أبو بكر الخطيب

الخلال : ١٦١

(د)

الدارقطني : (٢٦٢)

داود (عليه السلام) : (٣٢ - ٣٦،

٢٦٩، ٢٧٠

داود بن المخبر : ١٦٨

الذجال : ١٩٧ - ١٩٨

دراج (أبو السمح) : ٧

(ذ)

ذو الحويصرة : ٢٣١

ذو النون = يونس (عليه السلام) :

٢٧٠

(ر)

الرازي (فخر الدين أبو عبد الله محمد

ابن عمر) : (١٨١)

الراسبي : ١٤

الربيع بن أنس : ١٧، ١٨، ٢٩، ٣١

(ز)

الزبير بن العوام (رضي الله عنه) :

٢٦٢

الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري

ابن سهل) : (٦)

زريب بن برثلي : ١٣

زكريا بن إسحاق : ٢٢٦

زكي مبارك (الدكتور) : ١٤١

زيد الحجيل (الشاعر) : ٣٨

( ش )

الشافعي (الإمام) : ١٢٢ ، ١٧٧ ،

١٧٨

شداد بن أوس (رضي الله عنه) : ١١٧ ،

٢٣٣ ، ٢٣٢

شريك : ١٧ ، ٩

الشعبي : ٨

شعيب (عليه السلام) : ٥٩ ، ٦١ -

٢٢١ ، ٦٥

شعيب الجبائي : (٦٢)

( ص )

صالح (عليه السلام) : ٦٣ ، ٢٢١

صفوره (امراة موسى عليه السلام)

= صفورا = صفيرا : ٦٢

صلاح المنجد (الدكتور) : ١٠٤

صهيب (رضي الله عنه) : ١١٠

( ض )

الضحّاك : ٣١ ، ٢٣٦

ضرار بن عمرو : (١٥٦) ، ١٧٣

( ط )

طاووس : ٣٧ ، ٣٩

الطبري (ابن جرير) : ٢٩ ، ٦٢ ،

٢٣٦ ، ٧١

طه عبد الباقي سرور (الأستاذ) : ٢٠٩

( س )

سالم (في سند) : ١٧

السدي : ٨ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٠ ، ٣١ ،

٤٢ ، ٦٤

سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) :

١٣

سعيد بن جبير : ٨ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ،

٢٩

سعيد بن منصور : ٦٣ ، (٢٨٨)

سفيان الثوري : ٨ ، ٢٩

سفيان بن عيينة : ١٥١

سفينة (رضي الله عنه) : ٢٦٧

سلمان (الفارسي رضي الله عنه) :

٢٨٧ ، ٢٨٨

سلمة بن وهرام : ٦٢

سليمان (عليه السلام) : ٣٣ ، ٤٣ ،

٢٣٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠

سليمان بن أحمد : ١٤

سليمان الندوي (الأستاذ) : ١٨١

سنيد بن داود : (٦١)

السهروردي (عمر بن محمد) : (١١٣) ،

١١٤

السهروردي (المقتول) : ٥٢ ، ١١٣

سهل بن سعد (رضي الله عنه) : ٢٣٠

سهل بن عبد الله (التستري) : ٤٥

السيد أحمد صقر (الأستاذ) : ٦ ، ٣٩

(ع)

عائشة (رضى الله عنها) : ١١٥، ٣٢،

١٤٦، ١٤٧، ١٥٠، ٢٥٧،

٢٧٨

عبادة بن الصامت (رضى الله عنه) :

١٩٨

عباد بن يعقوب الكوفي : ٤٣

العباس بن عبد المطلب (رضى الله عنه) :

٢٨٧

عبد بن حميد : ٢٣٦، ٧١

عبد الرحمن بن أبي عمرة : ١٧٩

عبد الرحمن بدوى (الدكتور) : ١٦٣

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ٨،

٣٧، ١٣٣

عبد الرحمن بن مهدي : ٨

عبد الرزاق : ٧١

عبد القافر (بن إسماعيل) الفارسي :

(١٦٩)

عبد الله بن أحمد بن حنبل : ١٢، ٧

عبد الله بن أوفى : ٢١٣

عبد الله بن زيد : ٢٣٣

عبد الله بن سبأ : (٢٦٠ - ٢٦١)

عبد الله بن سعد الياقنى البني : ١١٣

عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) :

١٣، ١٤، ٤٢، ٤٣، ١٢٨،

١٩٧، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦،

٢٧٤، ٢٧٨، ٢٧٩

عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) :

١٣، ٢٣٩

عبد الله بن غنم (رضى الله عنه) :

١٠٧

عبد الله بن المبارك : ١٧

عبدوس بن مالك المطار : ١٦١

عثمان بن عفان (رضى الله عنه) : ٢٠٦،

٢٣٢، ٢٦٠، ٢٦٦

عدى بن حاتم (رضى الله عنه) :

٨٣، ٢٦٠

المرباح بن سارية (رضى الله عنه) :

٢٦٧

عزير : ١٨، ١٩، ٢٢، ٢٥٩

المزير (عزير مصر) : ٧١

عطاء : ٨، ١٨، ٣١، ٢٢٦

عطية : ١٠

عقبة بن أبي معيط : ٢٠٤

عقبة بن عامر (رضى الله عنه) : ٢٠

المقبلي : ١٤

عكرمة : ٨، ١١، ١٧، ١٨، ٣٠،

٣١، ٦٤، ٩٨، ٢٣٦

علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) :

٤٣، ٨١، ٩٣، ١٢٦، ٢٠٦،

٢٣٢، ٢٦٠ - ٢٦٧، ٢٧٤،

٢٧٧ - ٢٧٩

علي بن أحمد الحاسب : ١٨٧

علي بن سهل الأصمباني : ١٨٩

## ( ف )

الفراء ( لعله البغوى ) : ٣٩ ، ٤٠ ،

فراس : ٨

فرعون : ١٥ ، ١٦ ، ٢٧ ، ٥٨ ، ١٥٦ ،

١٥٨ ، ١٦٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ - ٢٠٥ ،

٢٠٧ - ٢١٦ ، ٢٣١ - ٢٣٥

الفضيل بن عياض : ٢٥٧

فؤاد سيد ( الأستاذ ) : ٨٧

## ( ق )

قارون : ٢١٠ ، ٢١٥

قناة : ٨ ، ١٨ ، ٣١ ، ٧١ ، ١٣٠

قتيبة : ٣٤

القشيري : ١٩١

الققعاع بن حكيم ( رضى الله عنه ) : ٢٦٧

## ( ك )

كعب الأجار : ١٠ ، ١٣٨

الكمي : ١٥٦

الكلاباذى ( أبو بكر محمد بن إسحاق ) :

١٦٠

كلثوم بن جبر : ١٢

كيسان : ٢٦٤

## ( ل )

ليا ( امرأة موسى عليه السلام ) = ويقال

شرفا : ٦٢

ليث بن سعد : ٨ ، ٢٣٥

على بن عبد الحكم : ٢٢٩

على بن مر الأرمني : ٢٥٦

عماد الدين قره أرسلان بن داود

( الملك ) : ٥٢

عمر بن الخطاب ( رضى الله عنه ) :

١٢ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ١٠٩ ،

١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٧٨ ،

٢٠٦ ، ٢٣١ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،

٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٨٩

عمران بن حصين ( رضى الله عنه ) :

١٢٢

عمرو ( فى سند ) : ٢٣٥

عمرو بن الحارث : ٧

عمرو بن دينار : ٣٧ ، ٢٢٦

عمرو بن العاص ( رضى الله عنه ) :

٢٣٩

عمرو بن عبيد ( أبو عثمان ) : ١٧٣ ، ١٧٨

عمرو بن عثمان المكي : ١٨٩

عمرو بن يحيى المكي : ١٩١

عيسى بن مريم = المسيح : ١٣ ، ١٨ ،

١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٥٣ ، ٦٥ ،

٦٦ ، ٩٨ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ، ١٩٧ ،

٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ،

٢٨٣

## ( غ )

الغزالي = أبو حامد : ١٢٣ ، ١٤١ ،

١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢

(٢)

مالك بن أنس (الإمام) : ١٢٠ ، ١٢٤ ،

١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٢٢

مالك بن الحويرث (رضى الله عنه) :

٨١

المأوردى : ٨٢

مبارك بن فضالة : ١٣٩

النبى : ١٧

مجاهد : ٨ ، ٩ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٢١ ،

٤٣ ، ٤٠

محمد = رسول الله = النبى (صلى الله

عليه وسلم) : ٣ ، ٥ ، ٧ ، ١٠ -

١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ،

٢٤ ، ٣٠ - ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ،

٤٩ ، ٥٠ - ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٣ ،

٦٦ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٨١ - ٨٤ ،

٨٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٠ ،

١٠٦ - ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٤ ،

١١٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ،

١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ -

١٤٨ ، ١٥٠ - ١٥٢ ، ١٥٦ -

١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،

١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٦ - ١٩٨ ،

٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ،

٢٢٠ ، ٢٢٢ - ٢٢٦ ، ٢٢٨ -

٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٢٩ ،

٢٤١ ، ٢٤٣ - ٢٤٥ ، ٢٤٩ -

- ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ -

- ٢٦٢ ، ٢٦٦ - ٢٦٨ ، ٢٧١ -

- ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ -

٢٨٩ ، ٢٩٠

محمد بن أحمد بن سالم (أبو عبد الله) :

( ١٨١ - ١٨٢ )

محمد بن الحسن (المهدى المنتظر عند

الإمامية الاثني عشرية) : ٢٦٣

محمد بن الحنفية : ٢٦١ ، ( ٢٦٤ )

محمد بن داود الأصبهاني : ١٨٩

محمد بن سليمان الجوهري : ١٦١

محمد بن كعب القرظي : ( ١٠٦ )

محمد مصطفى حلمي (الدكتور) : ٥٢

محمد ناصر الدين الألباني (الأستاذ

الشيخ) : ١٦٨ ، ٢٧٤ ، ٢٨٨

محمد بن يحيى بن أبي عمر المدنى :

( ٢٨٨ )

محمد بن يحيى الرازى : ١٩١

محمد بن يزيد بن خنيس : ٣٤

عمود محمد شاکر (الأستاذ) : ١٢ ،

١٣ ، ٣٨ ، ٢٩

المختار بن أبي عبيد الثقفى : ١٨٠ ، ٢٦٤

مُرَّة (فى مسند) : ٣١

مريم (البتول) : ٨ ، ١٧ ، ٢٥٩ -

٢٦٠ ، ٢٨٣

مسروق : ٨

مسلم : ٢٣ ، ٣٤ ، ١٦٩ ، ٢٧٢

النضر بن الحارث : ٢٠٤

فضلة بن جمونة : ١٣

النظام : ١٢٩ ، ١٥٦ ، ٢٧٣

النعمان بن بشير (رضى الله عنه) :

٢٢٥

النواس بن سميان (رضى الله عنه) :

١٩٨ ، ٢٧٤

نوح (عليه السلام) : ١٥ ، ٩٦ ، ١٢٧ ،

١٥٠ ، ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ،

٢٦٩ ، ٢٨٣

(هـ)

هارون (عليه السلام) : ١٦٦ ، ٢٠٤ ،

٢٠٨ ، ٢١٠

هامان : ٢٠٤ ، ٢١٥

هامة بن الهيم (بن لاقيس بن إليس) :

١٣ ، ١٤

هشام بن الحكم : ١٨٠

هود (عليه السلام) : ٦٣ ، ٦٤ ،

٩٦ ، ٢٢١

الهيثمي : ١٢

(و)

واصل بن عطاء : ١٧٣ ، ١٧٨

واقد : ١١

وكيع بن الجراح : ١٧

الوليد (في سند) : ٢٥٨

مسلم بن يسار : ١٢

مسيلة (الكذاب) : ١٩٧ ، ٢٧٣

مطرف : ١٠

معاذ بن جبل (رضى الله عنه) : ١٥

معاوية بن صالح : ٨

معبد الجهنى : ١٧٨

مقاتل (في سند) : ١٨ ، ٣٠ ، ٤٠

مقاتل بن حيان : ٨

مقاتل بن سليمان : ١٧

النهال : ٢٩

موسى (عليه السلام) : ١٥ ، ٢٤ ، ٦١ -

٦٦ ، ٨٩ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،

١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،

١٦٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،

٢١٠ - ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٢ ،

٢٣٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨٤

موسى بن إسماعيل : ٣٤

ميكال = ميكائيل (الملك عليه السلام) :

٩٢ ، ٢٥٧

ميمون بن مهران (أبو عمرو) :

(١٢٩)

(ن)

نافع (المقرئ) : ١٣٢

النجار (أبو عبد الله الحسين بن محمد) :

(١٥٦)

نصر بن سيار : ١٧

وهب بن منبه : ٢٩

( ى )

يثرى = يثرون = أرون : ٦٢

يحيى بن رافع : ٣١

يحيى بن سعيد : ١٠

يحيى بن واضح : ١١

يحيى بن يعمر : ١٧٨

يزيد النحوى : ٢١

يزيد بن الهاد : ٢٣٥

يعقوب ( عليه السلام ) : ٢٤

يوسف ( عليه السلام ) : ١١٥ ، ٧١ ، ١١٥ ، ١١٥

٢٣٤ ، ١٣٣

يوشع ( عليه السلام ) : ٥٢

يونس = ذو النون : ٢٧٠



## فهرس القبائل والفرق والطوائف

أزواج النبي ( صلى الله عليه وسلم ) : ٣٦  
الأسباط ( أولاد يعقوب عليه السلام ) :

٢٤

الأشاعرة = الأشعرية = أصحاب

الأشعرى : ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،

١٢٧ ، ١٥٩ ، ١٧٧ ، ١٨١ ،

٢٤٦

أصحاب الأيكة : ٦١ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،

أصحاب الرس : ٢٠٨

إل ياسين : ١١٣

الإمامية الإثنا عشرية : ١٨٠ ، ٢٤٦ ،

٢٦٣

الأمراء : ٥٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ،

الأموية : ٢٦٢

الأنبياء = النبيون : ١٩ ، ٢٤ ، ٣٤ ،

٥٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٠٩ ، ١٦٣ ،

١٩٠ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،

٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،

٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ -

٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ،

٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،

الإنس : ٩ ، ٣٧ ، ٩١

الأنصار : ١٤٦ ، ٢٢٠ ، ٢٦٨ ،

٢٧٤ ، ٢٩٠

(١)

آل أبي أوفى : ٢١٣

آل إبراهيم : ٢١٣

آل داود : ٢١٣

آل عمران : ٢١٣

آل فرعون = قوم فرعون : ٢٧ ،

٥٨ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ،

٢١٠ ، ٢١٢ - ٢١٦

آل محمد ( صلى الله عليه وسلم ) : ٣ ،

٤٥ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٨٧ ،

١١٨ ، ١٣١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ،

١٥٥ ، ١٨٣ ، ٢١٦ ، ٢٩٠ ،

الأئمة : ٨١ ، ٨٨ ، ١٥٥ ، ١٦٢ ،

١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ٢٥١ ،

٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ،

٢٧٦

الأئمة الإثنا عشر : ٢٦٤

الاتحادية : ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٧٣ ،

٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ،

الأخبار : ٦٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،

إخوان الصفا : ١٦٨

إخوان لوط = قوم لوط = آل لوط :

٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ،

الأرمن : ١٩٥

أهل النار: ١٢، ١١٦، ١٣٣، ١٤٦،

٢٠٤، ٢٣

أولو الأمر: ٢٧٣ - ٢٧٥

الأولياء = أولياء الله: ٥٣، ٥٠،

١٩١، ١٩٠، ١٨٧، ٩٧، ٥٤

١٩٦، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٦٧

(ب)

الباطنية: ١٠٣، ١٠٤، ١١٢،

١٦٧، ١٧١

البصريون: ١٧٣

بنو آدم = الآدميون: ١١ - ١٣،

٢٢، ٢٣، ٢٨، ٣٥، ٣٨،

٤١، ٥٣، ٧٠، ٢٢٥، ٢٢٩

٢٣٦، ٢٤١، ٢٥٨

بنو إسرائيل: ٨٩، ١٣٨، ١٥٠،

١٧٩، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢١٢، ١٦٥

بنو نعيم: ٢٣١

بنو راسب: ١٧

بنو عامر: ٣٨

(ت)

التابعون: ٩، ٣٠، ٦٣، ١٢٣،

١٢٩، ١٩٠

التتر: ١٩٥

(ث)

الثنوية: ١٠٧

أهل الإنبات = الثبتون: ٨٧، ١١٤

أهل الإلحاد: ١٠٢

أهل الجنة: ١٢، ١٧، ١١١، ١١٦،

١٣٢، ١٣٣، ١٤٦، ١٥٠،

٢٨٨

أهل الحديث = المحدثون: ٨٢، ١٢٢،

١٥٩، ١٦١، ١٧٧، ١٨٢

أهل السنة: ٢٥، ٤٠، ٤٢، ١١١،

١١٤، ١١٥، ١١٨، ١٢٣،

١٢٩، ١٦٠ - ١٦٢، ١٧٢،

١٧٣، ١٨١، ١٨٢، ١٩١،

١٩٢، ٢٦٣، ٢٧٦

أهل الطاعة: ١٠، ١٨

أهل الكتاب: ١٥، ١٩، ٢٨، ٣١،

٣٢، ٥١، ٦١، ٦٣، ٦٥،

٦٦، ١١٥، ٢٣٠، ٢٣١،

٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٦، ٢٥٩،

٢٦٩، ٢٧١

أهل الكلام = المتكلمون: ١٤،

٨٨، ١٢٢، ١٢٥، ١٦٠،

١٦٣، ١٦٧، ٢٤٦، ٢٦٢،

٢٦٨

أهل اللغة = أهل العربية: ١١٠،

١٢٩

أهل مدين: ٦٢

أهل الملل: ٥٤، ١٢١، ١٢٥، ٢٠٣

## (د)

الدجالون : ١٩٧ - ١٩٩ ، ٢٧٢

## (ر)

الرافضة = الروافض : ١٨٠ ، ٢٥٦

٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٦

الرسل = الرسلون : ٩ ، ١٤ - ١٦ ،

٢٤ ، ٢٦ ، ٤٩ - ٥١ ، ٥٣ ،

٥٨ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٩٢ ، ٩٦ ،

٩٧ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٤٩ ،

١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ،

٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،

٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٤٣ - ٢٤٥ ،

٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٨٤

الرهبان : ٦٥ ، ٢٣١ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠

## (ز)

الزنادقة : ١١٢ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ ، ٢٥٥ ،

٢٦١

الزهاد : ١٩٢٠

## (س)

السالية : ( ١٨١ - ١٨٢ )

السامرة : ٢٧٠

## (ج)

جماعة السلمين : ٢٣٢

الجبرية = المجبرة

الجمهور : ٨٨ ، ٩٤

الجن : ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ، ٣٧ ، ٩١ ،

١٩٦ ، ١٩٥

الجهمية : ( ١٦ - ١٧ ) ، ٨٣ ، ١٠٣ ،

١١١ - ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢١ ،

١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٨ ، ١٦١ ، ٥٥ ،

١٦٢ ، ١٧٢ ، ٢٥٦

## (ح)

الحرثانيون : ( ١٠٦ ) ، ١٠٧ ،

الحولية : ١٥٧

الحنابلة = أصحاب أحمد : ٨٧ ، ١٠٩ ،

١٢٢ ، ١٦٠ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ،

الحنفية : ١٥٩ ، ١٧٧ ،

الحواريون : ٦٥ ، ٦٦ ،

## (خ)

خلفاء بني أمية : ٢٨٩

خلفاء بني العباس : ٢٨٩

الخلفاء الراشدون : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،

٢٨٩

الحوارج = الحوورية : ٩٨ ، ١١٢ ،

٢٣١ ، ٢٢٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢

## السنية: (٢٦٠ - ٢٦١)

السحرة: ١٣٣، ١٦٧، ١٨٧،

١٩٤، ١٩٦، ٢١٢، ٢٧٠،

السلف: ٩، ١٢، ١٧، ١٨، ٣٤،

٨١، ٨٨، ٣٠، ١٥٦، ١٦١،

١٦٢، ١٧٣، ٢٥١، ٢٥٧،

٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٦،

## (ش)

الشافعية = أصحاب الشافعي: ١١٣،

١٢٢، ١٦٠، ١٧٧،

الشياطين: ١٨٧، ١٨٨، ١٩١،

١٩٢، ١٩٤ - ١٩٦، ٢١٢،

٢٧٠.

الشيعة: ٩٨، ١٠٤، ١٥٦، ١٦١،

١٨٠، ١٩٢، ٢٦٣،

الشيوخ = الشايع: ١٢٥، ١٨٨،

١٩٤، ١٩٦، ٢٦٤، ٢٧٣،

٢٧٥، ٢٧٦،

## (ص)

الصابئة = الصابئون: ١٠٦، ١٦٢،

١٦٨، ٢٧٠،

الصحابة = أصحاب رسول الله:

٩، ١٥، ٦١، ٦٣، ٦٦،

٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٧، ١٣٩،

١٤٠، ١٥٠، ١٧٨، ١٩٠،

٢٣١، ٢٣٦، ٢٥٠، ٢٥٣،

٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٦٦،

٢٧٣، ٢٧٥،

الصفانية: ١٥٦، ١٧٧،

الصفوية = المتصوفة: ٨٧، ١٠٤،

١١٢، ١١٣، ١٢٢، ١٦٠،

١٦٤، ١٦٧، ١٨١، ١٨٢،

١٨٨، ١٨٩،

## (ض)

الضرارية: (١٥٦)، ١٧٣،

## (ظ)

الظاهرية: ٢٤٦،

## (ع)

العبيد = العابدون: ٢٢، ٢٣، ٢٤٧،

٢٥٥، ٢٦٤،

عبدة الأوثان: ١٠٧،

العرب: ١٠٦، ١٢٤، ١٢٥، ١٩٤،

٢١٠، ٢٢٣، ٢٨٥، ٢٨٧ -

٢٩٠.

العجم: ٢٨٩، ٢٩٠،

العلماء: ١١، ٣٥، ٣٦، ٢٨، ٤١،

٦٣، ١٥٦، ١٥٩، ١٨٧،

١٩٠، ١٩١، ٢٠٣، ٢١١، ٢٤٧،

٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٦،

٢٦٣، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦،

٥٥٣، ٥٠، ٤٩، ٤٠، ١٨، ١٦

٤١٠٤، ٩١٦٧٠، ٦٩، ٥٦

٤٢١٠، ٢٠٨، ١١٠، ١٠٩

٤٢٤٥، ٢٤٤، ٢٢٧، ٢١١

٢٥٩، ٢٥٦

الكرامية: (١٦١)، ١٨٢، ١٨١،

الكلابية: (١٥٩)، ١٧٧،

الكوفيون: ١٧٣، ١٠٩

الكلان = الكهنة: ١٩٤ - ١٩٦

الكيسانية: ١٨٠، (٢٦٤)

(م)

المالكية: ١٢٣، ١٦٠، ١٧٧

المتبعة: ١٥٦، ٢٥٦

المجرة = الجبرية: ٧٠، ٩٨، ١٠٣

١٢٥، ١٢٢، ١١٨، ١١١

١٥٦، ١٢٩، ١٢٧

المجتهدون: ٢٤٦

المجوس: ١٠٦، ١٠٧

المختارية: (١٨٠)

مذبح (قبيلة): ٢٧

المرتدون: ١٥

المرجئة: ١٦، ١٧، ١١١، ١١٢

١٥٦، (١٦٠)، ١٦١

المسلمون: ٥، ٢٨، ٣٥، ٥٥، ٨١

٩٤، ٩٨، ١٢١، ١٦٩، ١٨٧

١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢١٤

(غ)

الغلاة = الغالية: ٢٥٩، ٢٦٠

٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٥

(ف)

الفقهاء: ٧، ٨٧، ٨٨، ١٠٩، ١٢٢

١٧٧، ٢٧٦

الفلاسفة = المتفلسفة: ٥٢، ١٠٣

١٠٤، ١٥٥، ١٦٢ - ١٦٤

١٦٧ - ١٧٠، ١٧٢

(ق)

القائلون بوحدة الوجود: ١١٢، ١١٤

١٦٧

القدرية: ٢٥، ٧٠، ٩٤، ٩٨، ٩٩

١٠٣، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٧

١٢٩، ١٧٧، ١٧٨، ٢٥٦

٢٦٣

القرامطة: ١٥٥، ١٦٧، ١٧١

١٧٣، ١٨٩

قريش: ٢٨٧

قوم تبع: ٢٠٨ - ٢٠٩

قوم (قوم) عمود: ١٥، ٢٧، ٢٠٨

٢٠٩

قوم (قوم) عاد: ١٥، ٢٧، ٢٠٨، ٢٠٩

قوم نوح: ١٥، ٢٧، ٢٠٨، ٢٠٩

(ك)

الكافرون = الكفار: ١٠، ١١

المؤمنون : ١١ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٣ ،  
 ٢٤ ، ٢٦ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤ ،  
 ٥٦ ، ٥٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ،  
 ٩٧ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٤٥ ،  
 ١٧٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ - ٢٢٨ ،  
 ٢٣٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،  
 ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،  
 ٢٦٤ ، ٢٦٩ - ٢٧١

( ت )

التجارية : ( ١٥٦ )

النسك : ٢٦٤

النصارى : ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٩٨ ،  
 ١٠٦ ، ١١٥ ، ١٦٣ ، ١٦٩ ،  
 ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٢٨ ،  
 ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،  
 ٢٨٤

النفاة = النافية : ١٠٣ ، ١٢٩ ، ١٥٥ ،

١٥٩ ، ١٧١ ، ١٧٧

نفاة القياس : ٢٤٦

( ي )

اليهود : ٢٨ ، ٢٩ ، ٦٣ ، ٩٨ ، ١٠٦ ، ١١٥ ،  
 ١٦٣ ، ١٦٩ ، ٢٣ ، ٢٠٥ ،  
 ٢٠٩ ، ٢٢٩ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،  
 ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٤

٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ ،  
 ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،  
 ٢٦٦

المشاهدون : ١٦٨

المشركون : ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ١٩٤ ،  
 ٢٠٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ،  
 ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٠

المنزلة : ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٢٣ ،  
 ١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٥٦ - ١٥٩ ،  
 ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ،  
 ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢٤٦ ،  
 ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٦

المنزلة البصرية : ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ،

المفسرون : ١٨ ، ٤١ ، ٧١

الملائكة : ٤ ، ١٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ،  
 ٣٧ ، ٤١ ، ٥٣ ، ٩٢ ، ١٣٥ ،  
 ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٧٢ ، ٢٥٩

الملاحدة : ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ٣٠٦ ،  
 ٢١٢ ، ٢١٣

الملوك : ٦٦ ، ٧٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ،

المنافقون : ٢٦ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٩١ ،  
 ١٤٧ ، ١٨٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ،  
 ٢٥٩

المهاجرون : ٢٢٠ ، ٢٦٨ ، ٢٩٠ ،

المؤسكات : ٢٠٩

## فهرس الاماكن والبلدان

حلوان : ١٣

(خ)

خراسان : ١٧ ، ١٨٧٠

(د)

دار القطن (من احياء بغداد) : ٢٦٢

دمشق : ١٠٤ ، ١٢١ ، ١٩٢

(ر)

الري : ١٨١

(س)

سامراء : ٢٦٣

سهرورد : ١١٣

(ش)

الشام : ١١٤ ، ١٩٣ ، ٢٨٣

الشاهدة (قرية) : ١٩٣

الشوبك (قلعة بالشام) : ١٩٣

(ص)

الصالحية (جبل) : ١٩٢

(ع)

عرفات = هرة : ١٢ ، ٢٥٨

عمان : ١٩٣

(١)

أبو قيس (جبل) : ٣٧ ، ١٩٢

أحد (جبل) : ٥٤ ، ١٧٨

الأخشان (جبلان بمكة) : ٣٧

الأندلس : ١٠٣ ، ١٢٣

أصبهان : ١٣٩

أنطاكية : ٦٦

أيلة : ١٩٣

(ب)

باب الصغير (بدمشق) : ١٩٢

بدر : ٥١

البصرة : ١٢٢ ، ١٧٣ ، ١٧٨

بغداد : ٦٢ ، ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٨٩

بيت المقدس : ٢٨٣

(ت)

الترك (أرض) : ١٩٤

تركستان : ١٨٧

تهامة : ١٤

(ح)

الحديبية : ١٠٠

حروراء : ١١٢

مرسية (بالأندلس) ١٠٤

مرو: ١٧

مكة: ٣٧، ٤٢، ٤٣، ٦٤، ٢٨٨

(ن)

نعمان = جبل عرفة: ١٢

نيسابور: ١٢٣، ١٢٩

(هـ)

الهند: ١٨٧، ١٩٤

(و)

واسط: ٧٦

(ى)

اليمامة: ١٩٧

اليم: ١٩٢

(ق)

القادسية: ١٣

القنزم: ١٩٣

قلعة دمشق: ١٢

القسطنطينية: ١٩٧

(ك)

كابيل: ١٧٨

الكرك: ١٩٣

الكعبة: ٣٧، ٢٨٣، ٢٨٤

كندة: ٢٦١

الكوفة: ١٠٦، ١١٢

(م)

ما وراء النهر: ١٨٧

مدین: ٦١، ٦٢، ٦٤

المدینة (النورة): ١٩٨



## فهرس المصطلحات والبحوث الفرعية(\*)

صفحة

( ١ )

حكام فقهية شرعية :

١٩٠	حكم الزنديق إذا أظهر التوبة — للعلماء فيه قولان
٢٤٨ — ٢٤٦	حكم المجتهد المخطئ عند طائفة من التكلمين والفقهاء
٢٧٥ — ٢٧٣	طاعة أولى الأمر — منهاها وحدودها

( ت )

التفسير :

٦٣	تفسير الثعلبي لا يعتد به
٧٠ — ٦٩	المعاني الإجمالية لسورة الإنسان : خلق الإنسان وهدايته — المبدأ والمعاد — الخلق والأمر — إثبات الأسباب والفعل والإرادة للعبد — مشيئة العبد إنما هي بمشيئة الله

التصوف :

١٨٩ — ١٨٨	الحلاج — ذم الأئمة والخبيد له
٢٠٦	خاتم الأولياء : ابن عربي يدعى أنه خاتم الأولياء
٢٠٩ ، ٢٠٦ — ٢٠٥	خاتم الأولياء أفضل عند ابن عربي من خاتم الرسل
١٧٠ — ١٦٩	الغزالي : مدى صحة ما ينسب إليه من كتب وأقوال مبتدعة
١٤٢ — ١٤١	قوله : ليس في الإمكان أبدع مما كان
٢٠٧	القطب والغوث
١٠٥ — ١٠٤	وحدة لوجود : قول باطنية الشيعة والتصوفة بها
١٦٧ — ١٦٤	شواهد من كلام ابن عربي على قوله بها
١١٢	الولي ( معنى اللفظ )

\* هذا الفهرس يتضمن بعض المصطلحات والبحوث التي لم يشر إليها في فهرس الموضوعات .

الصفحة

## (ح)

- الحُرُورِ (هو من عبد الله بالخوف وحده) — وانظرت ٢ ١١٢  
 الحوادث اليومية المشهودة دليل على حدوث العالم ١٣٩ - ١٤١

## (ص)

صفات الله :

- ابن حزم وتأويله لصفات الله تعالى ١٣٧ - ١٣٦  
 أقوال بعض المبتدعة في مسألة كلام الله ١٥٥ - ١٥٨  
 البداء ١٧٩ - ١٨٠  
 السمع والبصر والكلام — مقالات أهل السنة فيها ١٨١ - ١٨٢  
 للصفائية أقول ثلاثة في الشيئة والإرادة ١٨٢  
 الله تعالى له للثل الأعلى وهو أولى بصفات الكمال ١٣٦ - ١٣٧

## (ع)

- عصمة الأنبياء عند بعض المتكلمين وعند أهل السنة ٢٦٨ - ٢٧٠  
 العقل : بيان أن حديث « أول ما خلق الله العقل » موضوع ١٦٨ - ١٦٩  
 والتعليق على ذلك

## (ق)

القضاء والقدر :

- الأسباب بين النفي والإثبات ٨٣ - ٨٤  
 الأمور الطبيعية إما أن تقع بمحض الشيئة على قول وإما أن ٥٤ {  
 تقع بحسب الحكمة على قول  
 أهل السنة يقولون : لا يكون في ملكه إلا ما يشاء بخلاف القدريّة ٢٥  
 أول ما أنعم الله على العبد (تنازع الناس في ذلك) ١٠٩  
 البداء ١٧٩ - ١٨٠  
 تعذيب الأطفال ١٢٥  
 حكم الله - أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصبر لحكم ربه ، ٧٤ {  
 وهو يعم الحكم الديني : وهو الأمر والنهي ، والحكم السكوني :  
 وهو القضاء والقدر

صفحة

٧٧

مشيئة الله ومشية العباد

( م )

١١٢	المرجئة ( معنى اللفظ ) وانظر التعليق
٧٧—٧٦	المعاد مثل للمبدوء وإن كان هو بعينه
١٤٠	معرفة الله الفطرية — الكلام عليها
١٧—١٤	إنكار كثير من أهل الكلام لها وقولهم بوجوب النظر
١٣—١١	معنى قوله تعالى « وإذ أخذ ربك من بنى آدم . . . الآية »
	ومعنى إنطاق بنى آدم وإشهادهم على أنفسهم
٢٦٣	المهدي المنتظر عند الإمامية الاثني عشرية

## فهرس الكتب

صفحة	اسم الكتاب
٨٧	« الإبانة الكبرى » لابن بطة ( الإشارة إليه على الأرجح )
١٦٤	« إحياء علوم الدين » للغزالي
١٨٨	« أخبار الحلاج » مجلد لأبي يوسف القزويني
١٠٨	« الاستيعاب » لابن عبد البر ( الإشارة إليه على الأرجح )
٥٢	« الألواح المادية » للسهروردي المقتول
٢٧٢، ٢٢٢، ١٦٣	« الإنجيل »
١٨٨	« تاريخ ابن الجوزي » ( وهو المنتظم ) .
١٨٨	« تاريخ بغداد » لابن علي الخطابي
١٨٨	« تاريخ بغداد » للحافظ أبي بكر الخطيب
١٦٩	« تاريخ نيسابور » لعبد الغافر الفارسي
١٣٨	كتاب « تشریف يوم الجمعة وتعظيمه » لابن عساكر
١٦٠	« التعرف في مذاهب التصوف » للكلابادي
٦٢	« تفسير ابن جرير » ( وهو تفسير الطبري )
١٣٩	« تفسير ابن الجوزي » ( وهو زاد السير في علم التفسير )
٦٤	« تفسير السدي »
٦١	« تفسير سنيد بن داود »
٢٧٢، ٢٣٤، ٢٢٢، ٦٣	« التوراة »
٢٦٢	كتاب « ثناء الصحابة على القرابة وثناء القرابة على الصحابة » للدارقطني
٦٦، ٥٣-٥٢	« الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » = « الرد على النصارى » لابن تيمية
١٦٣	« جواهر القرآن » للغزالي
١٩١	« الرسالة » للقشيري
١٦٨	« رسائل إخوان الصفاء »
١٨٨	« رفع اللجاج في أخبار الحلاج » لابن الجوزي

صفحة	اسم الكتاب
٢٧٢	« الزبور »
٢٢٥	في « السنن »
٢٨٨	« سنن » سعيد ( بن منصور )
١٢٦	« صحف إبراهيم وموسى »
٢٧٢ ، ٢٦١ ، ١٦٩	« صحيح البخارى »
٢٧٢ ، ٢٢٣ ، ١٦٩ ، ١١٠ ، ٣٣	« صحيح مسلم »
٢٧٨ - ٢٧٦ ، ٢٥٣ ، ٢٢٥	« الصحيحان »
١٨٩	كتاب « الصلاة » للحسن البصرى
١٨٨	« طبقات الصوفية » لأبى عبد الرحمن السلمى
١٣٩	كتاب « العظمة » لأبى الشيخ الأصبهاني
٢٠٧ ، ١٦٧	« الفتوحات المكية » لابن عربى
٢٠٧ ، ٢٠٤ ، ١٦٦ - ١٦٤	« فصوص الحكم » لابن عربى
٢١٣ ، ٢٠٤ ، ١٩١ ، ١٨٣ ، ١٦٣ - ١٦١ ، ١٥٨ ، ٦٤	« القرآن »
٢٨٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٢ ، ٢٤٩ ، ٢٣٨	
١٦٣	« كيمياء السعادة » للغزالي
٥٢	كتاب « المبدأ والمعاد » للسهروردى المقتول
١٦٣	« مسائل النفخ والتسوية » للغزالي
١٦٣	« مشكاة الأنوار » للغزالي
١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٦٣	« المضمون به على غير أهله » الأول والثانى = « المضمون بهما »
١٧٢	على غير أهلها « = « المضمون » للغزالي
١٨١	« المطالب العالية » للرازي
١٣٩	كتاب « المطر » لابن أبى الدنيا
١٨٠	« المعتبر فى الحكمة » لابن ملكا
٢٦٣	فى الكتاب الكبير « منهاج أهل السنة النبوية فى نقض كلام الشيع » القدرية « لابن تيمية
٢٨٨	كتاب « الموضوعات » لابن الجوزى

## فهرس مراجع التحقيق

(١)

الإبانة عن أصول الديانة ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، ط . المنيرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ابن حنبل ، للشيخ محمد أبي زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٦٧/١٩٤٧ .  
الإحكام في أصول الأحكام ، لـ سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد الآمدي ، ط .  
المعارف ، القاهرة ، ١٣٣٢/١٩١٤ .

إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، ط . لجنة نشر الثقافة الإسلامية ، القاهرة ،  
١٣٥٦ - ١٣٥٧ .

أخبار الحكماء = تاريخ الحكماء .

أخبار الحلاج ، لعلي بن أنجب الساعى ، تحقيق ماسينيون وكراوس ، باريس ،  
١٩٣٦ .

الأخلاق عند الغزالي ، د . زكى مبارك ، ط . دار الكتاب العربي ، القاهرة ،  
بدون تاريخ .

الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ،  
ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧١/١٩٥٢ .

الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله  
الجويني ، تحقيق د . محمد يوسف موسى والأستاذ علي عبد النعم عبد الحميد ، ط .  
الحانجي ، القاهرة ، ١٣٦٩/١٩٥٠ .

الاستيعاب في أسماء الأحاب ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري  
القرطبي ، بذييل الإصابة لابن حجر ، ط . المكتبة التجارية ، القاهرة ،  
١٩٣٩/١٣٥٨ .

الإشارات والتنبيهات ، لأبي طي الحسين بن عبد الله بن سينا ، تحقيق د . سليمان دنيا ،  
ط . المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٧ - ١٩٦٠ .

الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، ط . التجارية ، القاهرة ،  
١٩٣٩/١٣٥٨ .

أصول الدين ، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ، استانبول ، ١٩٢٨/١٣٤٦ .  
اعتقادات فرق المسلمين والمشركون ، لفخر الدين الرازي ، تحقيق د. علي سامي النشار ،

ط . النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٨/١٣٥٦ .

الأعلام ، لحير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٢٧٢ - ١٩٥٤/١٣٧٨  
- ١٩٥٩ .

إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم  
الجوزية ، ط . المنيرة ، القاهرة ، بدون تاريخ .

اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، لابن تيمية ، تحقيق الشيخ محمد  
حامد الفقي ، ط . السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٥٠/١٣٦٩ .

أقسام العلوم العقلية ، لابن سينا ، ضمن تسع رسائل في الحكمة والطبيعات ، ط .  
أمين هندية ، القاهرة ، ١٩٠٨/١٣٦٦ .

إنباه الرواة على أنباه النحاة ، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي ، تحقيق الأستاذ  
محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط . دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٥٠/١٣٦٩ .

## ( ب )

البدء والتاريخ ، لمطهر بن طاهر المقدسي ، ط . باريس ، ١٨٩٩ - ١٩١٩ .  
البدية والنهاية في التاريخ ، لإسماعيل بن عمر بن كثير ، ط . السعادة ، القاهرة ،  
١٩٣٢/١٣٥١ .

البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، لعبد الفتاح القاضي ، ط . مصطفى  
الحلي ، ١٩٥٥/١٣٧٥ .

البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانات والسحر والتاريجات ،  
للإسقلاني ، ط . بيروت ، ١٩٥٨ .

## (ت)

- تاريخ ابن الوردي ، لعمر بن الوردي ، القاهرة ، ١٢٨٥ .
- تاريخ الأدب العربي ، لكارل بروكلمان ، ترجمة د . عبد الحليم النجار ، ط . المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
- تاريخ بغداد ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، القاهرة ، ١٣٤٩ / ١٩٣١ .
- تاريخ الحكماء ( مختصر الزوزني من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء لعلي ابن يوسف القفطي ) ، ط . لينزج ، ألمانيا ، ١٩٠٣ .
- تاريخ حكماء الإسلام ، لظهير الدين علي بن زيد البيهقي ، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي . ط . المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ١٩٤٦ / ١٣٦٥ .
- التاريخ الكبير ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ط . حيدر آباد ، ١٣٦١ .
- تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر ، ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٤ / ١٣٧٣ .
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة ، لأبي المظفر الإسفراييني ، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري ، القاهرة ١٣٥٩ / ١٩٤٠ .
- تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، لعلي بن الحسن ابن عساكر ، ط . القدسي ، دمشق ، ١٣٤٧ .
- تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمرى القرطبي ، ط . القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٠ .
- تذكرة الحفاظ ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الطبعة الثالثة ، حيدر آباد ، ١٩٥٥ / ١٣٧٥ .
- تذكرة الموضوعات ، لمحمد طاهر بن علي الفتى ، ط . المنيرة ، القاهرة ، ١٣٤٣ .
- ترتيب مسند الطيالسي ( منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود ) ، للأستاذ أحمد عبد الرحمن البنا ، القاهرة ، ١٣٧٢ .



- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذرى ،  
تحقيق مصطفى محمد عمارة ، ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٢/١٩٣٣ .
- التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، للدكتور أبي الملا عفيفي ، ط . المعارف ،  
الاسكندرية ، ١٩٦٣ .
- التعرف لمذهب أهل التصوف ، لأبي بكر محمد الكلاباذي ، تحقيق د . عبد الحليم  
حمود ، ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٠/١٩٦٠ .
- التعريفات ، لعلي بن محمد الجرجاني (مع رسالة اصطلاحات الصوفية لابن عربي) ،  
ط . مصطفى الحلبي ، ١٣٥٧/١٩٣٨ .
- تفسير البغوى (معالم التزويل) بذيل تفسير ابن كثير ، ط . المنار ، القاهرة .
- تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير  
الطبرى ، تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ، ط . المعارف ، القاهرة .
- تفسير الطبرى ، ط . بولاق ، القاهرة ، ١٣٢٣ .
- تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، تحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر ، ط . عيسى  
الحلبي ، ١٣٧٨/١٩٥٨ .
- تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ، ط . مصطفى الحلبي ،  
القاهرة ، ١٣٦٧/١٩٤٨ .
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى  
القرطبي ، ط . دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٧٢/١٩٥٢ .
- تقريب التهذيب ، لأحمد بن على بن حجر العسقلانى ، تحقيق الشيخ عبد الوهاب  
عبد اللطيف ، ط . دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٣٨٠/١٩٦٠ .
- تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ، لابن الديبع  
الشيئاني ، ط . محمد صبيح ، القاهرة ، ١٣٤٧ .
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، لأبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن  
الملطى ، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى ، ط . عزت العطار ، القاهرة ،  
١٣٦٨/١٩٤٩ .

تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ، لأبي الحسن على بن محمد بن عراق الكنانى ، تحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ، ١٣٧٨ .

تهذيب الأسماء واللغات ، لأبي زكريا يحيى الدين بن شرف النووي ، ط . المنيرية ، بدون تاريخ

تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلانى ، ط . حيدر آباد ، ١٣٢٥-١٣٢٧ .

التوحيد وإثبات صفات الرب ، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، ط . المنيرية ، القاهرة ، ١٣٥٣ .

تيسير الوصول إلى جامع الأصول ، لعبد الرحمن بن على بن الديع الشيبانى ، ط . مصطفى الحلبي ، ١٩٣٤/١٣٥٣ .

### (ج)

جامع الأصول من أحاديث الرسول ، لأبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزرى ، تصحيح الشيخ محمد حامد الفقى ، ط . السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٦٨/١٩٤٩ .

الجامع الصحيح ، لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، استانبول ، ١٣٣٩-١٣٣٣ .

الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطى ، ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٩/١٣٥٨ .

الجيلال والأمكنة والمياه ، للزخمرى ، ط . النجف ، ١٣٨١/١٩٦٢ .

الجرح والتعديل ، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازى ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد ، ١٣٧١/١٩٥٢ .

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية ، ط . اللدن ، القاهرة ، ١٩٥٩/١٣٧٩ .

### (ح)

الحلاج شهيد التصوف الإسلامى ، للأستاذ طه عبد الباقي سرور ، ط . المكتبة العلمية ، القاهرة ، ١٩٦١ .

الحور العين ، لأبي سميح نشوان الحميرى ، تحقيق الأستاذ كمال مصطفى ، ط . الحانجى والثنى ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

## (خ)

الخطوط (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) لتقي الدين أحمد بن علي  
القرنزي ، ط . الأميرية بيولاقي ، القاهرة ، ١٢٧٠ .  
خلاصة تهذيب السكّال في أسماء الرجال ، لأحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري ،  
ط . الحبرية ، القاهرة ، ١٣٢٢ .

## (د)

دائرة المعارف الإسلامية .  
الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لجلال الدين السيوطي ، ط . طهران ، ١٣٧٧ .  
دول الإسلام في التاريخ ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، الطبعة الثانية ،  
حيدرآباد ، ١٣٦٤ .  
الديباج الذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لإبراهيم بن علي بن محمد بن  
فروخ المالكي ، ط . مطبعة الماهد ، القاهرة ، ١٣٥١ .

## (ذ)

ذخائر الوارث في الدلالة على مواضع الحديث ، لعبد الغني النابلسي ، ط . جمعية  
النشر والتأليف الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٥٢/١٩٣٤ .  
الذيل على طبقات الحنابلة ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط .  
السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٧٢/١٩٥٢ .

## (ر)

رجال الطوسي ، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق محمد صادق آل  
بحر العلوم ، ط . الحيدرية ، النجف ، ١٣٨١/١٩٦١ .  
الرد على الجهمية ، لأبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق جوستا ويتستام ،  
ط . ليدن ، هولندا ، ١٩٦٠ .  
الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير  
تأويله ، لأحمد بن حنبل ، تحقيق محمد حامد الفقي ، نشرت في مجموعة شذرات

البلاطين من طبقات كلمات سلفنا الصالحين ، ط . السنة المحمدية ، القاهرة ،  
١٩٥٦/١٣٧٥ .

الرد على المنطقيين ، لابن تيمية ، تحقيق عبد الصمد شرف الدين ، ط . بومباي ،  
الهند ، ١٩٤٩/١٣٦٨ .

الرسالة العرشية ، لابن سينا ، ضمن مجموعة رسائل الشيخ الرئيس ، حيدر  
آباد ، ١٣٥٤ .

رسالة في القوى الإنسانية وإدراكاتها ، لابن سينا ، ضمن تسع رسائل في الحكمة  
والطبيعات ، الطبعة الأولى ، مطبعة هندية ، القاهرة ، ١٩٠٨/١٣٢٦ .

الرسالة القشيرية في علم التصوف ، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ،  
ط . محمد صبيح ، القاهرة ، ١٩٤٨/١٣٦٧ .

روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ليرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري ،  
الطبعة الثانية ( طبع حجر ) ، طهران ، ١٣٦٧ .

الرياض النضرة في مناقب المشرة ، لأبي جعفر أحمد الحب الطبري ، الطبعة الثانية ،  
نشر الخانجي ، ١٩٥٣/١٣٧٢ .

### (س)

سلسلة الأحاديث الضعيفة والمروعة ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط .  
دمشق ، ١٩٥٩/١٣٧٩ .

سنن ابن ماجه ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، ابن ماجه ، تحقيق  
الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، ط . عيسى الحلبي ، ١٩٥٤/١٣٧٣ .

سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق محمد محي  
الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٣٦٩ - ١٣٧٠ /  
١٩٥٠ - ١٩٥١ .

سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ( بشرح ابن  
العربي ) ، ط . المطبعة البصرية بالأزهر ، القاهرة ، ١٩٣١/١٣٥٠ .

سنن الدارمي ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي ، ط .  
دمشق ، ١٣٤٩ .

- سنن النسائي ، لأحمد بن شبيب بن علي النسائي ( بشرح السيوطي ) ، ط .  
التجارية ، القاهرة ، ١٣٤٨ / ١٩٣٠ .  
كتاب « السنة » ، لأحمد بن حنبل ، ط . السلفية ، مكة ، ١٣٤٩ .

## (ش)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، ط . القدسي ،  
القاهرة ، ١٣٥٠ .  
شرح نهج البلاغة ، لمبد الحميد بن أبي الحديد، تحقيق الأستاذ أبي الفضل إبراهيم،  
ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .  
شرح النووي على صحيح مسلم ، ليحيى بن شرف النووي ، ط . المطبعة المصرية  
بالأزهر ، القاهرة ، ١٣٤٧ / ١٩٢٩ .  
الشريعة ، لأبي محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى الآجرى ، تحقيق الشيخ  
محمد حامد الفقى ، ط . السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٦٩ / ١٩٥٠ .  
الشفاء ، لابن سينا ، قسم النفس ( من الطيبيات ) ، تحقيق يان باكوش ، ط .  
مطبعة المجمع العلمى التشكوسلوفاكى ، براغ ، ١٩٥٦ .

## (ص)

- صحيح ابن حبان ، لأبى حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي ، الجزء  
الأول ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، ط . المعارف ، القاهرة ، ١٣٧٢ / ١٩٥٢ .  
صحيح البخارى ، لمحمد بن إسماعيل البخارى ، ط . للطبعة الأميرية ،  
القاهرة ، ١٣١٤ .

## (ط)

- طبقات الأطباء = عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لأحمد بن القاسم المعروف  
بأبن أبى أصيبعة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٧٦ / ١٩٥٦ .  
طبقات الحنابلة ، لابن أبى يعلى ، تحقيق محمد حامد الفقى ، ط . السنة المحمدية ،  
القاهرة ، بدون تاريخ .

طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١٣٢٤ .

طبقات الصوفية ، لأبي عبد الرحمن السلمي ، تحقيق الأستاذ نور الدين شريعة ، القاهرة ، ١٩٥٣/١٣٧٢ .

الطبقات الكبرى ، لعبد الوهاب الشعراني ، طبع مصر ، بدون تاريخ .  
الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، ط . بيروت ، ١٩٥٧/١٣٧٦ .

طبقات المفسرين ، لجلال الدين السيوطي ، ليدن ، هولندا ، ١٨٣٩ .

### (ع)

عبد الله بن سبأ ، لمرتضى العسكري ، الطبعة الثانية ، ط . دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨١ .

العبر في خبر من غير ، للحافظ الذهبي ، ط . الكويت ، ١٩٦٠ .  
العلل ومعرفة الرجال ، لأحمد بن حنبل ، ط . أنقرة ، تركيا ، ١٩٦٣ .  
عمل اليوم واليلة ، لابن السني ، ط . حيدر آباد ، ١٣١٥ .

### (غ)

الغزالي ، للدكتور أحمد فريد رفاعي ، ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٧/١٣٥٦ .

### (ف)

فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، ط . المطبعة الأميرية بيولاك ، القاهرة ، ١٣٠٠ .

الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ( وها لجلال الدين السيوطي ) ، تأليف يوسف النبهاني ، ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٢/١٣٥١ .

الفتوحات المكية ، لمحيي الدين محمد بن علي بن عربي ، ط . دار السكتب المربية الكبرى ، القاهرة ، ١٣٢٩ .

- الفرق بين الفرق ، لابن طاهر البغدادي ، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري ،  
القاهرة ، ١٣٦٧/١٩٤٨ .
- فرق الشيعة ، للحسن بن موسى النوبختي ، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم ،  
ط . المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٧٩/١٩٥٩ .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد علي بن حزم ، ط . المطبعة الأدبية ،  
القاهرة ، ١٣١٧ - ١٣٢١ .
- فصوص الحكم ، لابن عربي ، تحقيق الدكتور أبي الملا عفيف ، ط . عيسى الحلبي ،  
القاهرة ، ١٩٤٦ .
- فلسفة المعتزلة ، للدكتور ألبير نصرى نادر ، ط . الاسكندرية ، ١٩٥٠ .
- الفهرست ، لابن النديم ، ط . التجارية ، القاهرة ، ١٣٤٨ .
- فهرس الخزانة التيمورية ، ط . دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٦٩/١٩٥٠ .
- فوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبي ، تحقيق الشيخ محمد عبي الدين عبد الحميد ،  
ط . النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ .
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، لمحمد بن علي الشوكاني ، تحقيق  
الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، ط . السنة المحمدية ، القاهرة ،  
١٣٨٠/١٩٦٠ .

## ( ق )

- القرب في محبة العرب ، لزين الدين المراقي ، ط . الاسكندرية ، ١٣٨١/١٩٦١ .
- القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي ، لأبي حامد الغزالي ، ط . مكتبة  
الجندی ، القاهرة ، بدون تاريخ .

## ( ك )

- الكافي ، لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني ، تحقيق علي أكبر  
الغفاري ، ط . مكتبة الصدوق ، طهران ، ١٣٧٧ - ١٣٨١ .
- الكامل ( تاريخ ) ، لملي بن محمد بن الأثير الجزري ، ط . الحلبي ،  
القاهرة ، ١٣٠٣ .

- كشف الحفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ،  
 لإسماعيل بن محمد المجلوني ، ط . القدسي ، القاهرة ، ١٣٥١ .  
 كنز العمال ، لملى النقي بن حسام الدين الهندى ، ط . حيدرآباد ، ١٣٨١ / ١٩٦٠ .  
 الكواكب الدرية فى تراجم السادة للصوفية لعبد الرؤوف المناوى ، القاهرة .

## (ل)

- الآلئ للصنوعة فى الأحاديث للموضوعة ، لجلال الدين السيوطى ، ط . المكتبة  
 الحسينية المصرية بالأزهر ، ١٣٥٢ .  
 اللباب فى تهذيب الأنساب ، لملى بن محمد بن الأثير ، ط . القدسي ، القاهرة ،  
 ١٣٥٧ - ١٣٦٩ .  
 لسان العرب ، لابن منظور .  
 لسان الميزان ، لابن حجر الصقلانى ، ط . حيدرآباد ، ١٣٢٩ .  
 لطائف الأسرار ، لابن عربى ، تحقيق الأستاذين أحمد زكى عطيه و طه سرور ،  
 ط . دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٣٨٠ / ١٩٦١ .  
 اللع فى التصوف ، لأبى نصر السراج الطوسى ، تحقيق الدكتور عبد الحليم  
 محمود و طه عبد الباقي سرور ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

## (م)

- مجمع الزوائد ، لملى بن أبى بكر الهيثمى ، ط . القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٢ - ١٣٥٣ .  
 مختصر كتاب البلدان ، لابن الفقيه ، ط . ليدن ، ١٣٠٢ .  
 مجموعة الرسائل والمسائل ، لابن تيمية ، تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا ، ط  
 المنار ، القاهرة ، ١٣٤١ .  
 مجموعة الرسائل للنيرية ، ط . المنيرية ، القاهرة ، ١٣٤٣ - ١٣٤٦ .  
 مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ، لابن تيمية ، ط . الرياض .  
 مجموعة الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية ، ط . الكردى ، ١٣٢٩ .  
 للدخل إلى مذهب الإمام أحمد ، لابن بدران ، ط . المنيرية ، القاهرة .  
 مرآة الجنان ، لليانعى ، ط . حيدرآباد ، ١٣٣٧ .



مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لملى بن الحسين بن طى السعوى ، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، ط. التجارية ، القاهرة ، ١٣٧٧/١٩٥٨ .  
المستدرك ، لأبى عبد الله محمد عبد الله ، الحاكم النيسابورى ، ط. حيدرآباد ، ١٣٣٤ - ١٣٤٢ .

المسند ، لأحمد بن حنبل ، ط. الحلبي ، القاهرة ، ١٣١٣ .  
المسند ، لأحمد بن حنبل ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، ط. المعارف ، القاهرة ، ١٣٦٥ - ١٣٧٤ / ١٩٤٦ - ١٩٥٥ .

مشكاة المصابيح ، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزى ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ، ط. دمشق ، ١٣٨٠ / ١٩٦١ .

المضنون به على غير أهله ، للغزالي - انظر : القصور الموالى .

معانى القرآن ، للفراء ، ط. دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٧٤ / ١٩٥٥ .  
المعتبر فى الحكمة ، لأبى البركات هبة الله بن ملكا ، ط. حيدرآباد ، ١٣٥٧ .  
معجم البلدان ، لياقوت .

معجم ما استمع من أسماء البلاد والمواضع ، لعبد الله بن عبد العزيز البكرى ، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٣٦٤ / ١٩٥٩ .  
للمعجم الوسيط ، ط. مجمع اللغة العربية .

مفتاح كنوز السنة ، وضع فنسك ، ترجمة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي .  
المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوى ، تحقيق عبد الله محمد الصديق ، نشر الخانجي ، القاهرة ، ١٣٧٥ / ١٩٥٦ .

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبى الحسن الأشعري ، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٣٦٩ / ١٩٥٠ .

الملل والنحل ، لمحمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستانى ، تحقيق الشيخ محمد ابن فتح الله بدران ، الطبعة الثانية ، نشر الأنجلو ، القاهرة ، ١٣٧٥ / ١٩٥٦ .

- مناقب ابن عربي ، لابراهيم بن عبد الله القارى ، تحقيق د. صلاح الدين المتجد ، ط . بيروت ، ١٩٥٩ .
- مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، لابن الجوزى ، ط . الحانجى ، القاهرة ، ١٣٤٩ .
- المتنظم فى تاريخ الأمم والملوك ، لابن الجوزى ، ط . حيدرآباد ، ١٣٥٧ .
- مناهج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية ، لابن تيمية ، مكتبة دار المروية ، القاهرة ، ١٣٨٢ - ١٣٨٤ / ١٩٦٢ - ١٩٦٤ .
- مناهج السنة ، لابن تيمية ، ط . بولاق ، القاهرة ، ١٣٢١ - ١٣٢٢ .
- موافقة صريح العقول لصحيح المنقول ، لابن تيمية ، الجزء الرابع ، نسخة خطية بالمكتبة التيمورية ( رقم ١٨٢ عقائد ) .
- الموضوعات ، لعل القارى ، ط . استانبول ، بدون تاريخ .
- الموطأ ، لمالك بن أنس ، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧٠ / ١٩٥١ .
- النية والأمل فى شرح كتاب الملل والنحل ، لابن المرتضى ، تحقيق توماس أرنولد ، ط . حيدرآباد ، ١٣١٦ .
- ميزان الاعتدال ، للذهبي ، ط . مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٥ .

## ( ن )

- النجاة ، لابن سينا ، ط . محي الدين الكردى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٥٧ / ١٩٣٨ .
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغرى بردى ، ط . دار الكتب المصرية ، القاهرة .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لأحمد بن محمد المقرئ ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، ط . التجارية ، القاهرة ، ١٣٦٧ / ١٩٤٩ .
- نكت الهميان فى نكت العيان ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ، تحقيق الأستاذ أحمد زكى ، مطبعة الجالية ، القاهرة ، ١٣٢٩ / ١٩١١ .
- نهاية الإقدام فى علم الكلام ، للشهرستانى ، تحقيق ألفرد جيوم ، لندن ، ١٩٣٤ .

النهاية في غريب الحديث ، لمجد الدين المبارك بن محمد بن محمد ، ابن الأثير  
الجزري ، ط . المطبعة الصمانية ، ١٣١١ .  
نيل الأوطار شرح متقى الأخبار ، للشوكاني ، ط . المنيرية ، القاهرة ، ١٣٤٤ .

( و )

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، تحقيق الشيخ محمد عجي الدين  
عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٧ / ١٩٤٨ .

\* \* \*

Tritton ( A. S. ) : Muslim Theology, Luzac, London, 1947,

## فهرس التصويبات والاستدراكات

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٣		السطر الأخير فهو سبحانه يدعوهم إلى	فهو سبحانه
١٠٦	١٥	إضافة للهامش (١)	ولعل الصواب : الإله
١١٥	٨	محجوب	محجوب (٢)
١١٥	١٨		أضف بعد تعليق رقم ١ تعليق (٢)
			(٢) لعل الصواب : محجوب
			بالتحميد (١)
١١٨	١	بالتحميد	
١١٨	٣	وأتوب إليك ، (١)	وأتوب إليك ، (٢)
١١٨	١٠	وسلم (٢)	وسلم (٣)
١١٨	١١		أضف تعليق رقم (١) بالتحميد :
			كنا ولعل الصواب بالتنزيه
			أو بالتنسيح .
١١٨		تعليق (١)	تعليق (٢)
١١٨		تعليق (٢)	تعليق (٣)
١٥٨	٧	يضاف	يضاف إليه
١٧٨	٢٢	وأى داود	وأبو داود
١٨١	٢٨	وابنه الحسن	وابنه أبى الحسن
١٩٧	٢٢	الفتن ١٧٤/٨ - ١٧٥	الفتن ١٧٥/٨ - ١٧٦
٢٠٣	٩	وإسلامه ؟ وما يجب	وإسلامه ؟ أو هل يوجد فى القرآن
			أو السنة أو القياس دليل على إيمانه
			أو إسلامه ؟ وما يجب
٢٠٤	٢٠	(٢) فى الأصل : وأنها عبد بحق . وانظر	(٢) وانظر
٢٠٩	٧	ألا يصدق	ألا يصدقه
٢١١	٢٠	إضافة للهامش رقم (١)	وقد يكون الصواب : ما ذكره .
٢٣٣	١	يا بغايا العرب ! يا بغايا العرب !	ذكر لى الشيخ ناصر الدين الألبانى
			أن صوابه : « يا نعايا العرب ! ... »
			وقد أشار إلى ذلك ابن الأثير فى
			« النهاية » ، والزغشرى فى
			« الفائق » وقال : والمعنى يا نعايا
			العرجن فهذا وقتكن وزمانكن ،
			يريد أن العرب قد هلكت .
٢٣٣	٢٢	عبد الله زيد	عبد الله بن زيد
٢٣٩	٢٥	٢٠٥/٤	٢٠٥ ، ١٩٨/٤
٣٥٨	٧	١٣٧ - ١٣٦	١٧١ - ١٧٠

## فهرس الموضوعات

المقدمة . . . . . (١) - (ك)

هذه المجموعة	(ب) - (ج)
١ - رسائل مجموعة عاشر أفندى (ع)	(ج) - (ز)
٢ - رسائل الكواكب الدرارى (ك)	(ز) - (ح)
٣ - رسالة المكتبة الأزهرية (حليم)	(ح) - (ط)
٤ - منهج التحقيق	(ط) - (ك)

## الرسائل

١ - رسالة فى قنوت الأشياء كلها لله عز وجل ١ - ٤٥

(فصل) فى قنوت الأشياء لله عز وجل، وإسلامها،

٣ وسجودها له ، وتسبيحها له

٥ - ٣ ذكر هذه الأربعة فى القرآن

٣ القنوت - الإسلام

٤ - ٣ السجود

٥ - ٤ التسبيح

٧ - ٥ القنوت فى اللغة

٩ - ٧ التنوت عند ابن تيمية هو الطاعة

٢٧ - ٩ (فصل)

١٩ - ٩	رواية ابن أبي حاتم أوجه تفسير لفظ القنوت
١٠ - ٩	الوجه الأول : الطاعة
١١ - ١٠	الوجه الثاني : الصلاة
٧ - ١١	الوجه الثالث : الإقرار بالعبودية
١٧	الوجه الرابع : القيام يوم القيامة
١٨ - ١٧	الوجه الخامس : قول الإخلاص
١٨	أقوال المفسرين
١٩ - ١٨	هل القنوت خاص أم عام ؟
٢٧ - ١٩	تعليق ابن تيمية
٢٤ - ٢٣	القنوت عند ابن تيمية عام
٢٧ - ٢٥	أنواع القنوت الذي يعم المخلوقات
٢٥	الأول ، الثاني
٢٦ - ٢٥	الثالث
٢٦	الرابع
٢٧ - ٢٦	الخامس

### ٣٩ - ٢٧ (فصل)

٢٨ - ٢٧	الكلام عن السجود
٣٨ - ٢٨	تفسير قوله تعالى ( وادخلوا الباب سجداً ) الآية
٣٩ - ٣٨	السجود في اللغة

٤١ - ٣٩ (فصل) بقية الكلام عن السجود

٤٥ - ٤١ (فصل) بقية الكلام عن السجود

٥٨ - ٤٧ ... ٢ رسالة في لفظ السنة في القرآن

(فصل)

٥٦ - ٤٩

٥٠ - ٤٩

لفظ السنة في مواضع من القرآن

٥٠

سنته نصره أوليائه وإهانة أعدائه

٥٠

الآية الأولى

٥١ - ٥٠

الأربعة الباقى :

الأولى ، الثانية ، الثالثة ، الرابعة ٥١

٥٣ - ٥٢

السنن المتعلقة بالأموال الطبيعية ينقضها الله إذا شاء

٥٤ - ٥٣

الأدلة على ذلك

٥٣

الأول ، الثانى

٥٤ - ٥٣

الثالث

٥٤

سنته تعالى مطردة فى الدينيات والطبيعات

٥٥ - ٥٤

نقض العادة لاختصاص معين

٥٦ - ٥٥

السنة هى العادة

٥٦

( فصل ) القرآن دل على هذا الأصل فى مواضع

( فصل ) أخبر سبحانه أنه تارة يعاقبهم عقب السراء وتارة

٥٨ - ٥٦

يعاقبهم عقب الضراء إذا لم يتضرعوا

٦٦ - ٥٩

٣ - رسالة فى قصة شعيب عليه السلام . .

٦٣ - ٦١

شيخ مدين لم يكن شعيباً

٦٣ - ٦١

كان شعيب عربياً وموسى عبرانياً

٦٦ - ٦٥

( فصل ) مجرد شيوع الأمر عند الناس ليس دليلاً

٤ - رسالة فى المعانى المستنبطة من سورة الإنسان ٦٧ - ٧٧

٧٧ - ٦٩

(فصل)

٧٠ - ٦٩

تفسير السورة إجمالاً

٦٩	الآيتان ١ ، ٢
٦٩	الآية الثالثة
٧٠	الآية الرابعة
٧١ - ٧٠	الآية الخامسة
٧٢ - ٧١	الآية السابعة
٧٢	الآية الثامنة ، الآية التاسعة
٧٣ - ٧٢	الآية العاشرة
٧٣	الآية ١١ ، الآيات ١٢ - ٢٠
٧٤ - ٧٣	الآية ٢١
٧٤	الآية ٢٢
٧٥ - ٧٤	الآيتان ٢٣ ، ٢٤
٧٥	الآيتان ٢٥ ، ٢٦ ، الآية ٢٧
٧٧ - ٧٥	الآية ٢٨
٧٧	الآية ٢٩ ، الآية الثلاثون

٥ - رسالة في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ٧٩ - ٨٤

٦ - رسالة في تحقيق التوكل . . . . ٨٥ - ١٠٠

٨٧ - ٨٩ ( فصل )

التوكل عند طائفة مجرد عبادة لا يحصل به جلب منفعة

ولا دفع مضرة ٨٧ - ٨٨

التوكل عند الجمهور يجلب المنفعة ويدفع المضرة وهو

سبب عند الأكثرين ٨٨

توكل المؤمن على الله هو سبب كونه حسباله ٨٨ - ٩٠

التوكل سبب نعمة الله وفضله ٩٠ - ٩٣



- الأسباب - ومنها التوكل - من قدر الله ٩٤ - ٩٣  
 نصر الله مع التوكل عليه ٩٥ - ٩٤  
 توكل المرسلين يدفع عنهم شر أعدائهم ٩٧ - ٩٦  
 غلط من أنكر الأسباب أو جعلها مجرد أماراة وعلامة ٩٨ - ٩٧  
 (فصل) فرض الله الدعاء على العباد لا فتقارهم إلى هدايته ٩٨ - ١٠٠

## ٧ - رسالة في تحقيق الشكر ١١٨ - ١٠١

- الجبرة والقدرية والملاحدة لا يحمدون الله ولا يشكرونه ١٠٣  
 مقالة الجبرة ١٠٣  
 مقالة القدرية النافية ١٠٤ - ١٠٣  
 مقالة المتفلسفة - مقالة باطنية الشيعة والمتصوفة ١٠٤  
 مقالة ابن عربي ١٠٦ - ١٠٤  
 كفر باطنية المتصوفة أعظم من كفر الفلاسفة ١٠٧ - ١٠٦  
 كل ما بالخلق من نعمة فمن الله ١٠٩ - ١٠٧  
 نعمة الله على الكفار ولكن نعمته المطلقة على المؤمنين ١١١ - ١٠٩  
 الجهمية والمعتزلة ينكرون محبته تعالى ويقرون بوجوب الشكر ١١٢ - ١١١  
 الجهمية الجبرة يضيف شكرهم وخوفهم ويقوى رجاؤهم ١١٢  
 المؤمن يخاف الله ويرجوه ويحبه ١١٢  
 القائلون بوحدة الوجود يحبون بدون خوف أو رجاء ١١٥ - ١١٢  
 بيان مقالة أهل السنة ١١٨ - ١١٥

## ٨ - رسالة في معنى كون الرب عادلاً وفي تنزيهه

عن الظلم ١١٩ - ١٤٢ . . . . .

( فصل ) ١٢١ - ١٢٦

تنازع طوائف المسلمين في معنى الظلم الذي ينزه

الله عنه ١٢١

مقالة الجهمية والأشاعرة ١٢١ - ١٢٣

مقالة المعتزلة ١٢٣

مقالة أهل السنة ١٢٣ - ١٢٦

( فصل ) ١٢٦ - ١٣٨

الخير بيديه سبحانه والشر ليس إليه ١٣١

التعليق على قول بعضهم : الخير كله في الوجود

والشر كله في العدم ١٣١ - ١٣٣

الخير والشر درجات ١٣٣ - ١٣٤

لا يعذب الله أحداً إلا بذنبه ١٣٤ - ١٣٦

الله يفعل الخير والأحسن ١٣٦ - ١٣٨

( فصل مختصر )

بيان حقيقة إرادة الله ١٣٨ - ١٤٢

## ٩ - رسالة في دخول الجنة هل يدخل أحد الجنة

بعمله أم ينقضه قوله صلى الله عليه وسلم :

لا يدخل أحد الجنة بعمله . . . . . ١٤٣ - ١٥٢

١٤٥	نص السؤال
١٤٥	المثبت في القرآن ليس هو المنفى في السنة
١٤٦ - ١٤٥	العمل سبب للثواب
١٤٧ - ١٤٦	السبب لا يستقل بالحكم
١٤٨ - ١٤٧	ليس جزاء الله على سبيل المعاوضة
١٥١ - ١٤٨	غلط من توهم ذلك من وجوه :
١٤٩ - ١٤٨	الأول
١٤٩	الثاني - الثالث - الرابع
١٥١ - ١٥٠	الخامس
٢٥٢ - ١٥١	لا بد من العمل ومن رجاء رحمة الله
١٥٢	الله يدخل الجنة بالعمل وبغيره من الأسباب

## ١٠ - رسالة في الجواب عمَّن يقول إن صفات

### الرب تعالى نسب إضافات وغير ذلك ١٥٣ - ١٧٣

١٥٥	نص السؤال
١٥٦ - ١٥٥	هذه مقالة المتفلسفة والقرامطة والاتحادية
١٥٩ - ١٥٦	رد السلف عليهم
١٦١ - ١٥٩	الناس في مسألة الصفات ثلاث مراتب
١٦٢ - ١٦١	مقالة أهل السنة في كلام الله
١٦٣ - ١٦٢	مقالة الفلاسفة في كلام الله
١٦٤ - ١٦٤	متابعة الغزالي للفلاسفة
١٦٧ - ١٦٤	مقالة ابن عربي في الفصوص
١٦٩ - ١٦٨	تأثر الغزالي بإخوان الصفا وأمثالهم
١٧٠ - ١٦٩	كلام الغزالي في كتاب « المضمون »

١٧١ - ١٧٠	مقالة ابن حزم
١٧٢ - ١٧١	الرد على النفاة
١٧٢	الرد على الغزالي
١٧٣ - ١٧٢	إثبات ابن تيمية وأهل السنة الماهية لله تعالى

## ١١ - رسالة في تحقيق مسألة علم الله ... ١٧٥ - ١٨٣

١٧٧	في هذه المسألة ثلاثة أقوال - الأول
١٧٩ - ١٧٧	الثاني
١٨٣ - ١٧٩	الثالث

## ١٢ - رسالة في الجواب عن سؤال عن الحلاج

### هل كان صديقاً أو زنديقاً . . . ١٨٥ - ١٩٩

١٨٧	نص السؤال
١٨٧	الحلاج كان زنديقاً
١٩٢ - ١٨٧	بعض أخبار الحلاج
١٩٧ - ١٩٢	أخبار أخرى عن بعض أصحاب الأحوال الشيطانية
	أخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجالين والدجال
١٩٩ - ١٩٧	الكبير
١٩٩	كان الحلاج دجالاً ووجب قتله

## ١٣ - رسالة في الرد على ابن عربي في دعوى

### إيمان فرعون ٢٠١ - ٢٠٦

٢٠٣	نص السؤال
٢٠٣	الجواب :
٢٠٤ - ٢٠٣	فرعون من أعظم الخلق كفراً
٢٠٥ - ٢٠٤	لا يصرح بموته مؤمناً إلا من فيه نفاق وزندقة كالاتحادية
٢٠٧ - ٢٠٥	تفضيل الاتحادية الولي على النبي والرسول
٢١٢ - ٢٠٧	بطلان حجّتهم على إيمان فرعون
٢١٦ - ٢١٣	إخبار الله عن عذاب فرعون في الآخرة

## ١٤ - رسالة في التوبة . . . . . ٢١٧ - ٢٧٩

### (فصل)

٢٢٦ - ٢١٩

٢٢٣ - ٢١٩

بعض آيات التوبة في القرآن

٢٢٦ - ٢٢٣

بعض الأحاديث في التوبة

### (فصل)

٢٣٦ - ٢٢٧

٢٢٧

التوبة نوعان : واجبة ومستحبة

٢٢٧

الواجبة من ترك مأمور أو فعل محظور

والمستحبة من ترك المستحبات وفعل

٢٢٨ - ٢٢٧

المكروهات

التوبة من ترك الحسنات أهم من التوبة من

٢٢٩ - ٢٢٨

فعل السيئات

٢٣٤ - ٢٢٩

التي والضلال يجمعان جميع السيئات

٢٣٦ - ٢٣٤

التي في شهوات الرئاسة والكبر والعلو

### (فصل)

٢٤٨ - ٢٣٦

٢٣٧ - ٢٣٦

المصيان يقع مع ضعف العلم

التوبة من الاعتقادات أعظم من التوبة من

٢٣٨ - ٢٣٧

الإرادات

٢٤٨ - ٢٣٨

الاعتقاد والإرادة يتعاونان

٢٧٩ - ٢٤٨

(فصل)

التوبة من الحسنات لا تجوز عند أحد من

٢٥١ - ٢٤٨

المسلمين

المعنى الصحيح لعبارة: حسنات الأبرار

٢٥٥ - ٢٥١

سينات المقربين

٢٥٨ - ٢٥٥

المعنى الفاسد للعبارة

٢٥٩ - ٢٥٨

لم تأت الشريعة بالتوبة من الحسنات

٢٥٩

أصل هذه المقالة هو دعوى العصمة في المؤمنين

٢٦٠ - ٢٥٩

غلو النصارى في هذه الدعوى

٢٦٤ - ٢٦٠

غلو الشيعة في دعوى العصمة

٢٦٥ - ٢٦٤

غلو الصوفية

٢٦٩ - ٢٦٧

لا عصمة لأحد بعد الرسول

مذهب السلف وأهل السنة هو القول بتوبة

٢٧٠ - ٢٦٩

الأنبياء

٢٧٠

اليهود فرطوا في حق الأنبياء

٢٧٣ - ٢٧١

الإسلام هو الصراط المستقيم

٢٧٥ - ٢٧٣

عصمة الأئمة تعنى مضاهاتهم للرسول

٢٧٦ - ٢٧٥

الغل في البشر يؤدي إلى الشرك

بطلان القول بعصمة الأنبياء من التوبة من الذنوب ٢٧٦

تفصيل مذهب أهل السنة في ذلك ٢٧٦ - ٢٧٩

١٥ - فصل في أن دين الأنبياء واحد . ٢٨١ - ٢٨٤

١٦ - فصل في الدليل على فضل العرب . ٢٨٥ - ٢٩٠

سبب ما اختص به العرب من الفضل ٢٨٩ - ٢٩٠

الفهارس ٢٩١ - ٣٨٨

١ - فهرس الآيات القرآنية ٢٩٣ - ٣١٦

٢ - فهرس الأحاديث النبوية ٣١٧ - ٣٣٣

٣ - فهرس الشعر واللغة ٣٣٤ - ٣٣٥

أ - الشعر ٣٣٤

ب - اللغة ٣٣٥

٤ - فهرس الأعلام ٣٣٧ - ٣٤٨

٥ - فهرس القبائل والفرق والطوائف ٣٤٨ - ٣٥٤

٦ - فهرس الأماكن والبلدان ٣٥٤ - ٣٥٦

٧ - فهرس المصطلحات والبحوث الفرعية ٣٥٧ - ٣٥٩

٨ - فهرس الكتب ٣٦٠ - ٣٦١

٩ - فهرس مراجع التحقيق ٣٦٢ - ٣٧٥

١٠ - فهرس التصويبات والاستدراكات ٣٧٦

١١ - فهرس الموضوعات ٣٧٧ - ٣٨٧

## للدكتور محمد رشاد سالم

### المؤلفات

- ١ - المدخل إلى الثقافة الإسلامية الطبعة السادسة دار القلم الكويت ١٩٨٤/١٤٠٤
- ٢ - مقارنة بين الغزالي وابن تيمية دار القلم الكويت ١٩٧٥/١٣٩٥

### في مجال التحقيق

- ١ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية الجزء الأول ، ط . دار العروبة ، القاهرة ١٩٦٢/١٣٨٢
- ٢ - الجزء الثاني ، ط . دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٤/١٣٨٤
- ٣ - جامع الرسائل لابن تيمية المجموعة الأولى ، ط . المدني ، ١٩٦٩/١٣٨٩
- ٤ - درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠/١٣٩٠
- ٥ - كتاب الصفدية لابن تيمية ، الجزء الأول ، ط . حنيفة ، الرياض ، ١٩٧٦/١٩٣٦
- ٦ - درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١١ جزءاً ، ط . مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ، السعودية ، ١٩٧٩/١٣٩٩ - ١٩٨٣/١٤٠٣
- ٧ - مسألة فيما إذا كان في العبد محبة لابن تيمية ضمن كتاب «دراسات عربية وإسلامية» ط . المدني ، القاهرة ١٩٨٢/١٤٠٣
- ٨ - الاستقامة لابن تيمية جزءان ، ط . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٩٨٣/١٤٠٤
- ٩ - جامع الرسائل لابن تيمية المجموعة الثانية ، ط . المدني ، ١٩٨٤/١٤٠٥

### تحت الطبع

- ١ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية ، ٩ أجزاء ، ط . مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، السعودية
- ٢ - كتاب الصفدية لابن تيمية ، الجزء الثاني ، ط . الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء والارشاد ، الرياض ، السعودية